«سلسلة الروايات اليابانية»

مدرسة الحرية

تشيتشي بونروكو



ترجمة:

د. حيان جمعة الساعي

نبذة عن المترجم:

ولد الدكتور حيان جمعة الساعي في مدينة دير الزور- في سوريا عام 1960، حيث أتم تعليمه المدرسي بتفوق. ثم منحته إعاقة البصر مزيداً من التصميم والإرادة على تحقيق النجاح والتميز. حاصل على شهادة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية وآدابها من جامعة دمشق، ثم شهادة الدبلوم في الدراسات الأدبية والنقد الأدبي، كما عمل فيها معيداً لمدة أربع سنوات قبل أن يغادر إلى بريطانيا ليتابع فيها دراسته. حصل أولاً من جامعة برمنغهام - معهد شكسبير على شهادة الدبلوم في دراسات شكسبير، ثم من جامعة لندن على شهادة الدكتوراه، ويعمل الآن في المملكة المتحدة في مجالات التدريس والنقد والترجمة.

نبذة عن المؤلف:

شيشي بونروكو (1893-1969): الاسم الأدبي الذي اختاره الكاتب الياباني إيواتا تويو لنفسه كي تعرف به معظم أعماله الأدبية، فهو مؤلف مسرحي وروائي كتب قصصاً قصيرة ومقالات أدبية عدة متأثراً كثيراً بالحركة الواقعية الغربية الحديثة.

حاز الكاتب أعلى جائزة شرف يابانية في نوفمبر 1969، وقد قام بتقديمها له إمبراطور اليابان.

شيشي بوبروكو

مدرسة الحرية

ترجمة: د. حيان جمعة الساعي

مراجعة: د. خالد المصري

الطبعة الأولى 1432هـ 2011م
حقوق الطبع محفوظة

PL830.W33 J5912 2011
Shishi, Bunroku, 1893-1969.
[Shinobugawa]
مدرسة الحرية / تأليف شيشي بونروكو؛ ترجمة حيان جمعة الساعي؛ مراجعة خالد المصري.- ط. 1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2011.
ص 305 : 14×21سم.
ترجمة كتاب: Jiyū gakkō
العنوان بالانجليزية: School of freedom
تدمك: 978-9948-01-996-1
1. القصص اليابانية -- القرن العشرون -- المترجمات إلى العربية.
2. القصص العربية -- القرن العشرون -- المترجمات من اليابانية. أ. ساعي، حيان جمعة، -1960. ب. مصري، خالد.
ج. العنوان.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الياباني:
Original title: Jiyu gakko
Written by: Bunroku Shishi

Originally published in Japan by Asahi Shinbunsha, Tokyo.

Based on the English translated edition, *School of Freedom* published by Center for Japanese Studies, University of Michigan 2006, translated by Lynne E. Riggs.

www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 451 6515 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 171 6576 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

مقدمة المترجمة[1]

كانت رواية مدرسة الحرية الأكثر مبيعا في الخمسينيات من القرن الماضي. كما كان شيشي بونروكو أحد أكثر الكتاب اليابانيين شهرة في خلال الحقبة الواقعة بين 1926 و 1989. لقد اختيرت هذه الرواية لتكون ضمن البرنامج الياباني للنشر والدعاية الأدبية، لأنها تمثل أحد نماذج الهزل الراقي في الأدب الياباني الحديث.

أول ما ظهرت هذه الرواية في سلسلة يومية على صفحات أكثر صحف طوكيو انتشاراً؛ إذ ظهرت في أجزاء يومية ضمن تلك الصحيفة الوطنية الصباحية الرئيسة بين شهر أيار من عام 1950 حتى شهر كانون الأول من العام ذاته، ثم ظهرت في كتاب عام 1951، ليعاد طباعتها بعد ذلك مرات عديدة، ثم تم تمثيلها في فيلم سينمائي مرتين، وكذلك في التلفزيون.

إن اسم شيشي بونروكو اسم مستعار استخدمه الكاتب إيواتا تويو، الذي عاش من 1893– 1969، عندما عاد لمهنة الكتابة بعد زواجه الثاني ليكسب تكاليف عيش أسرته في عام 1934. لم يترك الكاتب تفسيراً جلياً لاتخاذه هذا الاسم، ولكنه يحمل في ثناياه معنى يدل على الكاتب الهزلي، كما يعبر هذا الاسم عن تباهي الكاتب بكونه كاتباً أدبياً جاداً.

لقد اكتفى الكاتب باستخدامه هذا الاسم لكتاباته الأدبية وكذلك المقالات، أما بالنسبة للمسرحيات والقصص القليلة، التي كتبها في أثناء الحرب العالمية الثانية، فقد آثر الاحتفاظ باسم أسرته عليها.

ولما كان الكاتب قد ولد في عام 1893، فقد شهد الحقبة الغنية بالأحداث التي برزت فيها اليابان قوة صناعية حديثة، فراحت ثقافتها تنتشر في أرجاء العالم، كما تم اختبار قدرتها العسكرية والسياسية، فنجم عن ذلك نتائج محبطة على الصعيد العالمي، ولكن ما لبثت أن أعادت بناء ذاتها فوق الرماد والحطام.

ولما كان والد الكاتب تاجر حرير متميزاً في يوكوهاما، استطاع الكاتب أن يتلقى تعليمه

---

(1) ظهرت هذه المقدمة في النسخة الإنجليزية لهذه الرواية التي ترجمتها لين إي ريغز (Lynne E. Riggs)، وقد ضمنت هنا بتصرف.

في مدرسة خاصة، حيث أصبح رفاقه من مشاهير مفكري عصرهم. كانت تجارة أبيه قد ازدهرت لدرجة أنها استقطبت عدداً كبيراً من الأجانب إلى يوكوهاما، وكان لها تأثير كبير في حياة الكاتب وسائر أفراد أسرته في مرحلة طفولته، وكذلك كان لها تأثير بالغ في اتقاد ذهنه وتفتحه وبناء شخصيته الثقافية، فظهر ذلك جلياً في أعماله الأدبية.

عندما بلغ الكاتب التاسعة من عمره، أصيبت تجارة الأسرة بنكسة شديدة نتيجة وفاة والده، وراحت أمه تعمل جاهدة كي تدعم الأسرة، وعلى الرغم من الصعوبات المالية الشديدة، تابع الكاتب دراسته في المدرسة الخاصة لينتقل بعدها إلى الجامعة في 1911 التي تخرج فيها كثير من قادة اليابان السياسيين والثقافيين وكذلك أصحاب الأعمال الحرة.

وبما أن الكاتب مهتم في المسرح الذي كان قد تأثر بحركة الواقعية الغربية الحديثة، فقد غمس نفسه في مضمار الأدب، وراح يفحص مهاراته منذ سن السادسة عشرة من خلال مساهماته في مجلة المدرسة التي أسسها بالاشتراك مع بعض زملائه.

عندما بلغ العشرين من عمره ترك الدراسة الجامعية، وراح يكسب بعض النقود لقاء نشره قصصاً قصيرة في صحيفة شهيرة. لقد قضى سنوات مرض أمه الست في القراءة المكثفة، مما جعله يسير في طريق الكتابة.

لم يتجاوز طموح كاتبنا، شأنه شأن الكثيرين من الأدباء والمفكرين اليابانيين الشباب، انغماسه في العالم الغربي، فتوجه في عام 1922 إلى فرنسا مستعيناً بما تبقى له من إرث أبويه. لقد زار مسارح باريس جميعها وكذلك مسارح كثيرة في مدن أوربية عديدة، حيث التقى هناك بعدد كبير من الممثلين والمخرجين، وقد دون كثيراً من الملاحظات حول المسرحيات وتمثيلها، ففي فترة إقامته في فرنسا نما لديه إعجاب واهتمام شديدان بالمسرح.

في عام 1923 وعندما كان في الثلاثين من عمره، أحب فتاة في باريس، وتزوجها، ليعود بعدها بصحبتها إلى اليابان، ثم أنجبا فتاة في عام 1925. ولما لم يكن لدى الكاتب مورد مالي يغطي تكاليف حياة أسرته، قامت زوجته بإعطاء الدروس الخصوصية في اللغة الفرنسية في منزلها حتى أصبح للكاتب دخل لقاء بعض أعماله الأدبية والأخرى المترجمة، كذلك لقاء كتابة بعض المقالات في الصحف اليومية. لقد التحق بجمعية المسرح الحديث، كما ساهم في تأسيس معهد البحوث للمسرح الحديث، وشارك في المسرح الهزلي. أصيبت زوجته في عام

1930 بمرض عضال، فقرر إعادتها إلى فرنسا كي ترتاح بعد تركهما ابنتهما في رعاية أخته التي تعيش في بيونغ يانغ حيث كانت كوريا تحت السيطرة اليابانية آنذاك. أقام الكاتب مع زوجته لدى أهلها ستة أشهر، فأتيحت له فرصة زيارة كثير من المسارح ثانية، ولكن عندما نفدت جميع نقوده تقريباً، قرر ترك زوجته لدى أهلها ليعود ثانية إلى اليابان بعد مروره ببيونغ يانغ لاصطحاب ابنته معه. عندها كرس الكاتب جل وقته لأجل المساهمة في حركة المسرح الحديث؛ فعمل في الثلاثينيات والأربعينيات مخرجاً، وكذلك مطوراً لخشبة المسرح، كما ترجم عدداً من المسرحيات الغربية ليصار إلى تمثيلها باللغة اليابانية. لم تحظ مسرحيته الأولى (الشرق هو الشرق) باهتمام النقاد كثيراً، ولكن مسرحيته الثانية، التي طبعت عام 1934 كانت قد حققت نجاحاً أكبر، فقد تم تمثيلها على خشبة المسرح في العام ذاته. وعلى الرغم من عدم اشتهاره كاتباً مسرحياً، إلا أن ترجماته عن اللغات الأوربية قد حظيت باهتمام شديد، فأصبح المسرح هدفه الرئيسي، إذ كتب عندما كان في السبعين من عمره:

«لقد كان باستطاعتي أن اتخذ المسرح مهنة لي، ولكنك لا تستطيع تأمين قوت أسرتك بهذه الطريقة، لهذا بدأت أكتب النثر، ولكن بينما أنا أفعل ذلك، بقي نصفي في عالم المسرح».

في أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، احتلت الكتابة المكانة الرئيسة في حياة الكاتب، ولكنه ظل يمارس نشاطاته في المسرح وكذلك في التمثيل ضمن الأفلام السينمائية.

بعد وفاة زوجته (ماري شومي) في فرنسا عام 1932، ترك إيواتا ليربي ابنتهما وحده، فدون ذلك في مذكراته تحت عنوان (أنا وابنتي) التي نشرت في سلسلة على مدار ثلاث سنوات: 1953–1956، ثم ظهرت في مسلسل تلفزيوني عام 1961.

بعد زواجه الأول، تزوج الكاتب مرتين: ففي عام 1934 تزوج من امرأة جادة ومحبة لعملها كثيراً، فأدارت المنزل كما تنبغي إدارته لأجل كاتب كبير، فتابع عمله في المسرح وكذلك في كتابة القصة القصيرة، إذ راحت تترسخ شهرته كاتباً فذاً ومتميزاً، كما بدأت كثير من قصصه تظهر في أفلام سينمائية. لقد ألف العديد من أعماله حول اليابانيين وكذلك حول الحرب العالمية الثانية: إذ دون تفاصيل حياة العديد من المساهمين في تلك الحرب، وقد نشرها تحت اسمه الأصلي (إيواتا تويو) وعام 1943 منح جائزة الأساهي شين بون.

لقد كتب معلقاً على أعماله التي كتبها في أثناء الحرب قائلاً:

«لقد اعتقدت أن باستطاعتي فعل ما يساعد بلادي في ربح الحرب، ولكني أردت أن تكون الكتابة على طريقتي الشخصية، وإذا لم يكن باستطاعتي ذلك، فإنني ما كنت لأجد في الكتابة أي معنى أو مغزى، ففي السنوات الأولى من الحرب بدت طريقتي في الكتابة ناجحة إلى حد كبير، ولكن مع بعض الصعوبات التي مرت بها ظروف الحرب، أصبحت سياسة المراقبة أشد صرامة حتى إنها جنحت إلى الجنون قليلاً في بعض الأوقات ... وهكذا أصبحت كتابة الجميع مليئة بتعاطف لا معنى له مع الحرب».

هكذا تباطأت كتابة شيشي بونروكو متأثراً بمطرقة الرقابة، وفي عام 1944 انتقل مع أسرته إلى منزل في منطقة يوجووارا حيث بقوا هناك حتى نهاية الحرب، وبعد استسلام اليابان في شهرآب من عام 1945 أصبح الغذاء أقل توافراً مما كان عليه في أثناء الحرب، وعندما طلب من الكاتب وأسرته إخلاء المنزل الذي كانوا يعيشون فيه، قرر الانتقال إلى شي كوكو، بلدة زوجته الأصلية.

عاد الكاتب إلى طوكيو ثانية في عام 1947 حيث كان توافر المنازل الخالية مازال نادراً، ولكن سرعان ماقدم له ولأسرته شقة ضمن منازل موظفي المجلة التي كانت قد نشرت له بواكير أعماله، فكان باستطاعة الكاتب أن يشاهد جسر (أوكاناميزو) المسمى في الرواية (أوكانناميزو). لقد شاهد كذلك العديد من الأكواخ التي تبنى إلى جوار ذلك الجسر مما زاد من درجة إستيائه وحزنه على الحال الذي آلت إليه طوكيو، فكتب:

«رحت أرقب تلك الأكواخ من بين أشجار الحديقة عبر الأيام، فانتهى بي الأمر بالاستياء الشديد من أولئك الذين يعيشون هناك». لقد كان شيشي مقتنعاً بأن التجربة التي مر بها اليابانيون جميعاً ستكون، يوماً، مفيدة لهم.

بالإضافة إلى الصعوبات الشخصية التي مر بها الكاتب في الأعوام المبكرة من حياته، كانت تجربته الشخصية وكذلك الوطنية قد ساهمتا في إنضاج أعماله الأدبية، التي نجح في إبرازها بطريقة كوميدية هزلية مما جعلها نادرة الوجود ضمن الأدب الشعبي الرائج.

لقد قدم الكاتب مساهمة حقيقية باتجاه الأدب الياباني مفيداً من الأدب الفرنسي، لاسيما أنه فتن بالهزل الساخر الذي شاهده على خشبة المسرح الفرنسي في العشرينيات من القرن الماضي. ونتيجة لمرض أصاب الكاتب قرر الانتقال إلى أويسو– منطقة ساحلية تقع إلى

الجنوب من طوكيو- وبعد عثوره وزوجته على منزل أحبه كلاهما، توفيت زوجته فجأة إثر نوبة قلبية أصابتها، من ثم انتقل الكاتب وابنته إلى المنزل الجديد في أويسو حيث كرس جل جهده ووقته لأجل كتابة رواية «مدرسة الحرية»، التي علق على تأليفه لها قائلاً:

«أثناء كتابتي لهذه السلسلة الروائية، تجنبت الذهاب إلى طوكيو قدر استطاعتي، وعشت حياة رتيبة، إذ بدت لي أنها الطريقة المثلى للتعافي على نحو أسرع من صدمة موت شوزوكو».

في شهر أيار من العام التالي، وبعد عملية جراحية أجريت لمعدته، تزوج من امرأة ثالثة كانت تعيش في أويسو منذ ترملها، وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها، وفي الشهر التالي تزوجت ابنته من دبلوماسي، وهكذا بدأت حقبة جديدة في حياة الكاتب، لاسيما أنه قد رزق بمولود في عام 1953 مما بعث السرور والبهجة في نفسه، وفي عام 1958 عندما بلغ الابن سن الدراسة في المدرسة، انتقلت الأسرة إلى هاكاساكا وسط طوكيو.

ونتيجة لألم كان يعانيه الكاتب في معدته ونتيجة فقدان كثير من الأصدقاء الذين رحلوا عن الحياة، ونتيجة للتحولات الاقتصادية الكبيرة التي جرت في اليابان، أصيب الكاتب باكتئاب نفسي في عام 1963 مما استدعى دخوله المشفى.

في تشرين الثاني في عام 1969 تلقى الكاتب أعلى جائزة شرف في اليابان، عندما استدعي لاستلام الجائزة في القصر الإمبراطوري، وقف أمام الإمبراطور مرتدياً ثياب الحداد، التي تعود ارتداءها في باريس قبل ستة وأربعين عاماً.

إن شخصية شيشي بونروكو الهزلية الخاصة، التي تمثل تحدياً كبيراً لكل من يشرع بترجمة أدبه، مستمدة من نظرته غير الاعتيادية للطبيعة الإنسانية.

لقد استحوذ الكاتب على قلوب القراء الساعين وراء ضياء الحياة بتناوله مواضيع كتبها في قالب هزلي أحداثاً تاريخية جادة دون أن تبتعد عن حقيقة حياة الناس العاديين.

إن إنجازات الكاتب الأدبية لتصنف في ثلاثة حقول: فأولها ما يدخل في مضمار المسرح، وثانيها يصنف في حقل الرواية والقصة القصيرة، أما ثالثها فكل ما يقع في نطاق المقالات الصحفية والأدبية وكذلك مذكرات حياته الشخصية وحياة شخصيات أخرى محددة كان قد انبعث فيه اهتمام شديد بها.

أخيراً في ضوء ما تقدم، تجدر الإشارة إلى أن الكاتب قد بنى روايته حول فكرة رئيسة ألا وهي الحرية: إذ كما أرادت قوات الاحتلال تحقيق الحرية والمساواة لجميع اليابانيين من خلال دستور جديد صدر 1947، أراد بطل الرواية، من خلال تركه منزله، أن يحرر نفسه من قيود تسلط الزوجة والعمل والنقود ساعياً وراء الحرية، وكذلك فعلت زوجته كوماكو في أثناء غيابه عن المنزل، كما أراد الكاتب أن يعرفنا إلى جميع طبقات المجتمع الياباني وما يجري في شوارع طوكيو سراً وعلانية.

أما بالنسبة للأماكن، التي تدور فيها أحداث الرواية، فهي واقعية على الرغم من بعض التحريفات الضرورية التي اقتضتها ظروف الاحتلال، فهكذا جاءت الرواية نتاج بحث الكاتب المتعمق في المجتمع الياباني والظروف والتحولات التي طرأت عليه في أثناء الحرب وبعدها.

الفصل الأول

«اخرج!»

أزيز وقعقعة وقعقعة وأزيز. ضجيج تحدثه آلة خياطة يرهق أذني الرجل، وعلاوة على ذلك، فهو يعكس مزاج من يستخدم تلك الآلة على نحو بليغ جداً. فاستخدام زوجة غضوب لمدوس آلة الخياطة يمكن أن يجسد حنقها.

يقولون إن النساء بدأن بإثبات أنفسهن فقط بعد انتهاء الحرب. ولكن ثمة سبب وجيه للاعتقاد أن ذلك يعود لزمن أبعد من ذلك؛ أي عندما بدأت آلات الخياطة تظهر في منازل اليابانيين. على أية حال، لقد كانت البيوت أكثر هدوءاً عندما كانت النسوة ينجزن أعمال الخياطة يدوياً وهن جالسات على سجاد قرب علب الخياطة.

«لقد حان وقت ذهابك!» ارتفع صوت كوماكو الحاد والثاقب فوق صخب آلة الخياطة.

كانت كوماكو تقارب أو قد تجاوزت للتو الثلاثين من عمرها، وكانت ترتدي ثوباً منزلياً مخططاً بالأبيض والأسود ذا كمين قصيرين، كما كانت قدماها حافيتين وهي تضغط بهما بحنق على مدوس آلة الخياطة. تبدو بعض النسوة غير أنيقات، وربما بغيضات المظهر، وهن حافيات، ولكن مقداراً من البساطة وعدم الرسمية عند الزوجة يمكن أن يبعث الارتياح في نفس الزوج، وعلاوة على ذلك فالطقس كان شديد الدفء.

وعلى الرغم من حفاء قدميها، لم يكن هناك سوى قليل من النساء المنظمات والكفوءات مثل كوماكو. لم يكن في مظهرها ما هو عامي ولا ما هو فائض، فلم يظهر على جسمها الصغير زيادة في الوزن ولا في طول القامة، كما كانت تقاطيع جسدها متناسقة، فلم يكن رأسها ولا حجم صدرها أكبر مما ينبغي. كان شعرها الملفوف بأناقة كثيفاً، ولكن ليس بغزارة. لم تبرز تقاطيع وجهها على نحو أكثر من المألوف، وكان يخفف من جرأة نظرات عينيها اعتدال دقة أنفها. فارتسام علائم ذكورية على شفتيها واسمرار بشرتها قليلاً قد حرماها امتلاك جمال

كان يمكن له أن يبعث الغيرة لدى بنات جنسها. لم تكن هناك أي زيادة في تقاطيع وجهها المتناسقة باستثناء بعض النمش الذي يظهر على وجنتيها.

تابعت كوماكو بحركاتها القليلة عملها على آلة الخياطة دون أن تدير رأسها، ودون أن تلقي بنظراتها جانباً.

«لقد تجاوزت الساعة الحادية عشرة بسبع دقائق!»

كانت تدرك الوقت تماماً، إذ كان يظهر على الساعة الكبيرة الموضوعة على الرف خلفها.

امتلأت الرفوف بكتب أدبية لكتاب إنجليز قد عاشوا في القرن التاسع عشر، وأمريكيين قد ظهرت كتبهم في اليابان بعد الحرب باللغتين الأصلية وكذلك اليابانية. أقتنت جميع الكتب بنفسها، وليس لزوجها أي دور يذكر في هذا المضمار. على أية حال، كلما كان زوج كوماكو في المنزل، لم تكن كوماكو تقرأ الكتب، غير أنها تنهمك بخياطة ثياب الأطفال لتحصل على بعض الدخل المالي، وكذلك لتدفع بزوجها إلى العمل هارباً من ضجة الخياطة.

المنزل الذي يعيشان فيه صغير؛ إذ لم يكن أكبر حجماً من غرفة مخزن في حديقة: يتألف من غرفتين ولا يبعد كثيراً عن منزل مالك الأرض المبني سقفه من أعواد القش. كان ميناميمورا إيوسوكي، زوج كوماكو، في تلك اللحظة مستلقياً في الشرفة تحت أشعة الشمس؛ إذ أرخى جسده الضخم على الصفائح الخشبية التي تقوست بفعل عوامل الطقس.

كانت أشعة شمس أواخر شهر أيار قد بدأت تسطع بقوة، فراح إيوسوكي يتعرق تحتها وهو مستلق هناك، فلابد أن تكون بيجامته الصوفية الرثة والمهترئة قد زادته إحساسا بالحرارة، إلا أنه لم يظهر عليه أي نوع من عدم الارتياح، على الرغم من ارتفاع درجة حرارة الجو، فهو لم يتخل عن تلك العادة التي اكتسبها في أيام الشتاء الباردة، إذ هو ينتمي إلى ذلك الصنف من الرجال الذين تنقصهم إما العزيمة أو الشعور الايجابي. وربما فسر ذلك الإرهاق ذاته عدم استجابته لزوجته ... توقف فجأة ضجيج صوت آلة الخياطة.

«هل أنت نائم؟»

«كلا..!» بدا صوته وكأنه صدى يتعالى من قاع بئر عميقة.

«إذا لم تكن نائماً، فلماذا لم تجب؟»

«إنني أجيب!»

«وأنا أقول لك إن الساعة تجاوزت الحادية عشرة».

«أعلم!»

«إذا كنت تعلم ... فعليك أن تجهز لتذهب إلى المكتب!»

أصدر إيوسوكي حشرجة خافتة، غير أنه لم يتحرك، إذ بدا هامداً تماماً. تذكر تقاطيع جسده الضخمة، وهو مستلق على الشرفة، الناظر إليه بمشهد الرمل على شاطئ بحر مدينة تيتوري، إذ بدت عضلات رقبته الضخمة وكتفاه العريضتان، وظهره المغطى ببيجامته الرمادية المهترئة كجذع شجرة صنوبر. وإيوسوكي كأي مشهد طبيعي لا يمكن أن يثار.

«عدت إلى حيلك القديمة ثانية!»

راحت آلة الخياطة تعمل ثانية، فازدادت حدة صوت كوماكو.

«هل تعتقد أن هناك ما يثير الإعجاب وأنت تتصرف تصرفاً لامبالياً؟ إن هذه لحماقة ... إنك تتصرف تصرف الأحمق تماماً!»

«هل تعتقدين ذلك؟» ... كان هذا جواب إيوسوكي الخدر.

كان يعلم أنه لو لم يعط أي جواب، لأصبحت أكثر إلحاحاً. رده ضعيف، غير أن أفكاره أقوى من ذلك بكثير.

تتحدث إلي بوقاحة شديدة هذه الأيام ... قال لنفسه ... لم تكن كذلك قبل الحرب لابد أن ذلك بسبب الأوقات العصيبة التي مررنا بها.

«نعم أعتقد ذلك ... إنك تبعث الغيظ ...! وأنت مستلق طوال الوقت، عديم الجدوى تماماً! تشبه أحد المنطادات التي تحمل المتفجرات، تحركها الرياح إلى غير وجهة محددة ...! آسيوي شرقي تماماً ...! وماذا ؟»..

أقلع إيوسوكي عن الإصغاء إليها، واستبدل ذلك بالإصغاء إلى آلة الخياطة والاستمتاع بدفء أشعة الشمس. تزوج إيوسوكي وكوماكو في شهر تشرين الثاني من عام 1941، فقط قبل أن تبدأ حرب المحيط الهادئ بعشرين يوماً، وعندها ازدادت الحياة صعوبة، ولكن على الرغم من ذلك فقد أقاما حفل زفافهما في فندق الامبريال، حيث قدم شراب الشمبانيا وكعكة الزواج. في حقيقة الأمر، كانت أسرة إيوسوكي قادرة على أن تغطي نفقات مثل

هذه الحفلات الفاخرة عندها. وعلى الرغم من وفاة أبيه الذي كان يعمل نائب رئيس شركة منشوريان للنقل، إلا أن ثروة العائلة لم تكن قد تبددت بعد، وكانت العائلة لاتزال تملك أسهماً في الشركة، كما كانت لاتزال الأسرة تحظى بتوجيه والدة إيوسوكي الحكيم، ودعم أولئك الذين خلفوا أباه في العمل. قيل عن إيوسوكي من وراء ظهره إن نفعه يشبه الضوء المتقد في وضح النهار، أو ساعة قد توقفت عن الدوران، إلا أنه لم ينتب أحد القلق حول ثروة الأسرة.

ما حدث بعد ذلك كان برهانا على تقلب القدر. يعود سبب عيش كوماكو وإيوسوكي في هذا البيت الصغير جداً، والتابع لمنزل مالك المزرعة في منطقة نائية من الريف، والذي يعد مسيرة خمس وعشرين دقيقة عن محطة مساشي هزامه التي تقع على خط جيو، إلى ظروف الحرب. وسأعلمكم بما هو أكثر من ذلك لاحقاً ...

«اصغ إلي الآن! توقف عن تقاعسك ... واذهب إلى عملك!»

في هذه المرة كان صوت كوماكو قريباً جداً من أذن إيوسوكي، إذ كانت توقفت عن عملها على آلة الخياطة، وجاءت بالقرب منه مما عنى أن هناك معضلة ستقع.

لقد وقعت عليه يدها قبل أن يدرك ذلك، فالتقطته من ياقة بيجامته ورفعت جسده الثقيل الضخم إلى الأعلى حتى أجلسته. فعلت ذلك كما لو أنها قد ألتقطت قطة صغيرة من رقبتها ورفعتها عالياً. فلم تكن مشاهد كهذه؛ أي أن تتحدى النساء قوانين الفيزياء، غريبة الحدوث في مثل هذا المنزل.

«اذهب الآن!» ظلت نبرة صوت كوماكو هادئة.

بينما إيوسوكي رمش عينيه، جلس متربعاً، وبينما هو يفعل ذلك وقع الضوء الساطع على وجهه مباشرة لتظهر تقاطيع وجهه الرائعة، إذ لا يوجد شبيه لهذا الوجه الاستثنائي سوى بعض وجوه أبطال التاريخ النادرين: كالقسيس البوذي نيجرين الذي عاش في القرن الثالث عشر والقائد المتمرد سايكو تاكاموري الذي عاش في القرن التاسع عشر. فحاجباه كثان مثل دودة كثيفة الشعر، وأنفه مستدير يشبه كعكة مدورة، وعيناه براقتان وشفتاه غليظتان تشبهان شطيرتي لحم، ووجهه كاملاً مؤطر بحدود واسعة بحجم ملعب البيسبول الخارجي. ولكن على الرغم من هذه الملامح، لم يبد رأسه أكبر مما ينبغي لأنه كان رجلاً يتمتع بطول قامة أكثر مما هو مألوف، وكذلك يتمتع بوزن معقول. في حقيقة الأمر، بدا رأسه

صغيراً إلى حد ما، حتى ظهر وكأنه قبضة من فوق إبريق معدني ضخم.

أثارت ضخامة جسد إيوسوكي الإحساس بالرهبة لدى معظم الناس؛ إذ تخيلوا أن شيئاً فاتناً يكمن وراء تلك الملامح المهيبة، ولكن أولئك المقربين كزوجته كوماكو وأمه الميتة أكينو يعرفون سبب صغر رأسه وأنه لم يكن، للأسف، على أي قدر من العظمة أو النبل، ولم يكن تافهاً ولا وغداً، ولكن لو غاص أحدهم في أعماق ذلك الرأس، لما وجد أي شيء عظيم يختبئ وراء تلك الملامح الضخمة. درس إيوسوكي في مدراس جيدة- غاغوشوين- يختارها عادة الأرستقراطيون، ثم درس في جامعة كيتو الممتازة ولكنه بقي بعد ذلك دون عمل فترة طويلة. وفي العام الذي تزوج فيه من كوماكو، وجد له أحد العاملين السابقين لدى أبيه عملاً في وكالة طوكيو للأنباء، ولما لم يكن لدى الوكالة فكرة واضحة عما يمكن أن يستفاد من هذا الرجل الضخم، وضع في بادئ الأمر في قسم الألعاب الرياضية، ويعود سبب ذلك في بادئ الأمر لكون ذلك القسم أقل الأقسام عملاً، ولكن في حقيقة الأمر يعود السبب بدرجة رئيسية، إلى الاعتقاد الخاطئ أن كل رجل ضخم لابد أن يكون مولعاً بالرياضة.

على أية حال، منذ أن كان إيوسوكي طفلاً صغيراً، كره جميع أنواع الرياضة البدنية، فلم يشارك في أي نشاط رياضي، ولم تتولد لديه رغبة في متابعة النشاطات الرياضية. لقد شكل حالة شاذة بين أبناء جيله من الرجال، إذ لم يكن يعرف قواعد لعبة البيسبول، وأشد الألعاب مقتاً لديه كانت لعبتي الكيندو والرجبي، وذلك لأن المنافسة عامل رئيسي فيهما، والفوز فيهما في منتهى الأهمية أيضاً.

كان النزاع بجميع أشكاله يتعارض مع مزاجه وطبعه. بجسد كهذا، لابد أن يملك إيوسوكي دون أي شك، قوة متميزة، غير أن تلك القوة لم تجرب ولو مرة واحدة في حياته؛ فهو لم يدخل عراكاً، ربما كان ذلك بسبب ضخامة حجمه الذي كان كافياً كي يخيف الآخرين قبل أن تتطور المشاجرة لتتحول إلى عراك، ولكن سبب ذلك أيضاً يعود إلى أنه يحاذر بشدة إقحام نفسه في مثل ذلك النوع من المواجهات.

كان يدرك أنه شخص لا يناسب العمل في قسم الصحافة الرياضية، ولكنه لم يكن من ذلك الصنف من الرجال الذين يقولون ذلك. حقاً، إن وظيفته كانت قد أفسدتها منذ البداية حادثة مخجلة عندما ذهب مع مراسل من الدرجة الأولى ليغطي دورة اليابان الرياضية السابعة، إلا

أن مشاهدة سباق الجري لخمسة آلاف متر بالنسبة له مضجرة، فقرر الذهاب إلى دورة مياه الملعب حيث قضى وقتاً طويلاً، ربما قد أخذ غفوة هناك، وهو مالم يكن متيقناً منه، وعندما تبين أن المباراة قد قاربت على الانتهاء، قرر العودة، ولكن لسبب ما لم يستطع فتح باب المرحاض. لم يكن من الصعب على رجل قوي كإيوسوكي أن يكسر الباب، ولكنه ليس من صنف الرجال الذين يكسرون الأشياء، لذلك انتظر بصبر حتى يدخل أحد المرحاض المجاور، وعندما دخل أحدهم أخيراً، نادى قائلاً:

«آسف لازعاجك، ولكن هل لك أن تتصل بوكالة طوكيو للأنباء في مارانوشي، وتخبرهم بأن موظفهم قد علق في المرحاض ولايستطيع الخروج».

حقاً، كان طلباً غريباً، غير أن طالب المدرسة المتوسطة أو أن شخصاً آخر طيب السريرة نقل بإخلاص طلب إيوسوكي. ارتبك موظف الوكالة الذي تلقى المكالمة ارتبك لدى سماعه النبأ، إذ كان مراسل آخر في الملعب. ولما خشي أن يكون هناك مشكلة ما، أرسل موظف آخر قوي البنية في سيارة تحمل علم الشركة، وعندما تبين ذلك الرجل أن الهدف الرئيسي من وجوده هناك هو إخراج إيوسوكي من المرحاض، تسمر صامتاً. منذ ذلك الوقت، غدا اسم إيوسوكي معروفاً لدى جميع موظفي الوكالة. ثم بعد ذلك مباشرة، نقل إلى مكتب أنباء يغطي القضايا الهامشية أو عديمة الفائدة حيث بقي هناك. كان بالتأكيد سيطرد من عمله لو كان ذلك الشخص الذي قدمه للعمل في الوكالة أقل تأثيراً مما هو عليه. لم يكن إيوسوكي غير مناسب للعمل في قسم الرياضة فحسب، بل افتقر لأبسط أصناف الدهاء الصحفي. في حقيقة الأمر، لو سئل أحد عن المهنة التي تناسبه أكثر: موظف مكتبي أو رجل أعمال أو جندي أو محام أو فنان أو أي شيء آخر، لبدا جلياً أنه لا تناسبه أي مهنة من تلك المهن. ربما ناسب عملاً في معبد، ولكن ليس قساً أو مساعداً لكاهن، لأن مثل هذه الأعمال تتطلب القيام بواجبات، فينبغي أن يكون عملاً مثل رئيس القساوسة، أو وظيفة لا تتطلب القيام بأي عمل سوى الجلوس واحتساء الشاي طوال الوقت، إلا أن مثل هذا العمل لا يمكن توافره، وباختصار لم يكن رجلاً يناسبه أي عمل عادي.

ولد إيوسوكي في عائلة راقية وترعرع في رعاية والدة حكيمة جداً، وبعد زواجه أصبحت حياته تتحكم بها تماماً زوجة ذات قدرات لا تضاهى. كانت كوماكو قد تخرجت في قسم

الأدب الإنجليزي في كلية شهيرة للفتيات، ومنذ نهاية الحرب لاتزال تعلم اللغة الإنجليزية في الحقول المجاورة، وكذلك تقوم ببعض الترجمة لقوات الحلفاء التي تحكم البلاد، وتقوم أيضا بخياطة الثياب والنسيج وصناعة بعض أنواع الحلي، ويعود الفضل لآلة الخياطة التي عملت عليها باجتهاد حتى قبل لحظات. إنها سيدة تتمتع بجميع المهارات اللازمة لتدبير شؤون المنزل المالية، وعندما يأتي الأمر إلى تحضير الوجبات بقليل من المواد الغذائية، ولتتدبر أمرها بالشيء الزهيد المتوافر لديها، كانت تبدع أكثر من أية ربة منزل عادية.

لم تكن كوماكو دائماً من هذا الصنف من النساء، فقد تمتعت قبل الحرب بحياة مريحة ومرموقة هي حياة الطبقة الراقية، ولكن حظها قادها فجأة إلى التعثر مرتين: أولاهما في طفولتها عندما اتهم أبوها بقضية كسب غير مشروع، وثانيهما بعد زواجها من إيوسوكي بعد أن بددت عائلة ميناميمورا ثروتها، إذ حولتها هاتان التجربتان إلى امرأة تعيش معتمدة على حكمتها وفطنتها:

«مهما أتت به الصعاب،

أتطلع إلى المزيد،

فذاك أفضل لي كي أمتحن قدراتي».

يعود بيت الشعر هذا لأديب كان قد عاش في القرن السابع عشر، وربما كان طاعناً في السن، إلا أنه وصف دقيق لطاقة الاحتمال لديها، إذ يعبر عما يجول في خلدها. انتمت كوماكو لذلك الصنف من النساء اللواتي تشع قدراتهن أكثر نصاعة كلما واجهن محنة أكبر، ولا شك أن الكبرياء يلعب دوراً في هذا، ولكن كان هذا أيضا لمزاجها الخاص. يشبه الوقوف إلى جانبها الوقوف إلى جانب الموقد الذي يحرق العام بأكمله ليولد الحرارة التي تقتات على الدم أو الروح أو أي شيء آخر، وهذا أمر واضح تقريباً. قوة العزيمة عبارة أقل دقة من أن تصف قدراتها.

هذه القدرات هي التي اكتشفتها أم إيوسوكي الحصيفة، فوضعت ثقتها بها.

«يمكنك أن تري أي صنف من الرجال ينتمي إليه إيوسوكي، لذلك عامله كما تعامل ابنك». كانت قد نصحت كوماكو مرة بهذه الكلمات بعد الخطبة.

من الواضح أن أكينو كانت تحمل رسالة مهمة؛ فقد قصدت أنه حتى عندما يصبح للزوجين

أطفال ينبغي لكوماكو أن تعتني بإيوسوكي ليس بوصفه زوجاً، ولكن بوصفه طفلاً كبيراً، بكلمات أخرى لم تتوقع أكينو من أية امرأة أن تحب ابنها إيوسوكي بوصفه رجلا أو زوجا. أرادت أكينو أن تثير لدى زوجة ابنها غريزة الأمومة لتكون أقوى من أية عاطفة يمكن لامرأة أن تقدمها. لقد وجدت كوماكو نفسها تسترجع تلك الكلمات، وهي تفكر كم كانت الأم تعرف ابنها.

كانت كوماكو في ذلك الوقت شابة يافعة قليلة الخبرة، فأخذت كلمات أكينو تعبيراً عن حنو الأم. كانت كوماكو حينها مفتونة بإيوسوكي، ولسبب يصعب تفسيره، حظي هذا الرجل ذو الجسد الضخم بإغراء مبهم، فتذكرت ابتسامتها عندما كانا مخطوبين واعتدادها بنفسها عندما أباحت لإحدى صديقاتها، «إنه يختلف تماماً عن جميع الناس الذين عرفتهم، ولم أعثر على أي إنسان يشبهه في واقع الحياة ولا في الروايات. يذكرني أحياناً بعجل صغير، ولكن حتى هذا لا يوضح حقيقة سريرته. ربما يمكنك أن تشبهيه ... بالمحيط. تشعرين بأنه يمتلك اتساع المحيط وعمقه ... هل تعلمين! فهو ضخم إلى حد ما و ذو حجم غير مألوف. إنها مغامرة تكاد لا تصدق ... أن تتزوجي من رجل مثله».

كانت كوماكو فتاة مفعمة بالحيوية وسرعان ما تتعالى على هذا الرجل أو ذاك، تزدري الذكي منهم والوسيم، واحداً تلو الآخر دون أن تظهر عليها أدنى علائم الشعور بالأسف. إن وقوعها في غرام مطلق بشخص كإيوسوكي ليشكل تحدياً لجميع أنواع المنطق، وربما كانت حالة من الحالات الكارثية التي ولدتها العقلانية المفرطة. فطوال فترة حياة أمه أكينو الحكيمة، لم يضعف إغراء إيوسوكي لأن أمه كانت تبذل جهداً عظيماً كي تمنع ظهور الجانب السيئ في شخصيته. أما بعد وفاتها، وفي سنوات الحرب، راحت كوماكو تعاني خيبة أمل تلو الأخرى. فقد تبين أن إيوسوكي عديم الفائدة حقاً، وبعيد كل البعد عن اتساع المحيط ... أو حتى طيبة العجول. كانت كوماكو، حتى الأشهر الأخيرة في فترة الحرب عندما سحب ليلتحق بفيلق البناء العسكري، على معرفة تامة بأن زوجها غير قادر على رفع إصبع واحدة للتغلب على المصاعب في الأوقات العصيبة.

كوماكو إحدى تلك النساء اللواتي يشبهن كثيراً من الرجال الذين يرفضون الاعتراف بالهزيمة، تحتمل كل شيء دون أن تنطق بكلمة تنم عن التذمر.

ماذا يمكن للمرء فعله لاسيما أن هذا ما قد حاكه القدر له؟ هكذا كانت تفكر، مقنعة نفسها بالقدر الذي كتب لها، فراحت تتعايش مع قدرها. منذ أن تزوجت إيوسوكي، غدت مسؤولة عنه، ولم تضع اللوم على أحد آخر، على الرغم من معرفتها أنها قد تزوجت من رجل لا يصلح لأي شيء، ما كانت لتطلب الطلاق منه، بل ارتبطت به مهما كشف ذلك عن تفوقها. لم يكن من شيمة رائدات حقوق المرأة أن يتساهلن ويتسامحن تجاه سلوكها.

إن قرار قبول الطريق الذي يختاره الإنسان لنفسه لهو في نهاية الأمر نتيجة لوعي مدرك؛ وشاهد على ذلك رجل الحرب مايوموتوموساشي، فكم يبلغ عمق القلب البشري الذي لا يمكننا إدراكه لاسيما قلب المرأة، وكم نجهل الكثير من الأعماق والقرارات غير المكتشفة في قلوبنا!

وعلى الرغم من أن كوماكو لم تتحدث عن ذلك، إلا أنها تدرك في عمق لاوعيها الشخصي أنها كانت قد خدعت، وقدرما كانت مصممة في وعيها على أن تحتمل مسؤولياتها، لم يكن ممكناً إسكات صوتها الداخلي.

تغتاظ كثير من النساء من القوى التي تخرب حيواتهن. وجميع النساء المتزوجات يخفين مثل هذه المشاعر بدرجات متفاوتة، فهي موجودة لدى جميع نساء العالم، وهي تختبئ في زوايا غريبة من النفس البشرية لدى حتى أكثر النساء حظاً، لذلك لايمكن اعتبار كوماكو مخطئة لامتلاك مثل هذه المشاعر. فعلى أية حال، إن شدة الغضب والنفور التي تعتلج في نفس هذه المرأة لكافية حتى تجعل شعرها ينتصب واقفاً.

سيغدو كل شيء على ما يرام لو ظلت مثل هذه العواطف دفينة، أو ساكنة إلى الأبد إلا أنها تطفو على السطح بين الآونة والأخرى ظاهره على شكل كلمات مصححة، تظهر للعيان خافتة حتى لو طمست. مؤخراً، بدأت كوماكو تصر أسنانها في أثناء نومها، فيصدر عنها صوت غريب يكسر صمت الليل، كما أنها راحت تصدر التنهدات الطويلة في أثناء النهار، وفي بعض الأوقات راحت عيناها ترسل نظرات مقلقة، في حين بدأت تظهر على وجنتيها بعض التقلصات اللاإرادية بين الفينة والأخرى.

بدأت كوماكو تجد في سلوك إيوسوكي مصدر إزعاج شديد، إلى درجة أنها راحت تتحدث إليه بقسوة شديدة. إلا أنه، لم يأبه كثيراً لما قالته مما جعلها تضاعف من قسوتها عليه.

فالمرأة ذات المنبت الطيب التي أتقنت بمهارة استعمال ألقاب التشريف كما يستعملها أبناء الطبقات الناعمة، قد أصبحت الآن صفيقة تتحدث بدناءة نادلة خمر تنتمي إلى طبقة الرعاع من المجتمع، ولم تكسب إكرامية جيدة.

نادراً ما يلوم المرء كوماكو؛ فهي تكاد لا تدرك كم تغيرت. بالطبع، تعترف أن ثمة كثيراً من الأمور غير العادلة والمضنية التي مرت بها في أثناء حياتها. إذ لا يحمل أحد على كتيفيه عبئاً ثقيلاً وبوسعه أن يتحرر من مثل هذه الأفكار. كان مرتب إيوسوكي الشهري اثني عشر ألف ين، وإذا أضيفت إليه العلاوت الأخرى، فيصل إلى عشرين ألف ين. فبعد اقتطاع الضرائب ورسوم النقابات المالية ونفقات ضيافة الزملاء وبعض النفقات الأخرى، يعود إلى منزله بأقل من عشرة آلاف ين. وكان من الأفضل أنه لو كان قد سلم جميع مرتبه لكوماكو، إلا أن إيوسوكي لم يفقد عادات إسراف الابن المنحدر من أسرة ميناميمورا الثرية، فبالنسبة له، المرتب الشهري ما هو إلا لينفق في ليلة واحدة في جينزا. في الحقيقة، يقل عدد الرجال الذين يشبهون إيوسوكي في استخفافه بقيمة المال. ولأنه اعتبر أن الحصول على المال أمراً مضموناً، اعتقد أن الأمر ذاته بالنسبة لزوجته. فقد مرت شهور لم يأت فيها بقرش واحد إلى المنزل، وعلى الرغم من معرفته المسبقة بتعنيف كوماكو وتوبيخها إياه، لم يكن لديه أي شيء يقوله. في مثل هذه الظروف، كل ما تستطيع الزوجة فعله هو أن تبتكر خطة شخصية لنفسها.

كانت كوماكو قد واجهت ظروفاً أسوأ من هذه. فبعد وفاة أم إيوسوكي، احتملت وحدها أعباء المصائب التي حلت بهم، مثل تلك التي نجمت عن الصعوبات المالية التي سببتها الحرب والنزوح إلى الريف بسبب الغارات الجوية ودفع ضرائب الإرث، وترتيب شؤون العائلة المالية بعد أن أعلنت الأسرة إفلاسها. لقد جعلت منها جميع الظروف امرأة حكيمة و صلبة قبل أوانها.

يجب ألا يستهان بخطة بعيدة المدى وضعتها امرأة مثل كوماكو. فلم تقحم نفسها مباشرة بالحصول على تأمين أو إخفائها لبعض المبالغ في أماكن سرية، ولقد عقدت صفقتها مع السماء والقدر، فصممت أن تحيا على طاقاتها الشخصية، ومثل هذا الحل يمكن أن يكون مخيفاً قليلاً.

لم يمر وقت طويل قبل أنت يصبح دخل كوماكو الشهري أكثر من عشر آلاف ين، وذلك

بإعطائها دروساً باللغة الإنجليزية، وخياطة الملابس كانت هي تلك الخطوة الأولى فقط. ولما لم يكن بمقدورها أن تعتمد على دخل ثابت من زوجها إيوسوكي، كان عليها أن تحصل على أكبر دخل يمكن لها الحصول عليه، وذلك من خلال طلبها أعلى الأجور كما يفعل مالك أرض، وما كان هذا الترتيب مجرد مقدمة لترتيبات أخرى أكثر جدية. بدأت شخصيتها الحقيقية تظهر عندما شرعت بدراسة نص الدستور الجديد، الذي بدأ العمل به في شهر أيار (مايو) عام 1947، وعندما بدأت تطور فلسفة خاصة بها راحت تبدو فتاة مختلفة تماماً، لقد قررت، على الرغم من حبها له كأم، أن يكون هناك حد لمقدار الحب الذي يمكن أن تغمر به زوجها.

منذ البداية، كان من الشؤم أن تتزوج في عام اندلاع حرب المحيط الهادئ، إذ تحولت حياتها إلى حطام وعذاب نتيجة لهذا الحدث. ربما يعلم العالم الكثير حول أرامل الحرب، ولكن ينبغي أن يعلم أكثر حول الزوجات في أثناء الحرب لأنهن أرامل أيضاً بطريقة ما، فالفرق الوحيد هو أن الأرامل قد فقدن أزواجهن في الحرب، في حين تفقد الزوجات في أثناء الحرب وجود أزواجهن بقربهن. نتيجة للحرب، خاب أمل النساء اليابانيات برجالهن. ورحن يمتنعن عن الاعتماد عليهم والتعامل معهم بجدية. وجوهرياً، يمكن للمرء أن يقول إنهن تجاهلن أزواجهن. تعلمن كسب عيشهن بطرقهن الخاصة والتفكير باستقلالية، وإطعام أنفسهن من خلال جهودهن الخاصة، وتلبية رغباتهن الملحة. اتخذن القرارات جميعاً بأنفسهن، وأصبحت مثاليتهن بعيدة عن الاعتماد على أزواجهن.

«الحرية ... شكلت صرختهن في الحرب!»، لقد كانت الحرية غنيمتهن من الحرب، وعلى الرغم من ذلك ما كنت لتجد إحداهن شاكرة لها، وعندما انحدرت الحرب نحو الهاوية، كانت أولئك النسوة من استبدلن الأثواب الفضفاضة بسراويل العمل المريضة، وهن اللواتي وقفن في طوابير لأجل الحصول على المؤن، واندفعن مسرعات كي يلقين بصفائح الماء عندما تشتعل النيران، ووقفن منحنيات في قطارات تملؤها أكوام الأطعمة التي اشترينها من الريف لإطعام أسرهن في المدينة، وهن اللواتي نظفن مراحيض الثكنات. لقد افترضن أن ذلك المقدار من الحرية أمر طبيعي، ولكنه لايزال بعيداً عن مقدار الكفاية. هذا هو السبب الذي جعلهن في عام 1950، يعتمدن على أنفسهن من خلال جهودهن الشخصية وهن واعيات بهذه الحقيقة، وإدراكهن لذلك حتمي و فوري. لقد كان اهتمام النساء اليابانيات بأنفسهن ثورة.

حسنا، سأقدم لك معروفا بمنحك نصف ما أكسبه! كانت هذه رسالة كوماكو لإيوسوكي. لقد آلت الأمور في المنزل إلى هذه الحال. شعرت كوماكو بالكبرياء تنبع من أعماق نفسها، فمن البديهي أن تحس بالفوقية، لاسيما أنها هي من يكسب العيش ويقدم العون. لا تفكر فتيات الطبقة الكادحة بهذه الطريقة، ولكن عندما تكتشف من ولدت في أسرة ثرية القدرة الجديدة الشجاعة على كسب قوتها بنفسها، فإن مثل هذا الاكتشاف جديد ونابض بالحياة.

ما كانت تجد كوماكو أكثر الأمور إزعاجا لها هو تكاسل إيوسوكي الذي ساء يوماً تلو الآخر. ربما كان عمله في وكالة الأنباء سهلاً، غير أن ذهابه إلى العمل متأخراً حتى وقت الظهيرة أمر شائن، وخصوصاً أن ذلك يتعارض مع وقت عملها في المنزل عندما تكون متحررة من واجباتها الزوجية. وإن لم تحرضه، فلن يتحرك حتى منتصف بعد الظهيرة. وقد أثار ذلك شكوكها بوجود شيء آخر غير الكسل.

«هاك جوربيك وقميصك»، بدأت كوماكو تلقي إليه بثيابه، قطعة تلو الأخرى، وربما بدت هذه المعاملة قاسية، ولكن لم يكن إيوسوكي زوجاً طبيعياً. ولو لم تلجأ إلى مثل هذه التدابير الاستثنائية، لما كان، على الأرجح، يدرك فحوى هذه الرسالة على الإطلاق.

ورداً على سلوك زوجته، لم يرمش إيوسوكي عينيه. ودون أن ينبس ببنت شفة، راح إيوسوكي يرتدي ثيابه وجوربيه الواحد تلو الآخر ويحبك أزرار قميصه، ولكن حركته كانت متباطئة كما لو كان فيلماً قد تم إبطاء عرضه. واليوم خصوصاً، استغرق لبسه الثياب وقتاً أطول.

«لا أستطيع أن أجد قمصاناً على قياسك في المحلات، لذلك لا تلطخ قميصك هذا!» لاحظت كوماكو مؤخراً لطخاً صفراء على مقدمة قمصان إيوسوكي، ربما كانت نتيجة سقوط بعض الأطعمة عندما كان يتناول شراب الكحول خارج المنزل. فمثل هذه الأشياء لا تفوتها.

كان حجم إيوسوكي أكبر من أن يجد ثياباً جاهزة، حتى الملابس الداخلية، على قياسه، مما كان يرتديه معظم الناس. كان هناك متجر وحيد قبل الحرب يبيع ثياباً ذات مقاسات كبيرة جداً، ولكنه توقف عن بيعها. لذلك راحت كوماكو تشتري أية أقمشة تقع عليها يدها لتخيطها له، فكانت تخيط له جميع ثيابه، وهذا وحده يشكل اهتماماً خاصاً منها، ويبعث

الشعور إما بالشفقة أو بالكبرياء، لاسيما إذا تخيلت مظهر إيوسوكي البائس لو كان قد تزوج من امرأة غيرها، وهذا شكل وثاقاً يربطها به.

«هاهي محفظتك وبطاقة القطار. لقد وضعت فيها ثلاثمئة ين».

على الأقل، كان هذا الشيء الوحيد الذي لم تلق بها إليه. أخذها إيوسوكي ودسها في جيبه كعادته، ولكنه لم يقف بعد. عرفت كوماكو أنه بعد أن تم تحريضه وتحفيزه إلى ذلك الحد سينصرف بعد نحو خمس دقائق، فانصرفت إلى آلة خياطتها. مرة أخرى، راح ضجيج الآلة يملأ المنزل الصغير.

«ماذا ؟ هل مازالت هنا؟»

طوال الوقت الذي استغرقت خياطتها لخلفية فستان فتاة، كان إيوسوكي جالساً بهدوء، وهو يضع إحدى قدميه فوق الأخرى. لقد أفزعها عدم حركته.

«ماذا بك؟» ذهبت نحوه ووقفت هناك متسمرة مثل عمود هاتف.

«كنت أفكر في أنه لن يكون مجدياً الخروج من المنزل». كان الشيء الأول الذي قاله دون أن يحثه إليه أحد، وكانت حركته مثل حديثه بطيئة.

«ماذا تعني، لن يكون من المجدي؟» صاحت.

إنه من الغرابة أن يبدأ زوج غير ذي نفع حديثه به، فلم تستطع أن تكبح جماح غضبها، ولكن إيوسوكي تابع بصوت يشبه مقطوعة ملحن.

«لا أعتقد أن للخروج كل يوم معنى بغية التسكع فقط وقتل الوقت». ما عساه أن يقول؟

«عمن تتحدث؟» صرخت كوماكو

«عني بالطبع».

«أنت؟ تتسكع؟ تقتل الوقت؟»

«نعم. مؤخرا، على أية حال!»

«ماذا تعني؟ إنني لاأفهم!» شعرت كوماكو وكأن ضباباً كثيفاً قد لفها، ما جعل تفكيرها يتوقف برهة من الزمن، ثم أدركت ما عناه.

«هل تعني أنك لم تكن تذهب إلى المكتب؟»

«نعم». لم يبد عليه أي نوع من التأثر.

«إذاً كنت طوال ذلك الوقت تتظاهر بالذهاب إلى العمل، ولكنك كنت تخرج لتقضي وقت ممتعاً!»

«حسناً، ليس بالضبط، لقد حدث ذلك في تلك الطريقة».

كانت كوماكو قد تعودت أجوبة إيوسوكي، وكأنها غيوم لا يمكن الإمساك بها، لذلك لم تفاجئها كلماته، ولكن لم يخطر لها أن كسله قد وصل لمرحلة قد توقف فيها عن العمل.

«لا أصدق هذا!» قالت جزعة وهي تتلعثم بكلماتها، «يا للسماء، إنك تتصرف وكأنك طفل يهرب من المدرسة».

كل ما استطاعت فعله هو أن تحدق فيه كأم غاضبة من هذا الزوج المهمل الذي لم يكن يتصرف مثل طفل مدرسة يرفض الدراسة.

اعتقدت كوماكو أنها تسيطر على زوجها كلياً، واقتنعت أنها تعلم بجميع حركاته، لذلك فكرة أنه قد كذب عليها قد جعلتها تبدو غاضبة جداً.

«آه .... لقد فهمت الآن». قالت مستنبطة، لقد تم فصلك من العمل؟»

يعلم جميع من في العمل أن إيوسوكي غير ذي نفع، والرجل الذي قام بتوظيفه، قد خسر مكانته في عملية تطهير الوظائف في الدولة من أولئك الذين اتهموا بالخيانة في أثناء الحرب، فأصبح الآن يعمل في مكان آخر، ولم يكن من المفاجئ أن يفصل إيوسوكي من عمله، وقد فقد دعم ذلك المسؤول.

«كلا» كانت هذه إجابة إيوسوكي الهادئة.

«إنك لم تفصل ... ماذا إذن؟ هل تعني أنك توقفت عن الذهاب إلى العمل، ورحت تتسكع؟»

لم يكن هذا أيضا ليغفر له، ولكن كان تحمله أسهل من أن يطرد من العمل، إذ كان باستطاعتها أن تجبره أن يعوض عن ذلك من الآن فصاعداً بالذهاب إلى العمل بانتظام. على الرغم من أنه لم يبق إلا القليل من مرتبه عند عودته إلى البيت، فقد كان ذلك أفضل من لا شيء. وعلاوة على ذلك، عادة ما تشعر الزوجة بطمأنينة عندما يكون زوجها على رأس عمله.

«كلا، إن الأمر ليس كذلك». لايزال إيوسوكي هادئاً.

«إذا ماذا قد حدث؟» كان من الصعب على كوماكو أن تخفي غضبها «هل لك أن توضح الأمر من فضلك؟»

«لقد توقفت عن العمل بكامل رغبتي». قال ببساطة كلما يستطيع قوله.

«تخليت عن عملك؟ هل تعني أنك قد قدمت استقالتك؟»

«نعم». صدمت كوماكو صدمة قوية «كيف يمكنك فعل ذلك دون أن تخبرني؟»

«لو أخبرتك، لكان على الأرجح ألا تقبلي الفكرة».

«بالطبع، ومتى قمت بذلك؟»

«منذ حوالي شهر».

«منذ شهر! تعني أنك كنت تخدعني طوال هذا الوقت! ولكن لماذا استقلت؟ ما الذي جعلك تستقيل؟»

بدأ إيوسوكي يبتعد عنها ولكنها تتبعته بنظراتها، إذ ظلت تنظر إليه بثبات منتظرة جوابا.«لقد أردت الحرية».

كيف له أن يجرؤ على قول ذلك. كانت تغلي. يريد الحرية! إلى من يعتقد أنه يتحدث؟ إنه ليس من يتحمل مسؤولية زوج مشاكس أكثر من طفل! لا يترتب عليه القيام بأعمال داخل البيت ولا الخروج إلى العمل، وفوق هذا كله، لا يقوم بأي من الأعمال المنزلية! وليس لديه وقت أو عمل! لا يحمل أعباء الأمومة، ولا أعباء اسم العائلة، ولا أعراف الأسر الأقطاعية وتقاليدها المتعارف عليها في المجتمع الياباني. كان من الأولى أن تقول كوماكو ذلك قبله. في الحقيقة، ألم تكن تلك هي الكلمات التي هممت بها ليس ضمن أعماق قلبها فحسب، بل في وضح النهار أيضا؟

عما يتحدث هذا الزوج الذي لاقيمة له، ويعيش معتمداً على دخلها. إنه أمر يثير الغضب! كيف له أن يجرؤ على التفوه بمثل هذه الكلمات أولاً!

«لقد استقلت، لأنني أردت الحرية». كرر ذلك.

هكذا كانت في البداية صدمة كوماكو، إذ اعتقدت في البداية أنها قد سمعت خطأ، ثم انفجرت ضاحكة، «أنت..! إنه أمر مثير للضحك، ومثير للسخرية كذلك!»

«لماذا؟»

«كيف لك أن تسأل لماذا؟ إنه لأمر مثير للسخرية». لقد شعرت بدوار يلف رأسها، وراحت تلف ذراعيها عندما كانت تحاول إخفاء ضحكتها، كما ظهر في عينيها لمعان غريب، فحدقت فيه بحدة شديدة، وبدت كأنها تحاول أن تحدث ثقوباً في وجهه. لقد امتزج المرح بالغضب بطريقة شيطانية، ولكن طبيعة إيوسوكي لطيفة جداً، حتى إنها قد أخفت حنقها.

«لقد كان يدور في ذهني مؤخراً».. بدأ إيوسوكي، «أسئلة حول مجتمعنا و حول الشركة وكل ما تتمحور الأشياء حولها هي حرية الفرد وحرية الناس». بينما هو يتحدث، بدا وكأنه راح يتحمس لفكرته.

«هل لك أن تخرس!» نفد صبر كوماكو ولم تعد تقوى على ضبط نفسها ... «ها أنا يجب علي أن أعلم الإنجليزية للأطفال الفاسدين في الجوار، وأنسج وأخيط مقابل أجر زهيد وأنا مسؤولة عن طقوس أقاربك وعاداتهم، وأتحمل نفقات قبور أجدادك. أعمل قصارى جهدي كي أبقي رؤوسنا عائمة فوق الماء، وأنت كنت تتسكع طوال شهر كامل! لقد تخليت عن عملك دون أن تأبه لي، وأنت لاتزال تخرج من المنزل وفي جيبك ثلاثمئة ين تأخذها مني. أليس هذا صحيحاً؟»

«حسنا، أعطيتني إياها ولذلك أخذتها. لقد حصلت على تعويضات بدل عملي، لذلك لم أكن بحاجة إلى أكثر من ذلك».

«تعويضات؟ حتى هذا الأمر أخفيته عني؟»

«لم أخف ذلك؟ ولكن لم يكن من السهل إخبارك، لأنني قد استقلت، لذلك .»..

ساد صمت مقلق. ارتجفت كوماكو من رأسها حتى قدميها، وعضت على شفتها بشدة حتى كادت تدمى.

«اخرج!» انفجرت.

ارتفع صوت كوماكو ليشبه صوت البوق. لقد فوجئت هي نفسها من تأثير كلماتها وحدتها. كان ذلك الصوت قد انبثق من أعماقها، ولكن عندما تبينت ما قالت، لو أنها قد سحبت كلماتها .... فقط، قالت بهدوء أكبر «إنني آسفة، ولكنني أعتقد أنه لن يكون باستطاعتي العيش معك أطول من ذلك بعد الآن، ومن الأفضل أن تغادر».

أدار إيوسوكي وجهه ليلقي بنظرة حادة إلى كوماكو، ثم أجاب بصوت متثاقل: «لقد فهمت».

نهض ببطء ليقف على قدميه، وليتناول قبعته من على المسمار المثبت بقرب الباب، ثم أضاف، «سأذهب إذاً ... وداعاً. بالمناسبة، بقيت تعويضات عملي في درج المكتب».

الفصل الثاني
جمعية غوشوكاي

انقضى أسبوع منذ أن غادر إيوسوكي المنزل. وكان قد أتى اليوم الثالث، ثم انقضى، ثم الخامس، وبعدها جاء يوم الأربعاء ثانية وعندها بدأت كوماكو تقلق قليلاً، إلا أنها لم تنظر إلى القضية بجدية كبيرة. فكيف لرجل لا سند له يستطيع العيش دون أن يرعاه أحد مثلها؟ كان على الأرجح يقيم مع مجموعة أصدقاء له، لذلك لابد أن يكون هناك حد لقدرتهم على استقباله معهم. وإذا ألمحوا إلى أن وقت مغادرته قد حان، على الرغم من انعدام قدرته على ملاحظة ذلك، فإنه سيفهم الإشارة. وعلاوة على ذلك، فإن نقوده ستنفد.

بعد أن غادر إيوسوكي المنزل، بحثت كوماكو في درج المكتب حيث وجدت ما يزيد على سبعة عشر ألف ين بقليل. لم تكن تعرف وكالة أنباء طوكيو بكرمها، ولكن كان هذا المبلغ جزءاً من التعويضات التي تلقاها إيوسوكي مقابل خدمته أكثر من تسع سنوات في الوكالة. لقد أذهلها التفكير بالمبالغ التي أنفقها على الطعام والشراب اللذين تناولهما عندما كان يتظاهر بالذهاب إلى العمل، وما جعلها غاضبة جداً بصورة خاصة هو مبلغ الثلاثمئة ين الذي أعطته إياه كل ثلاثة أيام نتيجة جهلها.

في اليوم الذي غادر فيه المنزل، لم يكن في محفظته كثير من النقود، لذلك لم يكن من الممكن أن يتوافر أكثر من ثلاثمئة ين كانت قد دستها في محفظته. بدأت تخمن بعد يومين أو ثلاثة، في أنه لن يكون بمقدوره شراء السجائر لاسيما أنه لن يتوافر لدى أي من أصدقاء إيوسوكي النقود ليقرضه. لذلك سيضع نقص المال، قبل أي شيء آخر، حداً لتسكعه. كان اعتماد إيوسوكي على النقود يشكل أحد أكبر نقاط ضعفه.

تخيلت كوماكو ظهور إيوسوكي في الحديقة ويده الضخمة تحك رأسه بخجل، وهويقول:

«لقد فكرت أنه من الأفضل أن أعود». في نيتها توبيخه وتعنيفه وهذا سيترك أثراً في

نفسيته وكذلك في جسده لدرجة أنه لن يخطر له ثانية أن يفكر بترك المنزل مرة أخرى، ولكن عندما انقضى أسبوع كامل، دون أن تلوح بالأفق أية علامة على عودته، كان قد تبدد غضبها.

كانت قد فكرت في أنه من الغريب أن يستطيع الابتعاد عنها مدة طويلة، ولدى تطلعها لظهوره ثانية يوماً بعد يوم تذكرت غواصي البحر، إذ لا تستطيع توقع وقت ظهورهم على سطح البحر ثانية، ولكنك واثق من ظهورهم. تتعجب، طوال فترة غوصهم، من قدرتهم على البقاء في الماء كل هذه الفترة الطويلة.

لقد خطر لكوماكو فجأة أنه ربما قد ذهب إلى منزل خاله ليقترض النقود. كان خاله الأصغر باحث قانون متقاعداً وذا طباع غريبة بعض الشيء. يعيش في منطقة اصطياف من أويسو التي تقع على شاطئ المحيط الهادئ، وتبعد مسير ساعة بالقطار من طوكيو. وعلى الرغم من حصوله على لقب برفسور فخري من جامعة تي ذات المكانة العالية، إلا أنه قد انسحب من حياة المدن ليعيش حياة النساك تلبية لرغباته الذاتية. لم يكن غنياً، بالتأكيد يتلقى بعض النقود من الكتب التي ألفها، و مؤخراً من خلال كتاباته بعض المقالات للمجلات ذات المستوى المتدني، وهذا ما رفضه طلابه القدامى. ولكن لابد أن يكون أي نوع من ذلك الدخل زهيداً. كانت كوماكو تعلم أنه صعب المراس، وأنه سيكون أكثر من سخي عندما يفتح محفظته تلقاء نفسه، وسيرفض تقديم أي دين لأحد يطلب ذلك منه. لا يوجد احتمال أنه سيقرض مالاً لإيوسوكي. علاوة على ذلك، فليس من الممكن أن ينحاز هذا الخال إلى قريب له، فهو دائماً يحنو على كوماكو حنوه على إيوسوكي. لهذا السبب، شعرت كوماكو بارتياح لقيامها بزيارته لمناقشة هذه الحال.

ولأنها تعرف إيوسوكي جيداً، فلم تكن متيقنة من أنه لن يذهب هناك كي يقترض نقوداً، ولأن طلبه قد رفض، فقد انتهى الأمر به إلى استغلاله حسن ضيافة خاله فبقي هناك. فكرت كوماكو في أنها لو ذهبت إلى أويسو، لاستطاعت أن تحصل على بعض المعلومات حول زوجها الطائش. كان الخال أحد أكبر أفراد الأسرة سناً، وإن لم تحصل على أية معلومات فهي على الأقل تقوم بواجبها بوصفها زوجة لإيوسوكي وذلك من خلال إعلام الآخرين أنه قد غادر المنزل منذ أسبوع ولم يعد بعد. ربما لن يكون من اللائق كشف طبيعة شجارهما

الزوجي، ولكن إعلام هذا القريب أسهل من إعلام الأقرباء الآخرين.

ربما استطعت أن اكتشف شيئاً من خلال ذهابي.. فكرت كوماكو.

بعد ترتيبها المنزل في وقت مبكر، أغلقت باب منزلها وغادرت. وقفت عند المنزل الرئيسي لتخبر المالك أنها ذاهبة، وتطلب منها أن تراقب منزلها. لقد كان غياب إيوسوكي أمراً ملائماً، إذ تستطيع ترك المنزل متى شاءت بعد أن تخبر مالكته بذلك.

اشترت في شونجوكو الهدية الضرورية للأقرباء الذين يقطنون مدينة أويسو، ثم وصلت محطة طوكيو في الوقت المناسب لتصعد قطار الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق المتجه إلى أتامي. ولأنه يوم عمل، فلم يكن القطار مزدحماً، وكان هناك العديد من المقاعد الفارغة. كانت آخر مرة ركبت هذا القطار بعد نهاية الحرب حيث غطيت النوافذ بالألواح الخشبية، ولكن قد تم تبديلها الآن بنوافذ زجاجية. بينما القطار يشق طريقه بمحاذاة الشاطئ، مرت بمشاهد جميلة لسماء زرقاء ونباتات خضراء.

دهشت كوماكو للفرحة العارمة التي انتابت قلبها إذ لم تشعر بخلوها من الهموم منذ النزهة التي قامت بها وهي طالبة مدرسة إلى كيتو. كانت تود لو أدت ترنيمة لحن أو تناولت قطعة شكولاته من حقيبة يدها. أهكذا يجب أن تشعر زوجة كان زوجها قد ترك منزله منذ أكثر من أسبوع؟!

فكرت بهذا! فقبل مغادرتها في ذاك الصباح، كانت قد قضت وقتاً أطول من المعتاد في وضع المساحيق على وجهها، فتفاجأت كم تبدو شابة يافعة في المرآة. لقد اختارت طقماً أزرق رمادي اللون ودققت في مظهره أكثر من مرة، وحيث خاطته لنفسها مؤخراً، ثم حملت بيدها حقيبة يد جلدية زرقاء غامقة اللون لتناسب طقمها. عجبت من نفسها لماذا قضت وقتاً طويلاً كهذا لتجعل من نفسها جذابة على هذا النحو. لم يكن ذلك من عادتها ما لم ترغب بكسب رأي ذلك الخال المسن الذابل في أويسو، ما شكل مضيعة لمجهود كي تبدأ به.

بينما القطار توقف في محطة يوكوهاما، حدق رجل يرتدي ملابس أنيقة مثل رجال الأعمال، أو ضابط يرتدي ملابس مدنية، يلف ذراعه حول زوجته، حدق في كوماكو عندما مر بجوار نافذة القطار. عبرت تعابير وجهه عن إعجاب نجم عن اكتشاف وردة

جميلة في مكان لم يكن يتوقع رؤيتها فيه. صرفت كوماكو نظرها عنه بسرعة، ولكن وجهها احمر. كان قد انقضى وقت طويل منذ أن احمر وجهها هكذا آخر مرة، هل تشعر الزوجات الآخريات بالوحدة هكذا عندما يختفي أزواجهن؟ الغريب هو أنها لم تشعر بالوحدة قط منذ الليلة الأولى التي ترك بها إيوسوكي المنزل. حقاً لقد جلب غياب ذلك الجبل الهائل من اللحم الممدد إلى جانبها نوعاً من الراحة. الآن، بدت الغرفة الصغيرة التي كانا يضعان فراشهما فيها كل ليلة واسعة جداً، وعوضاً عن قلقها الدائم على إيوسوكي، بدأت تجد نفسها تنام مباشرة حتى الصباح. وقد دهشت لأنها أكتشفت أن تصرفاتها لا تتضمن حباً نحو زوجها. طردت هذه الفكرة بسرعة من ذهنها، و ربما أن السبب وراء ذلك هو اقتناعها بعودته قريباً جداً.

حالما ظهرت لها هضاب أويسو وجهزت نفسها للنزول من القطار، بدأت كوماكو تأسف لعدم قدرتها على البقاء في القطار، إذ أرادت أن تتابع سفرها إلى وجهة غير معلومة وبعيدة بعد الولايات المتحدة الأمريكية.

ولما أدهشتها متعة السفر، نسيت أمر الشطائر التي حضرتها لأجل غدائها، ولكن لم يكن ذلك أمراً هاماً. خرجت من المحطة مسرعة بمحاذاة عربات سكة القطار عكس الاتجاه الذي جاء منه القطار. عندما كانت طفلة كان أبوها يملك بيتاً ريفياً صيفياً في أويسو، لذا فهي تعرف المنطقة جيداً. يقع المنزل في منطقة غنية، ولكن في المنطقة المجاورة التي يقطن فيها خال إيوسوكي عدد أقل من المنازل، والأرض منحدرة وغير منظمة. بينما هي نزلت المنحدر الخفيف، هبطت إليها أحلام اليقظة أيضاً فجأة. وحملت النسمات رائحة المحيط، وتعرج كثيراً الممر الضيق الذي يخترق أشجار الصنوبر، قبل أن يصل بوابة خشبية بسيطة نصبت عند سور من أشجار الصنوبر الصينية. الكتابة التي نقشت على الخشب قد بهتت كثيراً حتى غدت قراءة اسم هنيدا شيكارا في غاية الصعوبة. بدا المنزل خرباً كذلك، فمن الصعب على أحد أن يتوقع عالماً محترماً يقطن فيه، إذ كان قد بني بسرعة منذ خمسة عشر عاماً، عندما لم يكن خال زوجها في حال أفضل من التي هو فيها الآن.

عندما دفعت كوماكو باب المنزل الرخيص الثمن، وألقت التحية، فوجئت برؤية عدة أزواج من الأحذية مرصوفة جانباً داخل الممر الحجري، وكان ينبعث من داخل المنزل

أصوات قهقة وحديث. راحت تفكر كم هو غريب أن يستضيف زوجان اعتبرتهما غير مولعين بالحياة الاجتماعية ولم تسمع بهما مجموعة كبيرة من الناس من قبل! هكذا، أدركت أن أحداً لم يسمعها أو لم ينتبه إليها. أعتقدت كوماكو أن هذا الوقت ربما لم يكن مناسباً، فليس من السهل التحدث على انفراد.

إلا أنها لم تشأ أن تستدير لتغادر، لذلك ذهبت إلى المدخل الخلفي حيث كان باب المطبخ مفتوحاً، ورأت زوجة الخال -هنيدا جينكو- كانت ترتدي صدرية بيضاء فوق ثيابها، ونظارات وهي تقطع بعض المخلل على لوح التقطيع. نظرت جينكو مندهشة:

«كوماكو! يا إلهي، مجيئك إلى هنا أمر غير متوقع».

«حسناً، لقد ناديت عدة مرات عند الباب الرئيسي ولكن .»..

« آه ... نعم، إن بيتنا مليء على نحو غير اعتيادي هذا اليوم، إنهم أعضاء جمعية غوشوكاي، وهم غير مزعجين ... اذهبي إلى الباب الأمامي وادخلي بالطريقة المناسبة».

«إذا كان هذا لايضايقك، فأنا أدخل من هذه الطريق. أراك منشغلة لذلك لن أمكث طويلاً».

«لا تأبهي لهم كثيراً، فقد أحضروا جميعا غداءهم معهم، لذلك أقدم لهم بعض المخلل المصنوع منزلياً فقط. لست منشغلة أبداً، وأعتقد أنهم سيظلون جميعاً لتناول الشراب هذا المساء، ولكننا سنرى عندما يحين الوقت».

كانت زوجة الخال إيوسوكي ودودة وطيبة القلب كعادتها دائماً، لم تعرف التكبر الذي تتصف به عادة زوجات العلماء، فقد رفضت أن يكون لها خادمة، إذ كانت تقوم بجميع الواجبات المنزلية. لم يكن هناك سوى هي وزوجها، لذا لم تشكل الواجبات المنزلية عبئاً ثقيلاً عليها، ولكن طريقة قيامها بكثير من الواجبات المنزلية دون أن تظهر عليها علائم التثاقل تعود بالتأكيد إلى خبرتها الاجتماعية؛ تقوم بها بتأنق أكيد يتوافر عادة لدى الأسر الراقية في منطقة يمانوت في طوكيو.

«ادخلي إذن، لقد جهز هذا» قالت وهي تنهي تحضير طبق المخلل. «ادخلي الآن إلى غرفة الجلوس».

بينما كوماكو تبعت جينكو في الممر نحو الغرفة المفروشة بسجاد التتامي الياباني، تجولت

بنظرها داخل الغرف، ولكنها لم تلحظ ما يدل على وجود إيوسوكي، سألت بطريقة عابرة إذا ما كان إيوسوكي قد حضر مؤخراً، ولكن الجواب كان على عجلة «كلا!» عندها فكرت كوماكو بأن تخبر زوجة الخال أولاً بغياب إيوسوكي، إلا أن جينكو كانت منشغلة بحديث مبهج، حتى إن كوماكو لم تجد فرصة لتقول كلمة.

«كوماكو... يجب أن تتناولي طبقاً من الأرز الأشزوكي معي، عندي بعض من سمك السورل المملح اللذيذ وبعض البرقوق المخلل الذي يناسبه».

«من فضلك لا تكترثي كثيراً، فقد اشتريت بعض الشطائر، وهي تكفيني».

«لا تتصرفي وكأنك غريبة. نستطيع أن نتحدث في أثناء تناول الطعام».

سرعان ما انغمستا بحديث، ولأن كوماكو وجدت نفسها تتحدث بمرح وضحك، لم تتوافر لها الفرصة لتتحدث عن إيوسوكي. كانت تصل إليهما أصوات قهقهة صادرة من الغرفة الأخرى بين الحين والآخر، حيث كان خال إيوسوكي وضيوفه مجتمعين.

«إنها بالتأكيد لمجموعة مرحة». علقت كوماكو، «هل هم طلاب الخال؟»

«كلا، إنهم أعضاء جمعية غوشوكاي. يجتمعون أول مرة منذ الحرب، لذلك يستمتعون بوقتهم».

«جمعية غوشوكاي، ماهذه؟»

«ألم تسمعي بها؟ إن إيوسوكي يعلم كل شيء عنها. على الأقل، أعتقد ذلك. من الصعب التعريف بهم. إنهم مجموعة من الحمقى، ولكن خالك هو قائدهم».

«هل يدرسون شيئاً غريباً جداً؟» أصدرت جينكو قهقهة بسيطة.

«حسناً يمكنك أن تسميها دراسة، ولكنها في حقيقة الأمر ليست دراسة اعتيادية».

«أي نوع من التجمعات هذا؟» سألت كوماكو بفضول.

«اصغي فقط وأنت ستفهمين. عندما يكون لديك خمسة من هؤلاء القوم المضحكين هنا». أشارت زوجة الخال إلى رأسها الذي كانت عليه قبعة أنيقة وضعت بطريقة تقليدية، وقائدهم هو زوجي.».. أشارت نحو زاشيكي..

«أستطيع سماع صوت امرأة أيضا» قالت كوماكو.

«نعم إنها هوران ... إنها أرملة السيد هوري، رجل الأعمال... إنها ذكية جداً، وتعرف

المسرح وتقاليد حفلات الشاي، ونماذج الرسم الصيني، وهي ناضجة تماماً. كان زوجها أحد الأعضاء المؤسسين، ثم انضمت هي بعد وفاته، قالت إنها كانت أمنية زوجها الأخيرة، ولكنها المرأة الوحيدة.

«هل تعنين السيد هوري مدير شركة الكهرباء الهيدروليكية في اليابان؟ لقد قابلته مرة مع إيوسوكي. كان يسير في جينزا مع ابنه وهو في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمره».

«لابد أن يكون ذلك تكابومي، علماً بأنه قد كبر منذ ذلك الوقت. لقد كان هوري صديقاً حميماً لوالد زوجك لذلك يجب أن يعرفه إيوسوكي أيضاً. جميع أعضاء غوشوكاي يعرفون إيوسوكي، وليس هوري فقط. في آخر الأمر، لقد مضى وقت طويل على تلك المجموعة في 1936 عندما قام مجموعة من الضباط الشبان بانقلاب في السادس والعشرين من شباط، هنيدا كان ساخطاً جداً على ذلك حتى إنه بدأ بتأسيس غوشوكاي».

عندها فقط صدرت أصوات متقطعة لضربات على الطبل من جهة غرفة الاستقبال لتشير إلى بدء عزف لحن احتفالي.

«ها هم يذهبون» قالت جينكو مقهقة ثانية. صاغت إيقاعات الطبل اليدوي ولحن المزمار الحاد المرتفع لحناً احتفالياً مرحاً، سرعان ما تعثرت الموسيقى وتقطعت؛ فلم يكن إيقاع الطبول الصغيرة والكبيرة متناسقاً، وبدأ صوت قرص الغونغ أعلى مما ينبغي، في حين راح صوت المزمار يئن حزيناً. ثم انهارت المعزوفة بأكملها بطريق هزلية، ما سبب في منتصفها انفجاراً من الضحك.

«إن هذا لمشين». قال هنيدا بصوت يشوبه القلق.

«هذا ما نحصل عليه عندما لا نتدرب لوقت طويل». انبعث صوت رجل في منتصف عمره.

«تدربت لأسبوعين، ولم يخطر لي بأنني على هذا النحو من السوء عندما نجتمع». كان هذا صوت رجل أكبر سناً.

«آه ... إنه خطئي أنا. لقد علمني أستاذي الأساسيات فقط، ولكنني عدت إلى العادات السيئة، فعزفتها وكأنني أعزف أغنية شعبية». ثم صوت الفتاة عن وقاحة ولكنه كان عذباً.

«كلا، لقد كان قرصي (الغونغ) كنت أود تقليد الأب واعتقدت أنني أتقنت العزف عليه.

ولكن عندما أتى الأمر إلى التنفيذ الفعلي كنت بعيداً كل البعد.».. تحدث شاب.

«كان أبوك بارعاً في العزف على القرص الكبير». قال الرجل الأكبر سناً، «كان عزفه يجعلك تتساءل عن مهنته الحقيقية– أهي الطب أم العزف على الغونغ– على أية حال، إننا نفتقده بشدة».

«الغونغ آلة موسيقية يسهل العزف عليها، ولكن من الصعب التحكم بها». نظر هنيدا بمقت غير اعتيادي، «لها أربعة ألحان، ولكن حتى إن تعلمت عزفها كلها بشكل جيد فسيظل من الصعب عزفها ضمن المجموعة، وكي تتعلم ذلك يترتب عليك التعلم على جميع الآلات الموسيقية الأخرى أيضا، وبهذه الطريقة كان عزيزي هنمي المسن يحتل المرتبة الأولى».

«إنك تكيل المديح لهنمي، ولكن قل شيئاً جميلاً بحق عزف هوري على المزمار، وإلا نهض إليك الرجل المسن من قبره».

«لا أستطيع أن أقول شيئاً جيداً على المزمار حتى لو وجب علي ذلك، فقليل من الرجال ليسوا موهوبين مثله، ليس ذلك فقط، ولكن يفتقر إلى الأذن الموسيقية، إلا أنه لايزال يحب المزمار! أكثر بكثير من معظم الناس! كما كان رجلاً لطيفاً جداً بكل ما تحمله الكلمة من معنى».

«حسناً إنك تمتدح تارة وتذم تارة أخرى».

«لم يكن هناك تفاحة رديئة في جمعية غوشوكاي، وهنمي المسن وكذلك هوري كانا أفضل الرجال، لذلك أعتقد أننا قد فقدناهما سوية». عبر صوت الرجل المسن عن حب عميق، «إن اجتماعاتنا في الأيام الخوالي رائعة جداً، أنعشتنا وبعثت فينا الحياة من جديد».

بينما أصغت إلى الأصوات القادمة عبر الممر، بدأت كوماكو تفهم طبيعة غوشوكاي.

«حسنا»، جاء صوت هنيدا دعونا نترك الحنين، ونحاول ثانية. فلنجرب اللحن هذه المرة بصوت مرتفع، هل أنتم جاهزون ... تن تن تنيا، تن تنيا، سوكي تن تن، إيا، دودن .»..

«أهذه كاغورا؟» كانت كوماكو تفكر بموسيقى تعزف عند ضرائح القديسين.

«آه، كلا. سيغضبون إن سمعوك تقولين ذلك». راحت زوجة الخال تلوم «حتى إن الآلات مختلفة. هذه الموسيقى الاحتفالية المعروفة التي تدعى واكابياشي».

«هل تعنين ما تسمى بموسيقى باكابياشي الحمقى؟»

«نعم، من الأفضل أن تعرف بذلك الاسم. ليست من الأشياء التي يقوم بها الرجال

المسنون المحترمون عادة».

«لم أعرف أبداً أنها موهبة الخال».

«بدأت المجموعة قبل أن تتزوجي من إيوسوكي، ولكن بسبب الحرب وكل الأشياء الأخرى، لم يستطيعوا أن يتدربوا. بدأوا ثانية هذا اليوم، فهذه المرة الأولى بعد مرور عدة سنوات. سيستمر هذا الصخب الطائش مدة الآن. في حقيقة الأمر، كانوا يشكلون مجموعة تقوم بسرد القصص المضحكة. وفي ذلك الوقت، وقعت جميع أنواع الأحداث المزعجة. فعلى سبيل المثال، أجبر عضو مجلس النواب الدكتور مينوبي تاتسوكيشي على الاستقالة، لأنه قال إن الامبراطور مجرد عضو في الدولة. رحنا نتساءل إلى أين العالم ذاهب؟ أولئك الأصدقاء المسنون– الذين لم يكونوا مسنين آنذاك بالطبع– أسسوا المجموعة ليمتعوا أنفسهم بالحكايات المضحكة».

«دائما كان الأعضاء الخمسة ذاتهم، وأنا لست متيقنة كيف ابتكروا اسم غوشوكاي، وهو يعني: الخمسة المضحكون، كما أن لها علاقة بالبشر فقط، إذ يتمتعون بطرق خمسة للضحك. أصبح الأعضاء الخمسة من المشاهير، إذ كان هناك هيشكاري الذي احتل مرتبة الكونت، والدكتور هنمي الذي كان يملك مشفاه الخاص، والسيد فوجيمورا رئيس المهندسين في مصانع ميتسوبيشي الثقيلة، والسيد هوري الذي ذكرته آنفاً، وكذلك زوجي. كان لكل منهم مهنته المختلفة، غير أنهم كانوا يستمتعون كثيراً بصحبة بعضهم، فأصبحوا قريبين من بعضهم أكثر».

«ومن أين أتت فكرة بكابياشي أو كما ينبغي لي أن أقول واكابياشي؟».

«كان خالك قد حلم بها. فقد كان بمقدروه أن يفكر في شيء هزلي كهذا. يتضمن الاحتفال طاقماً يتألف من خمسة موسيقيين؛ اثنان منهم يعزفان على طبلتين صغيرتين وثالث يعزف على طبلة كبيرة، وآخر على المزمار، والخامس على آلة الغونغ -القرص المعدني. ولأنهم خمسة كانت مصادفة جميلة، لذلك اقترح أن يشكلوا فرقة موسيقية. لدى خال زوجك بعض الخبرة في موسيقى كاغورا، ولديه مجموعة اسطوانات لهذه الموسيقى».

«إنني مندهشة لأنهم تعلموا هذه الموسيقى بسرعة كبيرة». علقت كوماكو.

«كلا أبداً! لم يكن بمقدورهم عزف أي شيء، لكن يا إلهي كانوا متحمسين! ومعهم رجل

يدعى هازاجاوا يعرف كل ما يتعلق بهذا العزف من الموسيقى. ألقى عليهم الدروس ولم يدعهم في البداية يلمسون الطبل. جعلهم يتدربون على قطعة غليظة من القصب لف عليها حبلاً من القش هكذا راحوا يغنون أغنية تن تن تنانايا سوكي تن تن بأعلى أصواتهم..أقسم أنه بمقدورك أن تبقي نظرك عليهم و وجهك ثابت!»

«يبدو أن عزف الخال أصبح جيداً ... ألا يعزف على أحد الطبول؟»

«يعزف على الطبل وكذلك القرص المعدني، ولكنني قلت له إن ميله لإلقاء المحاضرات قد تقدم أكثر من عزفه».

«أعتقد أنه من المدهش أنهم يستطيعون امتاع أنفسهم بأوقات كهذه». بدأت كوماكو، ثم تذكرت المشكلة التي جلبتها إلى أويسو.

«آه يا عزيزتي..إذاً إيوسوكي قد غادر المنزل؟» حديث زوجة الخال عن الإرباك فتح المجال للاهتمام بما كانت كوماكو تقول وهي مصغية إليها، «كان عليك أن تخبريني مباشرة! إن ذلك ما أتيت للحديث حوله أليس كذلك؟»

«حسنا ... نعم».

لم يكن بسبب ارتياح زوجة الخال راحت كوماكو دون أن تذكر سبب زيارتها. في الحقيقة، لم تكن قلقة حول اختفاء زوجها على الرغم من عدم مقدرتها على البوح بذلك، فهي فقط جلست هناك خافضة بصرها إلى الأسفل. لما أساءت جينكو فهم صمت كوماكو، راحت تعنفها.

«الآن لا تخجلي ... إذا كان الأمر مهماً هكذا، فلماذا لم تخبريني به مباشرة؟ لو كنت قلت شيئاً، لأحضرت هنيدا مباشرة».

«ولكن الخال يقضي وقتاً ممتعاً مع أصحابه».

«كل ما يفعلونه هو العبث بتلك الأدوات الموسيقية. انتظري هنا. سأحضره».

«من فضلك لا تزعجيه الآن، فلا حاجة إلى ذلك».

«ثمة حاجة إلى ذلك!» قالت جينكو بصرامة، «حسناً تعالي معي إذا شئت. سآخذ لهم بعض الشاي، وسنرى ما هو وضعهم. سأجد طريقة أخرج بها هنيدا)».

أحضرت بسرعة عدة الشاي وبعض الحلوى الخاصة في المنطقة في إناء من البورسلين

الأبيض والأزرق. ألتقطت كوماكو الطبق وتبعت زوجة الخال عبر الممر. الممر المنعطف على شكل حرف (ل) يقود إلى غرفة الاستقبال التي استخدمت من أجل الاستمتاع. أتى أزيز حصاد مبكر من الحديقة التي كانت عبارة عن عشب مهمل وخمس أو ست شجرات صنوبر.

«حسناً» راح خال كوماكو من آخر الغرفة محيياً إياها بانحناءة خفيفة صدرت عن جسده الذي كان يشبه طائر الغرنوق، «متى حضرت إلى هنا؟»

بنظارتيه الصغيرتين اللتين على شكل معين وبشاربيه الرماديين وشعره الكث، يشبه هيرانوما كيشيرو الذي كان رئيساً للوزراء قبل اندلاع حرب المحيط الهادئ.

«إنها هنا منذ بعض الوقت» أجابت زوجته بالنيابة عن كوماكو.

«حسناً، أتمنى أنك قد أستفدت منها في المطبخ. هل يأذن لي الجميع بتقديم كوماكو. إنها زوجة ابن أختي. إنها امرأة موهوبة ... لو كان بمقدوري أن أقول ذلك. ليست خبيرة بالأدب الإنجليزي فحسب، ولكنها خبيرة أيضا بصنع مخلل نكاميسو، وعندما يأتي الأمر إلى رعايتها لزوجها...».

«من فضلك يا خال» أحتجت كوماكو.

«إذن، أنت زوجة الشاب الذي عائلة ميناميمورا».

«هل زوجك إياسوكي؟» بعد استدارتهم نحو كوماكو حياها الجميع بابتسامة.

«أتمنى أن تتعرفي إلى هؤلاء الناس جيداً»، ألح هنيدا «لن تجدي أصدقاء أفضل منهم على وجه البسيطة، الرجل الأنيق الذي يمسك بيده الطبلة هو هيشكاري، كان بالسابق يحتل مرتبة فيسكونت».

من الواضح أن هنيدا شرع بتقديم كل فرد من المجموعة بروح عالية جاعلاً كوماكو تشعر بالارتباك.

حمل هيشكاري أوتومارو الذي يناهز عمره الثامنة والخمسين لقب فيسكونت حتى ألغيت رتب النبلاء في عام 1949. كان عضواً في حزب كنكيوكي في مجلس النبلاء، وأيضاً رئيساً لجمعية الكلاب في اليابان. على أية حال، لقد كانت تلك المكاناين مجرد مكانة تشريفية له، لأنه يكرس حياته سعياً وراء المتع. خبير في لعبة الشطرنج اليابانية وكذلك لعبة غو، كما

أنه بارع في الصيد وصيد السمك والغولف، والتردد إلى بيوت الشاي. لقد كان جاراً لأسرة هنيدا عندما عاشوا في منطقة أوياما وسط طوكيو، وعضواً في المجموعة منذ بدايتها. لقد وظف براعته الطبيعية، فأصبح يستمتع بالعزف على جميع الآلات ضمن الفرقة الموسيقية حتى غدا أكثر عضو فعال فيها. يعزف في هذا اليوم على الطبلة الرئيسية. إنه قصير القامة ويبدو عليه بعض الذبول، ولكن يمكن للمرء أن يلحظ على جبهته العريضة مسحة أرستقراطية. أما معطفه الرقيق والباهت اللون الذي كان يرتديه فوق قميصه الأوشيمي الكاسوري، فيوحي بأن ظروفه مؤخراً قد تدهورت.

كان فوجيمورا كويوجي يكبره قليلاً، فعمره واحد وستون عاماً. كان قد حاز درجة في الهندسة، فاحتل مرتبة رئيس المهندسين في مصانع متسوبيشي الثقيلة وتمتع باستقامة عظيمة. غير أنه لم يتمتع بأية موهبة خارج هذه المجموعة. عندما طهرت قوات الاحتلال المناصب الرئيسية للأعمال الحرة من أولئك الذين اعتقدت أنهم اشتركوا في الحرب، كان قد تجنب ذلك القدر بمحض إرادته نتيجة لإحساسه بمسؤوليته في الحرب. يعمل مؤخراً مستشاراً في شركة هندسة كهربائية. لم يكن أحد أكثر ابتهاجاً من فوجيمورا لعودة غوشوكاي بعد الحرب. كان صديقاً حميماً لهنيدا لأنهما كانا يذهبان لذات المدرسة، وهو أيضاً أحد الأعضاء المؤسسين للجمعية. كان في هذا اليوم كما هو دائماً يقرع على الطبل الثانوي. عندما يأتي الأمر إلى التدريب يكون متحمساً ولكن موهبته لا تناسب حماسته. كان يرتدي طقماً كحلي اللون.

هنمي تاكاشي عمره خمسة وثلاثون عاماً وهو أصغر أعضاء المجموعة سناً. سلوكه بارع حتى إنه بدا أكبرهم سنا. علمه أبوه الطبيب كيف يعزف على آلة القرص المعدني– الغونغ. فبعد وفاة والده طلب أن ينضم إلى المجموعة مدعياً أن أباه أراده أن يخلفه على آلة الغونغ. كان قد أرسل للخدمة في الحرب، وعندما عاد كان قد ندم على ذلك. في حقيقة الأمر، لم يكن حافزه الحقيقي هو عزف الموسيقى، ولكن جو الصحبة ضمن الفرقة هو الذي أتاح له الهروب من شقاء العالم الواقعي. وقد عمل موظفاً في شركة أدوية، ولكنه كان يدعي المرض بين الفينة والأخرى ليأخذ يوم إجازة. ربما كان بمقدوره فعل ذلك مالك أسهم رئيسي. كان يرتدي طقماً أنيقاً وربطة عنق داكنة اللون.

هوري هوران المرأة الوحيدة، ربما كانت في عمر يناهز الواحد والأربعين أو الخمسة

والأربعين عاماً. من الواضح أنها كانت مغنية راقصة قبل أن تصبح الزوجة الثانية لهوري داياسوكي، ثم مديرة شركة الكهرباء الهيدروليكية في اليابان. كان زوجها أيضاً عضواً مؤسسا للفرقة ومحبا للعزف على المزمار، على الرغم من عدم وجود أمل في إتقانه لذلك. رافقته هوران في بعض أوقات الاجتماعات، لذلك تعرف الأعضاء الآخرين. تمتلك الكياسة دائماً، وقد اقتبست كثيراً من الهوايات كطريقة إعداد الشاي وتقديمه والرسم. على الأرجح، عملت ذلك لتحجب أصولها المتواضعة. سخرت في البداية من هذا النوع من الموسيقى، ولكن بعد موت زوجها راحت تهتم به. لقد كانت صريحة وكذلك كانت تبدي غنج المرأة وهي في منتصف عمرها، وقد مر عليها كثير من العواصف.عندما سمعت أن المجموعة بدأت تنتعش ثانية، طلبت أن تخلف زوجها في العزف على المزمار قائلة إنها كانت من قبل تعزف على المزمار الشعبي. كلمة هوران عادة تعني: اللون الأرجواني المعطر، وكان اسم فنانة أطلقته عليها أستاذتها بالرسم، واستخدمته في مراسلاتها عوضاً عن اسمها الحقيقي. تحب الألوان المفعمة بالحيوية وترتدي ثوباً يابانياً خمري اللون زين بريش صف على شكل زهرة الكرز. والمساحيق على وجهها سميكة، وتلفت شعرها إلى الأعلى بطريقة غير أنيقة. وتلقي بنظرات الغزل على جميع الرجال، كما أنها تحاور بذكاء وصوت مثير. ولديها عادة التباهي بابنها.

«مقابلتكم متعة عظيمة»، قالت كوماكو وهي تنحني لهم جميعاً، وجدت فيه عدم ارتياح لها. أية مجموعة من المحافظين كبار السن، فكرت؛ إذ لايوجد وجه ينم عن ذكاء معاصر. ألقت بنظراتها غير العاطفية عليهم جميعاً، في حين يجلس كل منهم بتكلف وراء آلة الموسيقى والطبول بحبالها الحمراء المهترئة قد وضعت على نحو منحن. أما آلة القرص المعدني، فبدت كغطاء إبريق شاي قديم. على الرغم من ذلك، لايزالون يحبون تلك الآلات الموسيقية البدائية.

«يجب عليك يا كوماكو أن تأتي وتنضمي إلينا في بعض الأوقات. إنها سعادة عظيمة، لا نريد منك أن تقفزي إلى النتائج، فهذه الموسيقى الحقيقية لتوزاي موسيقى موزارت وبيتهوفن. تكمن أهمية نقاء هذه الموسيقى وإبداعها في هذه الموسيقى الاحتفالية».

لم ينتب كوماكو أي شعور اليوم سوى الازدراء من ثرثرة خال زوجها، حتى إنها لم تشأ أن

تخبره بإيوسوكي. بعد أن صبت الشاي للجميع همست جينكو بأذن زوجها، «هناك شيء ينبغي لنا أن نناقشه». كما طلبت منه أن يستأذن، ثم انسحبت مع كوماكو وعادتا إلى غرفة جلوس الأسرة، ثم سمعتا مباشرة صوت خطوات هنيدا في الممر.

«ما يجري بالتأكيد شيء غير ملح، أليس كذلك؟» سأل وهو يهم بالجلوس القرفصاء قرب الطاولة المنخفضة ولكنه توقف في منتصف الطريق مبقياً حاله في وضع يمكنه من العودة إلى صحبته مباشرة.

قالت جينكو بصوت خافت «يوجد مشكلة صغيرة يا عزيزي». لقد قالت لي كوماكو إن إيوسوكي قد غادر المنزل». أصدر هنيدا قهقهة.

«ترك المنزل؟ معظم الأزواج يرغبون في فعل ذلك في هذه الأيام، يمكنني أن أقول إنهم فقط يحاولون التظاهر بالشجاعة».

«كن جاداً! إن المسألة ليست بالمزاح! لقد غادر إيوسوكي منذ أسبوع بأكمله».

«مادام قرر بنفسه المغادرة، فهو سيغيب بعض الوقت، ولكن لا تقلقي، إنه ملزم بالعودة إلى عزيزتنا كوماكو في نهاية الأمر». ما فهمته من جواب الخال أنه يعتقد أن مشكلة لم تكن قائمة على الإطلاق، ولم يكن هذا إن كان يود العودة إلى طبله، ولكنه بدا واثقاً بأنه محق تماماً ... أعتقد أيضا أنه سيعود». همست كوماكو «ولكنني أعتقدت أيضاً أنه علي أن أخبركم» في حقيقة الأمر انتابها ارتياح لعدم قلق خال زوجها.

«لا حاجة إلى أن تخبرينا بجميع شؤونك الخاصة، فما هو إلا شجار زوجي، أليس كذلك؟» تتمتع كوماكو بكبرياء شديد يجعلها تمنع الخال من التفكير في أن المسؤولية تقع على كليهما على السواء، وتقديم المبررات ليثلم كبرياءها، لذلك قدمت عرضاً نزيهاً لما قد حصل.

«إذن يا كوماكو أنت من طلبت منه أن يخرج؟» قالت زوجة الخال وهي تنظر إليها بدهشة، ولكن ما هو الأهم ألح الخال: «أخبريني بالضبط ما قاله إيوسوكي»، أمال هنيدا رأسه جانباً، فبدا وكأنه يحاول أن يتذكر شيئاً. لم تفهم كوماكو قصده.

«هل تعني كيف اعترف بتركه للعمل دون أن يخبرني؟»

«كلا ... كلا لقد قلت لنا إنه قال شيئاً ... بعض التعليقات الذكية ... حول تركه للعمل». عبث الخال هنيدا عندما كان يستعيد بذهنه ما قد سمعه»، إيوسوكي ليس من النوع الذي يبدي

ملاحظات ذكية». صرحت كوماكو، «إنني متيقنة من أنني لم أذكر شيئاً من هذا القبيل».

«كلا ... لقد قال شيئاً– دعيني أفكر – لقد كان شيئاً ذكياً غير متوقع من إيوسوكي. يا إلهي! إن ذاكرتي سيئة هذه الأيام».

«أعجب ماذا قال! لقد قال إن لديه تساؤلات حول شركته والمجتمع على وجه العموم، لكن.»..

«كلا، لم يكن ذلك الشيء واضحاً هكذا».

«قال إن تساؤلاته حول حرية الفرد والناس. مهما كان ذلك يعني، فلا يشكل هذا نوعاً التعليق الذي يتوقع أن يصدر من إيوسوكي».

«ليس صحيحا ... عبارات مثل (حرية الفرد، وحرية الإنسان) هي في كل مكان هذه الأيام؛ ترينها في مقالات الصحف، كلا أعتقد أن ذلك شيء أكثر وضوحاً».

«باستثناء ما قلته لكم، هو لم يقل كثيراً، حسناً لقد تحدث عن أنه يريد الحرية من كذا.»..

صاح الخال «أهذا كله؟! هذا الشيء الذي لا تستطيعين تجاهلها».

صاحت كوماكو «ولكن ياخال! حتى تلاميذ المدارس الابتدائية يتحدثون حول الحرية».

قال الخال «هذا صحيح. تدور هذه الحرية وحرية العمل على ألسنة الجميع هذه الأيام. فإذا عدت إلى عام 1880 في حقبة الحرية وحقوق الناس، فستجدين أهل الفكر هم الذين يتحدثون عن هذه الحرية أو تلك. أما في هذه الأيام، فهي تشكل حديث البلد. تحسبين من طريقة تداول الناس لهذه الفكرة أن الحرية تعطى تلقائياً».

«لابد أن إيوسوكي يتحدث حولها بنفس الطريقة أيضا؛ أي بطريقة سطحية ولا أعتقد أنها كانت تحمل بالنسبة له أي معنى أعمق. لابد أنه كان يردد ما كان يسمعه من الآخرين». أكدت كوماكو.

«إنني لا أتفق معك ... إنني احترم ذكاءك جداً يا كوماكو، ولكنني أعتقد أنك مخطئة هذه المرة».

«ولكن يا خال» ألحت كوماكو، «إن إيوسوكي ليس من النوع الذي يهتم بآخر الأزياء. في حقيقة الأمر، حتى في عام 1954، ما كان ليتنازل كي يرتدي الخاكي الذي كان جميع

الرجال في اليابان يشعرون بأن من واجبهم ارتداءه كي يظهروا دعمهم للمجهود الحربي، وعندما يتعلق الأمر بتقليد الآخرين فهو بطيء جداً».

«أنا متأكد من أنه كان يرتدي الخاكي لأنه أراد ذلك. تستطيعين أن تخمني ما هي القرارات التي يتخذها وهي لا علاقة لها بالأزياء أو الموضة. عندما قال إنه يريد الحرية، إنني متيق من أنه عنى ذلك، ولم يكن يتفوه بما يقوله الآخرون فقط ... إنها رسالة واضحة».

«هل أنت متيقن يا خال؟»

«كم مضى على زواجكما يا كوماكو؟».

«تسع سنوات».

«حسناً، راقبت هذا الشاب خمسة وثلاثين عاماً. لن يعود إيوسوكي قبل أن ينقضي شهر أو شهران، فمن الأفضل لك أن تعدي نفسك للانتظار».

انصرفت كوماكو من منزل هنيدا قبل الساعة الرابعة بقليل، «يجب ألا أدع المنزل فارغاً وقتاً أطول من ذلك». قالت ذلك بطريقة تبرير، لم تكن بحاجة إلى أن تقلق على المنزل، على أية حال. بإمكانها الابتعاد عنه مدة طويلة ولكن سماعها للموسيقى الشعبية بدأ يضغط على أعصابها، بالإضافة إلى ما قاله الخال لها؛ أي أنه لم يأخذ حالتها على محمل الجد، وما كانت كوماكو من الصنف الذي يمكنها أن تقبل تلك المعاملة وقتاً طويلاً.

فكرت في أنه كان بإمكانه أن يكون أكثر لطفاً لو أنه لم يتحدث بغرور. يبدو أنه من المحال أن يكون تعليق إيوسوكي البليد حول طلب الحرية له معنى خاص. لقد كانت عادة الخال السيئة أن يبرز نظرية، ثم ينعم بها. يمكن لأحد القول إن تلك الطريقة تشكل أسلوبه الخاص تجده يقوم بذات اللعبة عدة مرات، فهي تبدأ بمضايقتك. لكن ثمة شيئاً في قول الخال أظهر أنه ربما لم يكن يتفاخر فقط.

طيور من ريش قد أذهلت العبوس الذي كان يرتسم على وجه كوماكو وهي كانت تفكر برابطة الدم بين إيوسوكي وهنيدا.

على الرغم من سفرها الطويل، لم ترتفع معنوياتها إلا قليلاً ترددت قليلاً بالتوجه إلى محطة القطار، إذ خطر لها فجأة أن تذهب إلى الشاطئ. كان قد انقضى وقت طويل منذ أن استنشقت عبير البحر، لاسيما أنها كانت مولعة بهذا الجزء الغربي من أويسو، حيث كان

أبوها يملك بيتاً ريفياً. تجولت في شاطئ تروكازكي، والرياح الجنوبية كانت تلفح وجهها، وكانت تعاريج الأرض الخضراء تمتد على طول الطريق من أونوشيما وجزيرة ميورا حتى جبال هيكون. تذكرت ما كان يقوله حارس البيت الريفي المسن: عندما تستطيع رؤية الأشياء بوضوح، لابد أن يأتي المطر في اليوم التالي.

على الرغم من الريح القوية، إلا أن الأمواج لم تكن عالية، ولم تكن الرياح محملة برذاذ البحر. بدأت تمشي باتجاه الغرب فوق الرمال القريبة من الأمواج دون أن تصل إليها. في منتصف الصيف، يكون هذا الشاطئ الفسيح مليئاً بالمظلات المؤقتة على شكل ألواح مصنوعة من القصب تصد أشعة الشمس وتعرض فيها مشروبات ووجبات خفيفة للبيع فضلاً عن وجود مكان لتبديل الملابس. أمام كل كوخ صيفي تنصب مظلة مثل هذه، فكانت عائلة كوماكو تستخدم إحداها وتدعى إيزماتسو. حتى في هذا اليوم استطاعت أن تتذكر مذاق شاي الشعير الحلو المذاق الذي كانوا يحضرونه. من السذاجة أن يحلم المرء بذكرياته القديمة! بعض النساء اللواتي ولدن في أسر ثرية وتزوجن رجالاً أثرياء أصبحن متكبرات وقاسيات لدى فقدانهن ثرواتهن نتيجة الحرب. كن يقاومن جميع المغريات لئلا يظهرن عواطفهن، لأنهن كن يعلمن جيداً السقطات التي كانت تنتظرهن لو تركن لأنفسهن العنان للتنهدات والحسرات على الماضي.

كوماكو إحدى أولئك النساء، ترفض الانغماس بالحنين من خلال تساؤلها كيف يبدو بيت أبيها الريفي الآن بين أشجار الصنوبر أو من يعيش هناك الآن، أو إلى أي حال قد آل إليه، فلا أي من تلك له صلة بواقعها الحاضر.

ولما سارت على قدميها إلى سوروكاكو وهي مقر إقامة ممثل مقاطعة ميجي واسمه أيتو هيرو بامي، قررت العودة. وعندما استدارت وقع نظرها على رجل شاب وامرأة بدا أنهما ترعرعا في المدينة، وذلك بالنظر إلى ملابسهما، وركضا فوق كثبان الرمل متجهين نحوها. اعتقدت أنها وحدها تماماً باستثناء عدد قليل من الأطفال الذين يلعبون البيسبول، لذلك صدمها ظهور الشخصين المفاجئ.

«أتمنى أن تكون قد قررت. إنني أكره من يتردد»، قالت الشابة الغاضبة بوضوح. كانت تمثل صورة من صور الموضة، إذ ترتدي كنزة حمراء و تنورة زرقاء فاتحة مصنوعة من قماش

الكبردين وتحمل حقيبة كتف بيضاء، ظنت كوماكو أن تلك الفتاة ربما تكون إحدى مومسات منطقة يوروكوتشو في وسط طوكيو، وذلك بسبب تسريحة شعرها ومساحيق التجميل التي وضعتها على وجهها، ولكن لو نظرت إليها بتأمل أعمق، لأظهر وجهها حقيقة أنها فتاة تنعم بالصحة وتنحدر من عائلة جيدة. الشابات في هذه الأيام يشبهن نبات الفطر. لقد اختلط الأمر على كوماكو فما عادت قادرة بين ما هو صحي وما هو ضار.

«قلت لك إذا أردت الذهاب، فأنا ذاهبة أيضاً. كل ما أقوله هو إذا كنا سنتوقف في يوكوهاما في طريقنا إلى البيت، فينبغي لنا أن نرسل الهدية بسرعة بدلاً من تسكعنا على الشاطئ».

كان الشاب نحيلاً وبدا وكأنه لايزال طالباً. هو أيضا يرتدي ملابس حديثة الطراز؛ قبعة واسعة ذات شريطة وربطة عنق ملونة صنعت من قماش يشبه قماش بطانة الملابس النسائية، وجاكيت صنع من قماش خشن وبنطلون فاتح اللون صنع من قماش الكبردين، وحذاء كوردوفان أحمر اللون. كانت جميع ملابسه جديدة جداً، فلم يبد مختلفاً عن شباب طوكيو المخنثين. إلا أن تقاطيع وجهه النحيف كانت منقوشة بنعومة فهي تشبه العاج المنقوش، وكان يظهر عليه ضعف ورقة ما يجعله غير مناسب للقيام بأعمال الملاكمة أو أي نشاط عنيف. صوته رقيق وأسلوبه هادئ. وكانت الفتاة تسير مسرعة. وبينما هو لحق بها مسرعاً وهو يحمل بيده ما يشبه العلبة الثقيلة، راح يذكر بحال المرأة في عهد الإقطاع التي كانت تسير خطوات خلف زوجها. لقد كان المنظر يشبه إلى حد ما منظراً هزلياً.

«تعال.. إنك أحمق! أتحدى أن يكون لديك أدنى مقدار من الاهتمام كي تذهب إلى هاما من أجل المرح، إنك فقط تقدم الأعذار. إنني أعلم لماذا. إنك في مأزق ... هه؟ إن لم يكن معك نقود، فلماذا لم تقل ذلك ... قل ما عندك ... هيا اعترف! أنا معي نقود بل الكثير منها ... تمكنني من الذهاب إلى هاما لنتناول طعاماً صينياً... إن ذلك لمضمون!»

صرخت الفتاة ذات الكنزة الحمراء، ثم عصفت وهي تسير فوق الرمال بكبرياء و بخطى واسعة سريعة، لحق الشاب بها راكضاً وقد علت وجهه تعابير من القلق.

ما كان سبب ذلك كله؟ همهمت كوماكو بهذه الكلمات، إذ لم يكن لديها أية فكرة حول سبب شجارهما، كما لاقت صعوبة في فهم اللغة العامية الحديثة التي كانا يستخدمانها،

والتي تضمنت بعض العبارات الإنجليزية. لو كانت تلك العبارات عبارات إنجليزية سليمة– وحتى لو كانت تراكيب أكثر صعوبة – لكانت فهمتها، ولكن حديثهما لم يكن يشبه اللغة التي قرأتها في الكتب. أهذه اللغة اليابانية الجديدة للحقبة الجديدة؟ مهما كان، لقد أدركت كوماكو مصدومة أن مافهمته قليل جداً.

توقف الشابان ثانية وتابعا شجارهما، ولأن لغتهما كانت منحطة جداً وممزوجة بالعامية المستخدمة من قبل الشباب، أقلعت كوماكو من اللحاق بهما. كادت أن تمر بجانبهما عندما لاحظت أن الشاب كان يحدق فيها.

«عذراً ألست السيدة ناميمورا؟» قال وهو يرفع يده إلى مقدمة قبعته الناعمة. أدهش أسلوب هذا الشاب المتخنث إلى حد ما كوماكو.

«نعم إنني هي!»

«لقد اعتقدت ذلك! إنني آسف ولكنني كدت أن لا أميزك!» بابتسامة ساحرة كشفت عن أسنان بيضاء، خاطبها الشاب بأدب، فالفظاظة التي كان يخاطب بها الشابة قد اختفت، فخرجت الكلمات منه بسهولة.

« عذراً ... ولكنك أنت.».. لم تستطع كوماكو تذكر ذاك الشاب.

«هل نسيتني؟ كم ذلك مخيب للأمل! لقد ألتقينا مرة في جينزا. إنني هوري تكابومي». هنا حياها الشاب برفع قبعته، وبانحناءه لها.

«آه تلك المرة في جينزا»، بدلاً من تذكرها للحادثة ذاتها كل ما فكرت به كوماكو هو أن هذا الشاب هو ابن المرأة الغريبة التي قابلتها منذ وقت قصير في بيت الخال. حدث اللقاء في جينزا قبل خمسة أو ستة أعوام، وكان لديها سبب بسيط يجعلها تتذكر ولداً صغيراً يرتدي ملابس مدرسته. على أية حال، أجابته بتهذب، ولكنها بنفسها ساخرة؛ كيف لصبي مراهق أن يتصرف كالكبار بهذه السرعة.

«لا بد أنك كنت بزيارة عائلة هنيدا». تابع الشاب «إننا ذاهبان إلى هناك أيضا، فأمي والعم فوجيمورا طلبا مني إحضار هذه الهدية لهما. إنه طعام شهي يصنع في الصباح ولا يباع إلا بعد منتصف النهار، لذلك الآنسة فوجيمورا هنا. قمنا بشرائها ثم ركبنا قطار الساعة الواحدة والخمس دقائق. دعيني أقدم لك يوري تعالي إلى هنا». عندما تحدث وكأنه يخاطب

نفسه، أشار الشاب إلى الفتاة التي كانت تقف قريباً منه.

نظرت كوماكو إلى الفتاة التي كانت غاضبة في أثناء حديثها مع الشاب منذ دقيقة واحدة فقط، واقتربت منهما مبدية تكلفاً شديداً، فحركتها كانت متصنعة وكأنها ممثلة تهم بالدخول إلى خشبة المسرح. قدمت نفسها بطريقة رسمية، «اسمي فوجيمورا يوريكو. أنا سعيدة بالتعرف إليك». نمت إيماءتها عن مجاملة بسيطة دون أن تحني رأسها، فبدت إيماءة غريبة.

هل يمكن أن تكون هذه الفتاة ابنة ذلك الرجل الوقور؟ تساءلت متعجبة وهي تتذكر وجه ذلك الرجل الوسيم الذي كان يجلس بأناقة وراء الطبل الثانوي.

«كم هي مصادفة غريبة أن نلقاك هنا!»، قالت الفتاة بطريقة وكأنها تعرف كوماكو طوال حياتها، «إننا ذاهبان لنوصل هذه العلبة إلى منزل هنيدا، ثم إلى يوكوهاما لنقضي بعض الوقت الممتع. هل تودين الذهاب معنا؟»

الفصل الثالث
أزهار الصيف الأولى

مر شهر بأكمله منذ أن غادر إيوسوكي منزله، وكانت كوماكو قد زارت جميع الأماكن التي يمكن له أن يذهب إليها، حتى إلى مكان عمله السابق، وكالة أنباء طوكيو. كل ما استطاعت معرفته، تماما كما أخبرها، أنه كان قد استقال منذ نحو شهر قبل يوم اختفائه. اتصلت أيضا بزملائه في العمل وزملاء دراسته السابقين في جامعة كيوتو، ولكنه لم يتصل بأحد منهم.

حرصت كوماكو كثيراً على عدم البوح بأن إيوسوكي قد ترك المنزل، ولم تسأل بتعبير صريح إذا كان قد مر بهم. كانت قد أباحت بالقصة كاملة لأسرة هنيدا فقط، أما بالنسبة للآخرين فقد اخترعت وسيلة تتوثق فيها مما تريد معرفته دون أن تعطي أي سبب لتساؤلاتها. لم تكن لديها رغبة في إشاعة ما كان قد حل بها أو في أن يدرك الناس أنها كانت تسأل عن مكان زوجها. كانت تعرف تماماً تأثير ذلك على مستقبله.

في حقيقة الأمر، لم ترد كوماكو من محاولاتها معرفة مكان إيوسوكي عودته إلى المنزل، بقدر ما أرادت معرفة ما حل به. إذا عرفت ذلك، فسيكون بمقدورها أن تجلس بانتظاره حتى تنفد نقوده، فيعود إلى المنزل مستعطفاً. لم ترد أن تفقد أثره، ولكنها أيضاً لم تكن لتجعل ذلك الأمر يمر بسهوله بالنسبة له.

عندما بدأت تفكر بأحاسيسه المحتملة لم يكن ذلك الأمر سهلاً لها، فهي ليست عديمة المشاعر. لقد ترك المنزل مرتدياً بزة صنعت من الصوف، والآن تحت وطأة حرارة الصيف ورطوبته استطاعت أن تتخيل شعوره بالحرارة، ولم تستطع احتمال حاله إن كان مازال يرتدي القميص نفسه والملابس الداخلية عينها. في تلك الأيام، لم يتوافر في المحلات التجارية سوى القمصان والملابس الداخلية ذات المقاسات الطبيعية. لقد خطر لها أن ترسل له خفية بعض الملابس التي يحتاج إليها لو عرفت مكانه. على أية حال، لم

تنفذ تلك الخطة تاركة إياه يعاني بسبب تركه لها.

إلى أين ذهب إذن؟ كان لابد له أن يعود الآن. مهما كانت الحال التي تخيلته فيها، فقد تيقنت من عودته بسبب مرور وقت من مغادرته المنزل. كانت على يقين من أن لا قدرة لإيوسوكي على البقاء. ولو ثبت العكس، لكان ذلك يشكل ملمحاً في شخصية زوجها لم تكن تدركه أبداً. هذه الفكرة أقلقتها وأغاظتها جداً. من يستطيع في العالم كله أن يفهم ميناميمورا إيوسوكي أفضل منها؟

لهذا السبب كانت قلقة هكذا، فعندما قال الخال «إن إيوسوكي لن يعود قبل مرور شهر أو شهرين». في ذلك الوقت، سخرت من هذا الرأي فكيف له أن يقدم مثل هذا التخمين بثقة وكأنه مثل أولئك المنجمين الجوالين؟ لقد كان ذلك منافياً للعقل والطبيعة! ولكن بعد مرور الأيام، أصبح هذا متوقعاً وغدا افتراضه النابع من الغرور أمراً حقيقياً.

أتفكر بعدم العودة؟ قدمت كوماكو سؤالها لزوجها الغائب، ولكن لم يكن هناك من جواب.

حسناً إذاً! إذا اصبحت هكذا، فانتظر فقط لترى! كان هذا جوابها على مقاومة إيوسوكي المفترضة. اثبتت حقيقة بقائه بعيداً أنه لا يواجه أية مشكلة كبيرة، ولما كانت مقتنعة بأنه ليس من النوع الذي يقلع عن الحال التي تعودها بدافع الكبرياء والمظاهر. كانت تعتبر عودته السريعة بديهية عندما تصبح ظروفه لا تطاق.

في هذه المرة، كان عليها الاعتراف بأنها كانت ساذجة، وخطر لها احتمال آخر وهو أن إيوسوكي يعيش تحت رعاية أحد لا تعرفه هي. فربما كان هذا التفسير الوحيد لغيابه الطويل. إذا كانت الحال هكذا، فهي غاضبة لعدم معرفتها وجود مثل هذا الشخص، رجلاً أو امرأة.

لقد كان الأمر تمرداً وقضية خداع واضحة. تجرأ إيوسوكي لأول مرة بعد تسع سنوات من زواجهما على التمرد. فكرت بأنه لو خطط له منذ فترة طويلة، لما كان غيابة مفاجئاً. هناك شيء مثير للشك يشوب الطريقة التي غادر فيها دون أن يتفوه بكلمة احتجاج، وكل ما قالته له «اخرج». وفي حقيقة الأمر كل ما قاله: «لقد فهمت». فوضعه قبعته على رأسه ومغادرته المنزل ربما يشيران إلى أنه كان يتحين فرصته. ومن الواضح أنه قد هيأ نفسه للمغادرة، بتركه

عمله قبل شهر، وبإنفاقه تعويضات عمله، وكذلك رواتبه، على الرغم من تركه مبلغاً زهيداً في درج المكتب. يبرهن كل ذلك على أنه خطط لمغادرته. وقد فعلتها في حقيقة الأمر! فقد خرجت وتركتني أبدو كحمقاء!

ما الشيء الناقص الذي وجده إيوسوكي في حياته حتى جعل منه متمرداً؟

كان يستمتع بجميع وسائل الراحة في المنزل. جميع تصرفاته توحي بأنه قام بما يقوم به موظف على رأس عمل ثابت ولا يعمل سوى ثلاثين ساعة في الأسبوع، وتدفع له أجور إقامته ومأكله، إلا أنه يقرر الإضراب. لقد كان الأمر شنيعاً كما لو أن حكومة يوشيدا الحالية قد طلبت المساعدة من الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة الامريكية معاً. ربما كانت سهولة حياة إيوسوكي والراحة التي تجلبها وراء ما حدث.

«أعتقد أنني تحملت ما فيه الكفاية». قررت كوماكو.

لم تكن فكرة حقوق المرأة والمطالبة بحرية أكبر للزوجات جديدة بالنسبة لكوماكو.

كانت قد قرأت رواية (عشيق السيدة شاترلي) قبل الحرب، وعلى الرغم من أنها لم تكترث للحركات الحديثة التي كانت تدعو المرأة للنهوض، إلا أن إصلاحات ما بعد الحرب التي منحت المرأة حقوقاً مساوية للرجل، وكذلك حق الاقتراع، والدستور الجديد الذي وضع عام 1947 لاقت بلا ريب ترحيباً من جميع النساء اليابانيات. كانت تتأثر بالتقارير التي كتبت في الصحف حول الأعمال الجريئة التي تقوم بها النساء والفتيات. أحيانا، تجد في جلوسها منغمسة بالدوس على آلة الخياطة ضرباً من العبث. ما أبقاها تحتمل كل ذلك هو عاطفة الأمومة الطاغية نحو إيوسوكي. وإذا كان قد خان عواطفها ...

إذا كان هذا ما قد فعلته، فانتظر فقط! خطرت لها فكرة تستطيع من خلالها أن تنتقم لنفسها.

«أرجو ألا أكون متطفلاً»، قال ابن هوري هوران وهو يمسح جبهته داخلاً عبر الحديقة. هذه كانت زيارته الثانية. «مرحباً يا تكابومي ... كيف حالك؟ ادخل». نهضت كوماكو من وراء مكتبها حيث كانت تترجم قطعة من كتابات إيلنور روزفلت محولة الأسطر الأفقية من اللغة الإنجليزية إلى عمودية في اللغة اليابانية.

«لقد حضرت اليوم كي أدعوك إلى مكان في الخارج»، قال تكابومي.

«إلى أين؟ فيلم؟»

«كلا، بل إلى معرض للأزياء الفرنسية». قال ولايزال يخاطبها بأدب كما يخاطب شاب صديقاً لأبويه.

«اعتقدت أنك ستجدين ذلك ذا نفع لعملك».

«شكراً. في أي محل يقام هذا المعرض؟»

«ليس لعامة الناس. إنه في مقر العرض الياباني الفرنسي في جينزا، والدخول إليه فقط بموجب دعوة. استطعت الحصول على بعض البطاقات».

«أعتقد أنه بإمكاننا الذهاب بعد الظهيرة. على أية حال، أدخل».

«شكراً».

من الواضح، أن الشبان هذه الأيام لا يأبهون كثيراً إذا كانوا يضايقون الآخرين. لم يكن للمنزل مدخل رسمي، وعندما جلس في الشرفة ليخلع حذاءه، لاحظت كوماكو جوربيه المخططين بالأحمر والأزرق.

«آه ... كنت تعملين». قال عندما رأى أوراقها، «كم أحسدك على فعل ذلك! لو فقط كنت أعرف الإنجليزية».

«لا شيء يستحق الحسد. إنني أحب فعل ذلك فقط، كيف حال يوري؟»

«إنها كالمعتاد. لا أفهم لماذا ترغب في أن تكون طائشة هكذا. إنها صعبة المراس. وماذا عن زوجك ألايزال بعيداً بسبب العمل؟»

«نعم. يبدو أنه سيغيب مدة طويلة هذه المرة. ربما ستة أشهر. هل ترغب في تناول الشاي؟ أو إن لم يكن لديك مانع، فتناول بعضاً من هذه الشوكولا. فهذا سيكون أسهل».

يجب أن لا يثير شكوك القارئ كيف أن كوماكو أصبحت في علاقة جيدة مع تكابومي الشاب. في ذلك اليوم في أويسو بعد زيارة منزل هنيدا، تشتت أفكار كوماكو، فقبلت الدعوة المفاجئة التي وجهها لها تكابومي الشاب ويوري لتتناول معهما العشاء. ركبوا القطار إلى يوكوهاما، ثم ركبوا الحافلة فانتهى بهم الأمر أن تناولوا المعكرونة الصينية في كوخ قذر في سوق صيني. لقد اقتادها الشابان وهما يلحان أنهما كانا يعرفان أفضل مكان في يوكوهاما يقدم ذلك الطبق. دفعت كوماكو الحساب، إذ لم يكن بمقدورها فرض نفسها على شاب

كتكابومي. ورداً على ذلك، حاول الشابان قصارى جهدهما كي يعاملاها باحترام يليق بمن هم أكبر سناً.

اكتشفت كوماكو الكثير عنهما نتيجة لوثوقهما بها. من الواضح، بموافقة والديهما ومباركتهما تمت الخطبة بين يوري وتكابومي. وعلى أية حال، فهما يزدريان هذا التقليد، إذ كانا يعتبرانه نمطاً قديماً جداً، فقرر أن يحترم أحدهما حرية الآخر. علمت كوماكو من يوري أن أباها كان رجلاً قاسياً في حين كانت أم تكابومي هوران مثلاً كلاسيكياً لكبرياء ما قبل الحرب والتفكير الرجعي. كانت يوري تكره حتى الجانب العاطفي الذي يتضمنه اسمها الذي يعني زهر السوسن، وهو رمز النقاء والبراءة. وكانت تلح على الطريقة الأمريكية بتقديم الاسم الشخصي أولاً ثم الكنية لافظة اسمها يوري كما لو كان اسماً إنجليزياً.

تجاوبت كوماكو مع صراحتهما بسمو رفيع يليق بها لأنها كانت تكبرهما سناً، فتعرفت إليهما جيداً في خلال ذلك المساء. وعلى الرغم من ذلك، فإن اهتمامهما المراعي لرغباتها والذي جعل حديثهما يتضمن عبارات الاحترام المبالغ بها، والذي لم يرفع معنوياتها، كان قد ترك في نفسها شعوراً بالعزلة.

لم تشك كوماكو مرة في صباها. ولم تجرب الولادة مرة في حياتها، ولكن على أية حال، لم تكن ترغب في إنجاب الأطفال، والذي كان دليلاً بحد ذاته على أن شبابها أمر بديهي. فقد تمتعت بثقة عميقة بجسدها الشاب، ولكن ما هو أكثر من ذلك أن ثقتها كانت تنبثق من تماشيها مع العصر والقيم الحديثة التي كانت أعظم بكثير من تلك التي يتمتع بها زوجها أو أو أصدقاؤها أو أي أحد آخر.

مكنها إلمامها باللغة الإنجليزية من الاطلاع على آخر الاتجاهات الفكرية الوافدة من الخارج، وربما لم تتبع هذه الاتجاهات بدقة كما يفعل الناقد الأدبي المؤثر، إلا أنها بوصفها امرأة قد شعرت بهذه الاتجاهات وباهتمامها بها. لقد اكتسبت ثقة من حقيقة أن هناك نساء من بينهن كاتبات معروفات وقائدات لحركات نسائية يحملن قيماً أكثر محافظة من القيم التي كانت تحملها. كانت قد قررت اللحاق بطليعة الحركة النسائية في جميع الأوقات، ويبدو أنها قد نجحت في ذلك.

كانت ثقتها نتاج شبابها الجسدي والفكري، ودون شك كانت تكمن وراء نزعتها

المسيطرة على زوجها. يوحي مظهر زوجها الخارجي بأنه بفطرته لا يكترث لنزعات الأزياء الشائعة، في حين واكبت كوماكو كل هذه الأشياء في هذه الحقبة المتغيرة.

وعلى الرغم من تجولها مع تكابومي ويوري ثلاث ساعات في يوكوهاما، إلا أن ذلك قد أفقدها توازنها. إذ كانت تشعر وكأنهما كانا يجبرانها على الخروج من تقوقعها. فقد سيطرا عليها، غير أنها لم تظهر ميلاً للاعتراف بالهزيمة.

قررت في نفسها أن شباب ما بعد الحرب يفتقدون التهذيب. فالطريقة التي التهمت بها يوري المعكرونة الصينية كانت صراحة مقززة. حقاً، لم يكن هناك شيء في سلوك هذين الشابين يستحق المديح. ولكن لم يكن بوسعها إنكار أن هذين الشابين اللذين يأكلان أمامها يمثلان جيلاً جديداً بأكمله. فالطريقة التي كانا يتحدثان بها والعلاقة التي كانت تربطهما رجلاً وامرأة خالفت جميع الأعراف والتقاليد. حتى إن كوماكو اعتقدت أنها وإيوسوكي زوجان عصريان، ولكنهما لا يشبهان هذين الشابين. لابد أن يكون تكابومي و يوري لايزالان في مرحلة الصداقة، ولكن لم يظهر أحدهما أية عاطفة تجاه الآخر. حتى كوماكو، على الرغم من احتمال أنها قد خدعت، كانت قد أحبت إيوسوكي في البداية، ولكن لم تبد يوري أي مؤشر على أنها تحمل عاطفة حب، وكذلك لم يقدم تكابومي انطباعاً يثبت أنه يحب يوري. إلا أنك تستطيع القول إن الشابين قد اندمجا مع بعضهما، كما استمتع كل منهما بصحبة الآخر. كان الأمر محيراً جداً.

كوماكو ذكية على قدر كاف كي تلحظ في العلاقة الفضولية، التي تربط بين يوري وتكابومي، دليلاً على الحقبة الجديدة. وفي الوقت ذاته، لم تستطع أن تكبح شعور الوحدة الواخز داخلها، الذي كان يسببه الإحساس بقدوم فصل الخريف لدى رؤية تساقط الأوراق الكبيرة من على شجرة بولوفينا الصينية.

إن إعجابها بأحد لاتحمل إلا القليل من الاحترام له أمر لم يكن سهلاً لامرأة مثل كوماكو أن تتجنبه، ولكنها فوجئت عندما ظهر أول مرة في بيتها قبل أسبوع هذا النموذج من شباب ما بعد الحرب.

«كنت في زيارة قبر أبي في مقبرة تاما». شرح تكابومي وهو يسير نحو الشرفة، «وذلك حسب طلب مامي». لقد استخدم الكلمة الأمريكية الحديثة (مامي). قبل مغادرتها

يوكوهاما، كانت كوماكو قد أعطته عنوانها دون تفكير، فلم يخطر لها أنه سيكلف نفسه عناء القدوم إلى هذا المكان النائي. فعند زيارته الأولى، كان يرتدي زيه الجامعي، مما جعله يبدو كالشاب البريء الذي قابلته في جينزا منذ سنوات. ففي ذلك الوقت، لم يكن هناك شيء يجعلها تحترس.

في تلك المناسبة، كان تكابومي يجلس على حافة الشرفة حيث ظل يتحدث ساعة أو نحوها قبل أن يذهب إلى البيت. ربما كانت مجرد ساعة ولكنها بالنسبة لكوماكو التي أصابها الضجر، كانت مجزية. أتاحت لها الفرصة تأكيد انطباعاتها حول الجيل الأصغر منها سناً، إذ شكلت هذه الانطباعات في خلال الساعات الثلاث التي قضتها معهما في يوكوهاما. لم يكن انطباعها حول تكابومي بعيدا عن الواقع، فهو بالتأكيد آخر نموذج للشباب ونتاج الجيل الجديد. تستطيع أن تجد كثيرا من الأخطاء فيه. لم يكن الاعتماد عليه ممكناً كما أنه كان مهملاً وسطحياً ووقحاً و صلفاً ومتأنثاً. غير أن هذه الصفات التي تشبه المواد المنتجة حديثاً كالبلاستيك والنايلون، كانت صارخة لصراحتها وتركيبتها. ربما تعودت كوماكو التعامل مع عناصر أكثر تقليدية، ولكنها كانت تتمتع بقدرات أقوى مكنتها من تقييم الصفات الجديدة.

جعلتها علاقتها بتكابومي ويوري على صلة بحقبة جديدة، فكان ذلك يشكل حافزاً سعت إليه عنه بملء إرادتها. ربما كان هناك دافع خفي أيضا، فهي مدركة أنها كانت قد تأخرت عن تطور العصر، لذا اعتقدت أن مصادقتها الشابين ربما فتحت لها المجال كي تواكب العصر الحديث.

زيارة تكابومي هذا اليوم التي جاءت بعد أيام قليلة من زيارته السابقة، فاجأتها، ولكنها رحبت بها.

اقترحت كوماكو «ما دمت قد تحملت جميع الصعاب كي تدعوني إلى المعرض، ربما أستطيع أن أدعوك بكل سرور إلى وجبة طعام».

كانت تتساءل عما يمكنها أن تعد للغداء، فالطبخ لشخص واحد أمر مزعج، وخصوصاً أنه لم يكن لديها من الطعام سوى بعض الخبز، لذا لم يكن بوسعها تحضير وجبة، على أية حال. فدعوة تكابومي إلى مطعم لتناول الغداء تمنحها فرصة لتتناول وجبة عامرة.

«آه، يا مدام إن ذلك سيكون رائعاً!» بدا تكابومي مبتهجاً حقاً. إن اطلاع كوماكوعلى

الجيل الجديد لم يكن قد وصل إلى مرحلة تمكنها من إدراك أن دعوة شاب من امرأة تكبره سناً قد تشكل له سعادة فائقة؛ فاعتبرت جوابه مبهجاً وطبيعياً من مراهق جائع. وعلى الرغم من ذلك، فإن استخدامه كلمة (مدام)– وهو لقب يستخدم لمخاطبة مديرة حانة خمر– بدلاً من أسلوب المخاطبه المتعارف عليه، لم يكن لائقاً.

«ما دمنا ذاهبين إلى جينزا، فلنتناول الغداء هناك. إنني ذاهبة لأغير ملابسي، لذلك انتظرني هنا لو سمحت». قالت كوماكو وهي تنهض. كان المنزل يتألف فقط من غرفتين يفصل بينهما باب ذو مزلاج، وصدر عنه صرير عندما أغلقته.

لم يتطلب خروجها هذه المرة أن ترتدي أفضل ثيابها التي ارتدتها عندما زارت أويسو، ولكن كان لديها ما أطلقت عليه ثياب الدرجة الثانية؛ قميص وتنورة متناسقين. هنا ألقت بنظرتها الأخيرة إلى المرآة وكانت تهم بفتح شقي الباب، وجدت أنهما لم يكونا مغلقين تماماً، ومن خلال الفجوة استطاعت أن ترى تكابومي الذي قد بدا غير مبال. إذن، كنت تختلس النظر؟ قالت لنفسها.

كانت البراءة المصطنعة في تعبيره دليلاً على أنه قد فعل شيئاً لم يكن ينبغي له أن يفعله. لم تبد كوماكو إحراجاً، ليس بسبب ثقتها بنفسها بوصفها امرأة متزوجة منذ تسع سنوات بقدر عدم اعتبارها تكابومي راشداً بعد.

«هل سنذهب؟»

بعد إغلاقها باب الشرفة الزجاجي، خرجت كوماكو عبر الباب الخلفي وارتدت حذاءها الصيفي الأبيض لأول مرة في تلك السنة.

كان السير إلى المحطة طويلاً، ولكن نسمات الصيف العليلة كانت تهب عبر أوراق الأشجار على طول الطريق. بينما هما سارا، تبين أن تكابومي كان أطول منها بإنشين وأنه بدا رجلاً ناضجاً. كان يرتدي بنطلوناً كستنائي اللون وسميك القماش. وقد لفت انتباهها قماش قميصه الأبيض الذي لم يكن كتانياً ولا قطنياً.

علقت «هذا القميص الذي ترتديه ليس عادياً تماماً. أليس كذلك؟».

لم تكن معرفتها بالقماش جيدة جداً، لذلك شعرت أنها مجبرة كي تسأل عنه ولكن منذ مغادرتهما للمنزل، ظل تكابومي صامتاً؟ لذلك استخدمت السؤال كي تستعيد حوارهما ثانية.

قال ببساطة «نعم».

ووفقاً ليوري، يلح تكابومي على أمه كثيراً بغية الحصول على النقود ليصرفها جميعاً على الثياب؛ فهو لا ينفق النقود على أي شيء آخر. أولى عناية كبيرة جداً لقبعاته وقمصانه وأحذيته وما شابه ذلك، ينظفها بالفرشاة عند الضرورة، ويستخدم السوائل المزيلة للبقع. كان من الغرابة ألا ترد كوماكو على مثل هذا التعليق، وهي التي لفتت ثيابه انتباهها.

«أهذا ما يدعونه بجلد سمك القرش؟».

«نعم».

«إنها الصرعة هذا العام، أليس كذلك؟ إنك بالتأكيد تلحق آخر صيحات الموضة يا تكابومي. هل جميع طلاب الجامعة مثلك؟»

«كلا». لم يكن يقول إلا جزءاً مما كانت تتوقعه.

ما الذي يجعل هذا الولد الذي كان حتى منذ وقت قصير يتحدث بمرح، يصمت تماماً هكذا؟ من الواضح أن هناك سبباً وراء صمته.

ربما كان محرجاً من أن يراه أحد يسير معي. بدأت كوماكو بالاستمتاع ولم تتوقع من تكابومي أن يكون خجلا إلى هذه الدرجة، وهو كان تعود السير مع يوري.

كلا، لابد أن يكون هذا السبب!

عندما كانت تبدل ثيابها دون أن تعي أن أحداً يراقبها من خلال فتحة الباب، اتخذت أوضاعاً عديدة أمام المرآة وهي لا ترتدي سوى ملابسها الداخلية. ربما ندم تكابومي على تجسسه عليها.

يا له من فتى ساذج! ما كان ينبغي له أن يتعامل مع الأمر بجدية.

بينما دخلا شارع المحطة، ظلت كوماكو تبالغ في تقييمها سذاجة الجيل الجديد.

كان في القطار الكثير من المقاعد الخالية، لذلك كان بمقدورهما ألّا يجلسا متجاورين. على أية حال، بما أن القطار لم يكن مزدحماً، كان الناس يحدقون فيهما. تساءلت كوماكو بفضول عما يظنه الآخرون بهما! تكابومي يصغرها بعشر سنين، وخروج امرأة مع أصغر إخوتها لم يكن ليثير فضول الناس. لذلك قد يظنون أننا ...

بينما اقتربا من مركز المدينة، بدأت العربة بالامتلاء. ازداد عدد الواقفين ولم تعد تشعر

أنهما مراقبان. عندما نزلا من القطار في محطة يوراكوشو، مغادرين من المخرج الشرقي، سرعان ما اختفيا وسط الزحام. لم يأبه أحد للآخر، ولكن هذا الشيء جعل كوماكو تشعر بقليل من عدم الرضا.

أتمنى لو لاحظنا أحد.

ربما كان مجرد فتى غريب الأطوار، ولكنها أرادت أن يلاحظها الناس وهي تسير بصحبة رجل في هذه المنطقة العصرية الحديثة التي تدعى جينزا.

«أي مكان هو جيد بالنسبة لي». قالت كوماكو لتكابومي، ثم أضافت وهي تقترب منه، «لم لا تأخذني إلى مكان تعرفه؟»

في حقيقة الأمر، لم تكن كوماكو على معرفة بالمطاعم وماشابهها في جينزا ما بعد الحرب. أحياناً، تذهب هناك لتشتري الأقمشة والأزرار للثياب التي كانت تخيطها، ولكن كلما احتاجت إلى تناول الطعام هناك، كانت تختار شيسيدو الذي تعودت الأكل فيه منذ زمن بعيد. كانت قد سمعت أن عدداً من المطاعم الجيدة قد افتتحت مؤخراً، ولكن لم يخطر ذلك ببال زوجها عديم الفائدة أن يصطحبها هناك لتناول وجبة طعام. ولم تشعر أنه من اللائق التردد إلى مكان أنيق دون مرافقة رجل.

«هل تحبين مكاناً يقدم طعاماً جيداً، أم مكاناً هادئاً نستطيع أن نتحدث فيه؟»

الآن تصرف تكابومي تصرف الرجل الناضج. من الواضح أن قدومه إلى جينزا أعاد له حيويته.

«ما رأيك بمكان يقدم طعاماً جيداً ويتمتع في الآن نفسه بأجواء هادئة؟»

كانت كوماكو تعلم أن مطعماً مثل هذا لابد أن يكون مكلفاً، ولكنها في هذا اليوم انتابها شعور مريح يجعلها ترغب في الإنفاق دون مبالاة؟ إن نقود تعويضات عمل إيوسوكي، أو ما كان قد بقي منها، لم تمس بعد.

عندما شرعا بعبور الشارع في سكاياباشي، قدم تكابومي يده لها بسرعة. من الواضح، أن ذلك كان يشكل أحدث أنواع الكياسة، على الرغم من احتمال أنها كانت تحمل معنى آخر. إلا أن كوماكو كانت تشعر باندفاع، لذلك أخذت ذراعه وتبينت في الحال أن هذه هي طريقة السير الحالية لحبيبين.

حتى بعد عبورهما الشارع لم يخفض تكابومي ذراعه وتابعت كوماكو سيرها وهي تلف ذراعها بذراعه. لم يرمقهما أحد مرة أخرى، ذلك لأن كل زوج من بين عشرة أزواج كانا يسيران بنفس الطريقة.

لابد أن يكون هذا الشعور هو ذات الشعور الذي ينتاب ممثلة عندما لا يلحظها أحد من الجمهور، هكذا فكرت كوماكو. وما هو الشيء الذي جعلها ترغب في التمثيل؟ لأجل من كانت تمثل المسرحية؟

حسناً، أيها الزوج عديم الفائدة، هل أنت هنا في مكان ما؟

فكرت كوماكو بإيوسوكي، عندما عبرا سكة القطار الكهربائي، ثم دخلا مطعماً اسمه (بتروشكا) كتب بخط الكاتاكانا الياباني عند المدخل، شعرت بوخز ينتابها عند عمودها الفقري لدى تفكيرها باحتمال رؤية إيوسوكي إياها هناك.

كانت جدران المطعم مطلية باللون الزهري ورسمت عليها أشكال ورود ذات الألوان الزرقاء والرمادية الباهتة – تشبه نمط رسومات ماري لورنسن ذات الألوان الفاتحة– مشكلة تناغماً مع نباتات نسقت في أماكن من المطعم خلقت جواً رومانسياً داخله. كانت منطقة جينزا تصارع كي تستعيد، ولو على نحو مصطنع، تألقها الذي كان يسودها قبل الحرب، فنجحت إلى حد كبير.

«هذا مكان لطيف، ألا تعتقدين ذلك؟» سأل تكابومي مستخدماً سكين المقبلات بطريقة ماهرة. عاد ليستخدم ثانية أسلوب المخاطبة الذي يليق بخالة أو عمة محترمة.

«نعم، إنني أعتقد ذلك». فضلت كوماكو مكاناً أكثر كلفة تجرب فيه شيئاً جديداً، إذا كان هذا كل ما تقدمه جينزا ما بعد الحرب، فإنه مخيب للآمال. لم يكن هناك شيء في الأجواء ولا في الديكور يمكن له أن ينافس موائد المطاعم التي قرأت عنها في الروايات الغربية. لماذا خبت متعة السير ذراعاً بذراع مع شاب حال دخولهما المطعم؟ هل شكلت عدم ملاحظة أحد دخولهما المطعم خيبة أمل؟

بعد تقديم الطعام إليهما، انسحب النادل سريعاً، ربما ليتركهما وحيدين، فوضع تكابومي سكينته وشوكته، ثم وضع يديه على منديل الطاولة.

«هل تعلمين أنني كنت سعيداً حقاً للقائك في أويسو».

نظر في عيني كوماكو مبتسماً بسرور كما لو كان طفلاً يسعى لجذب انتباه من هم أكبر منه سناً، أو كما تسعى المرأة إلى اجتذاب الرجل.

«ولماذا كان ذلك؟»

راقبت كوماكو أصابع تكابومي. كانت نحيفة، وبيضاء، كأصابع من الحلوى، ولم تتوقف عن الحركة أبداً. وبدت أظافره مقلمة ولامعة. تخيلت كوماكو أصابع إيوسوكي كبيرة وسمينة وكأنها يرقات فراشات متخمة، حتى بانت السيجارة بين أصبعيه صغيرة جداً. كانت تلك الصورة هزلية فاعتلت الابتسامة وجهها. استمر تكابومي في التحدث بجدية. «كان عمري ست عشرة سنة عندما رأيتك أول مرة، هل كان ذلك اللقاء أمام متجر بيع القبعات، دايتوكو، أم أمام متجر بيع الفواكه، سنبيكيا؟»

«لديك ذاكرة جيدة».

«كيف لي أن أنسى؟ كنت ترتدين طقماً جذاباً جداً. أعتقد أنه كان أزرق رمادياً».

«أحقاً؟!»

«نعم. كنت جميلة جدا! كي أكون صريحاً معك، كنت غيوراً من زوجك».

«حسناً يا تكابومي كنت تبدو أكبر من سنك، أليس كذلك؟»

«عندما يكون الإنسان في السادسة عشرة من عمره، يفكر بجميع الأشياء. إلا أن الكبار لا يدركون ذلك».

«هذه فكرة غير مريحة، ولكن لو حقاً تركت لديك انطباعاً كهذا، لتشرفت بذلك».

«في ذلك العمر، كنت أحب النساء الأكبر سناً».

«في عمر السادسة عشرة، أغلب النساء أكبر منك سناً».

«ليس فقط في ذلك الوقت بل حتى الآن، إنني في الحادية والعشرين ولاأزال أشعر بذلك أكثر من ذي قبل. ربما كان نوعاً من الإعجاب بمريم العذراء. لا تثير إعجابي أية امرأة. فما أتخيله دائماً .».. هنا أحضرت وجبة السمك لهما.

تابع تكابومي وصفه المرأة المثالية بجميع أوصافها. كان ذلك يطابق تماماً مواصفات كوماكو وشكلها.

«لها بشرة ناعمة– أعتقد أنه يطلق عليها صاحبة البشرة قليلة السمرة– تعكس رقة

الأحاسيس. تعلوها نقاط بنية اللون .»..

«ألا تعني النمش؟» ذهبت يد كوماكو نحو وجهها.

«نعم. فدون النمش يصبح تصوري للمرأة المثالية محطماً. أعتقد أن جميع النساء الذكيات لديهن نمش».

إذا كانت هذه طريقة تكابومي بإغرائي، فلابد أنه يعتقد بأنني حمقاء، هكذا فكرت كوماكو، وإذا كان جاداً، فإنها أكثر سخفاً من أن تصفها الكلمات. على أية حال، لم يكن بمقدوره إنكار اعجابه بها.

لم تسمع كوماكو في حياتها مثل هذا التغزل بالنمش. كبحت في داخلها رغبة ملحة في القهقهة. وعلى الرغم من ذلك، أربكها الإحساس بالسعادة الناجم عن تغزله بسمة طالما اعتبرتها عيباً فيها.

حقاً لقد كان إطراء تكابومي تجربة جديدة بالنسبة لكوماكو. لم يقل لها رجل مثل هذا من قبل. قبل زواجها من إيوسوكي، صرح رجل واحد بحبه لها، ولكنهما كانا متقاربين عمراً ومنتمين إلى نفس الطبقة الاجتماعية. وها هو تكابومي يحمل لها نظرة إعجاب، ويهمهم بالمديح عند قدميها بصوت أنثوي ناعم. في أوربا القرن الثامن عشر، هل همس الغلمان لسيداتهم بمثل هذا؟

«ذاك هو نوع النساء الذي انتظره!» تابع تكابومي، «أستطيع أن أكرس جل حياتي لأجل مثل هذه المرأة. ألا تعتقدين أن السعادة تكمن في هذا؟»

«لا أعرف شيئاً عن هذا؟ ظننت أن يوريكو هي النموذج الذي يعجبك».

«يوري؟ ما كان هذا ليحدث أبداً! إنني أدعوها بالإعصار يوري! لا تهتم بشيء سوى التصرف بتهور. فقط تخيلي مدى فظاظتي لو أسلمت نفسي إليها!»

«لا تقل ذلك. إنكما تنتميان إلى جيل واحد. يكون الناس أسعد عندما يقعون في حب من هم في أعمارهم ومن ينتمون لنفس الوسط الاجتماعي».

لدى قولها ذلك، عادت أفكار كوماكو لتدور حول وضعها الشخصي. هي وإيوسوكي لم ينتميا إلى أية حقبة، وكانا مثلاً كلاسيكياً لزوجين غير متناسبين. ووفقا للمنطق ذاته، ينبغي لها أن تكون في غاية البؤس.

«إنني أخالفك الرأي» كان تكابومي يدافع عن نفسه، «إنني لا آبه أبداً لأحد من عمري علاوة على ذلك لا يوجد أحد حولي يستحق اهتمامي. أبناء الريف السذج هم فقط من يسخرون من موضوع المساواة بين الجنسين. أما أنا، فأريد امرأة كي أعبدها، امرأة تقودني في كل مراحل حياتي. آه، كم ستكون متعة بالنسبة لي! هذا ما أريده».

جلب النادل طبق المقبلات.

كانت الساعة قد تعدت الثانية عندما فرغا من غدائهما وغادرا. لقد قضيا وقتاً طويلاً في تناول الطعام، ولكن كوماكو شعرت بأنه لم يكن بمستوى أناقة المظهر العام للطاولة. شكلت فاتورة الحساب التي بلغت أربعة آلاف ومئة وخمسة وعشرين يناً صدمة لها، ولكنها لم تستطع أن تجادل.

في تلك الأثناء، كان تكابومي في غاية السعادة، حتى إن ابتسامة عريضة ارتسمت على وجهه. فإكرامه من قبل امرأة كان يعبدها بعث في نفسه متعة فائقة. أما كوماكو، فقد اعتبرت سدادها فاتورته تعبيراً عن شجاعة كبيرة من قبل امرأة مثلها. كان يدرك تكابومي أن دخل كوماكو من المال لم يكن مرتفعاً جداً، ولكن عندما رأى كرمها رغب في التعبير عن شكره وتقديره لذلك.

«لقد استمتعت بذلك جداً! شكراً جزيلاً لك!»

هونت الحماسة التي أظهرها تاكابومي وهو يشكر كوماكو عليها، فأصبح نسيان أمر الفاتورة سهلاً بالنسبة لها.

بعد ذلك، ذهبا إلى المعرض المقام في الرواق الياباني الفرنسي. من ضمن المعروض كثير من الملابس التي كانت ضمن موضة السنة الفائتة. على الرغم من ذلك، سحرت كوماكو بخيال المصممين الفرنسيين المشهورين وإبداعهم. ما أدهشها هو أن الأزياء كانت أقرب إلى الذوق الياباني الأنيق منها إلى المظهر الجديد الرائج.

على أية حال، لا أستفيد كثيراً من هذا في خياطتي، هكذا اعتقدت. استطاعت أن تدرك بسرعة الفجوة بين الأزياء الأوربية وحال الأزياء اليابانية في زمانها.

عندما انتهيا من تجوالهما في المعرض، لم يبق لديهما شيء يفعلانه.

«هل أنت ذاهبة إلى المنزل؟» سأل تكابومي وهو يلقي بنظره إلى الأسفل حزيناً.

«كما رأيت فإنني لم أقفل أبواب المنزل جيداً لذلك أحتاج إلى أن أعود».

«دعيني على الأقل أرافقك حتى المنزل».

كان عليها أن تبذل مجهوداً كبيراً كي تقنعه ليرافقها فقط إلى محطة طوكيو.

«إذاً متى نستطيع أن نلتقي ثانية؟ وهل لي أن أحصل على أذنك لأكتب لك؟» سأل تكابومي بقلق وهما يقتربان من مدخل ياسو للمحطة. كان توتره يثير الشفقة وعندما اقترب وقت الفراق بدا الحزن يلفه.

ربما كان هذا خطراً، فكرت كوماكو. من الأفضل أن أسير بحذر.

إلا أنها لم تشأ أن تفوت الفرصة قليلاً لتطيل هذه العلاقة ذات المجازفة الخطرة. في نهاية المطاف كانت حرة كي تفعل ما تشاء مع الشاب إذا ما ذهبت علاقتهما إلى حد لا ترغب هي به في المغامرة، إذ تستطيع أن تجبره على إطاعتها وفعل ما تتمناه هي. شعرت أنها قادرة على ذلك لأنها كانت متيقنة أنه لم يمسها عاطفياً. إنها لم تجرب هذا النوع من الحرية من قبل ولم تسمح لها الفرصة ثانية. لقد كان تحولاً مبهجاً. بالاعتماد على كيفية رؤيتك للأمر، لقد فازت بشاب صغير يركع عند قدميها، وفي ذلك برهان على أنها لاتزال شابة.

شعرت كوماكو بدفء جديد ينتشر في كامل جسدها.

«يمكنك الزيارة في أي وقت تشاء، وبالطبع رسائلك .»..

كادت تكمل حديثها عندما لاحظت ظهر رجل ضخم جداً متجه نحو محطة جينزا. لقد أصابها الذهول، فتوقفت ولكن قبل تمكنها من رؤيته بشكل جيد كان قد اختفى، ربما كان ذاك وهماً، لأن إيوسوكي لم يكن ذاك الرجل الذي يتحرك بمثل تلك السرعة.

الفصل الرابع
كشف الهواجس

أخذ الطقس يزداد حرارة، ولكن لم يظهر أي أثر لايوسوكي. كانت كوماكو مقتنعة أنه سيعود في نهاية المطاف إن لم يكن بعد فترة قصيرة، فاستسلمت لهذا الاعتقاد.

لحسن الحظ، كانت منشغلة بترجمة مذكرات إليانور روزفلت. وقد ساعدها العمل على الكتاب في الابتعاد عن غضبها من إيوسوكي، كما زاد من دخلها. وإذ لم يعد زوجها في المنزل، أصبح بمقدورها تكريس جل وقتها للترجمة.

في الحقيقة، يمكن لغياب الزوج أن يكون مصدر حرية للزوجة. فعلى الرغم من أن إيوسوكي كان ينصاع لأوامرها دائماً، إلا أن غيابه جعل كوماكو تشعر بحرية هائلة. هكذا هو حال الزوجة اليابانية، تحمل على عاتقها عبئاً ثقيلاً.

ربة المنزل في اليابان لا تحصل على أي دخل. فالزوجة المنصاعة لأوامر زوجها، خاضعة له دون أدنى شك. أما الزوجة المسيطرة مثل كوماكو، فلا تستطيع أن تنجح في حياتها بسهولة. فهل يعقل أن تقوم ملكة النحل بدورها وبدور الذكر في آن واحد؟ قد تتصرف الزوجة بعظمة وقوة بأس، ولكن ما الفائدة؟ إذا عاد إيوسوكي، فإنها على استعداد أن تخنقه بياقة قميصه، وتهزه بعنف ولكن لن يجلب تعبيرها عن الغضب إلا رضا مؤقت سرعان ما سيتلاشى، فماذا بعد؟

من الذكاء أن أستغل الفرصة لتغيير مهنتي، هكذا فكرت كوماكو.

حتى ذلك الوقت كانت كوماكو تأخذ واجبها بوصفها ربة منزل بجدية، ناظرة إلى فكرة الطلاق بازدراء. وقد أجبرها واقع الحال في ظل غياب إيوسوكي في الشهرين الماضيين على إعادة النظر في هذا الموضوع. لم يكن دافعها لهذا الأمر توقفها عن الاهتمام بزوجها، بل شعورها بوجوب مراعاة ذاتها. وقد تعتري هذه القناعة أي ربة منزل في أي مكان، فهي في حد ذاتها ليست فكرة استثنائية.

لم يكن لافتتان تكابومي بها تأثير يذكر على تفكيرها بتغيير عملها. وقد أصبح حاضراً

في حياتها، يرسل الرسائل التي كانت تصلها صباحاً ومساء ويزورها مرة في الأسبوع على الأقل. لم يكن يحاول إخفاء مشاعره نحوها. ولكن على الرغم من محاولاته التصرف بنضوج، إلا أنه كان مراهقاً لاتزال تفوح منه رائحة حليب أمه. ولم يحرك مشاعرها ما كان يبذله من جهد في الاهتمام بها والتودد إليها.

كانت كوماكو تستقبل توددات تكابومي بنزعة أمومية، لاسيما أنها شكلت تغيراً في حياتها ساعدها في تمضية وقتها. في نهاية المطاف، إنه يستحق بعض الاحترام كونه أول رجل يدخل في حياتها بعد زوجها. باختيارها أن تغير مهنتها وتصبح حرة مرة أخرى، سيصبح الطريق مفتوحاً وسيتسع المجال أمامها. لا شيء يبدو واسعاً لا حدود له، كما بدا لها المستقبل الآن.

نحو الحرية! تردد ذلك النداء كثيراً في أذن كوماكو. اضطربت للحظة متسائلة عن حال إيوسوكي في هذا القيظ دون قميص صيفي خفيف، ثم ما لبثت أن فكرت ملياً في القانون المدني الذي تم تعديله مؤخراً. كانت تعرف منه فقرة تنص على أنه إذا استحال إثبات أن أحد الزوجين لايزال على قيد الحياة لثلاث سنوات متتالية، يصبح حصول الطرف الثاني على الطلاق مضموناً على نحو تلقائي. إلا أن إثبات ذلك لايزال بحاجة إلى سنتين وعشرة أشهر. كما أن هناك فقرة أخرى في القانون تمنح الطلاق إذا «هجرت الزوجة على نحو متعمد»، ولكن ذلك قد يثير التساؤل حول ما إذا كان إيوسوكي قد ترك المنزل متعمداً أم لا؟ فربما لم يقصد هجرها على الإطلاق. وقد تكون حجة القضاء أنها هي من هجر إيوسوكي.

في نهاية الأمر، إن القانون المدني ليس حديث العهد!

وصلت رسالة قصيرة من هنيدا، خال إيوسوكي في أويسو: «أرغب في معرفة ما حدث منذ زيارتك الأخيرة. أحضري من فضلك في الساعة الواحدة بعد الظهيرة في تاريخ الثامن والعشرين. مودتي».

أرفقت مع الرسالة خريطة تضمنت إشارات تدل على منزل فوجيمورا كايوشي في كاسومي—كو، وهي منطقة سكنية راقية في منطقة أزابو وسط طوكيو. كانت تعرف كوماكو أن «فوجيمورا كايوشي» هو أحد أعضاء جمعية غوشوكاي وهو والد يوري أيضاً. لابد أن هذا يعني أن المجموعة ستلتقي هذا الشهر هناك. ربما بسبب ضغط الأسرة وقلقها، خطر

ببال خال إيوسوكي رؤية كوماكو والاطلاع على أحوالها طالما هو ذاهب إلى طوكيو في كل الأحوال. فمن خلال معرفتها بشخصية هنيدا، عرفت أن رسالته هذه لم تكتب إلا بعد تفكير عميق.

تناولت كوماكو غداءها في وقت مبكر وغادرت المنزل. لم يكن اجتماع جمعية غوشوكاي حافزاً كافياً لها كي تتأنق، لذلك ارتدت ثوباً بسيطاً كانت قد صنعته من أقمشة ثياب إيوسوكي الكتانية مع زوج من الجوارب البيضاء، غير مدركة أن امرأة مثلها تبدو أكثر جاذبية بثياب غير رسمية.

في شينانوماشي، نزلت من القطار ثم صعدت الترام حيث كان يجلس في إحدى زواياه رجل رفع لها قبعته محيياً. كانت قبعة بنما راقية وكان الرجل يرتدي بزة فاتحة اللون من الكتان الفاخر. تذكرت كوماكو الاجتماع في أويسو، وقد كان الرجل عضواً من أعضاء الجمعية، يعزف على آلة الجرس القرصي.

«أعتقد أنك السيد هنمي. آسفة لمقاطعتي تدريبكم ذلك اليوم».

«لقد أصبح الجو حاراً جداً، أليس كذلك؟ هل لي أن أسألك إلى أين أنت ذاهبة اليوم؟»

تحدث هنمي بلطف مصطنع، حتى إنه قد خطر ببالها أنه يشبه أحد أولئك الذين يقلدون العادات الإنجليزية. كان الرجل الوحيد الذي يرتدي ربطة عنق وقفازات بيضاء في ذلك الترام المزدحم، حاملاً بيده عصا يستند إليها.

«إلى منزل فوجيمورا. لقد تلقيت رسالة من الخال يطلب فيها أن آتي».

«حقاً؟ إنني في طريقي إلى هناك كذلك. فلنذهب سوية إذن. هذه المرة الثالثة التي تلتقي فيها المجموعة منذ لقائنا في أويسو».

«لابد أنك تتطلع إلى هذا اللقاء». علقت كوماكو باستلطاف. ثم عندما خطر لها أنها قد تمادت في التكلم بجرأة مع رجل شاب إلى حد ما، استدركت قائلة «ولكن ألا تجد في الأمر بعض الغرابة».

« إطلاقاً». رد بلطف، ثم قال: «حسناً، لا تجذبني الموسيقى كثيراً بقدر ما يجذبني الجو العام. لا يوجد مكان آخر في اليابان تشعرين فيه بأنك في سكينة حقيقية».

«حسناً، ربما يكون ذلك المكان مليئاً بالسكينة، ولكن ألا يضعكم ذلك في نوع من العزلة

الاجتماعية؟ ألا يشكل ذلك اهتماماً محصوراً على أناس لا يهمهم سوى المتعة؟»

«حسناً، كما قلت، إنني أذهب إلى هناك فقط بسبب المناخ العام. بالمناسبة، أعرف أنك متمكنة من الأدب الإنجليزي».

من الواضح، أن الرجل لم يرغب في النقاش في ذلك الموضوع، فأراد أن يغير مجرى الحديث.

«هل لك أن تخبرني ما إذا كان الكاتب الروائي جورج ميرديث مهماً أم لا؟ إنني لا أعرف شيئاً في الأدب، ولكنني استمتعت بقراءة إحدى رواياته، التي تدعى الأناني».

اتضح من نقاشهما أن هنمي تاكاشي على قدر عال من الثقافة.

كان يبدأ تعليقه بجملة «بينما أنا نفسي لا أعلم». متابعاً تقديم تعليقات موضوعية حول الموسيقى والفن والأخبار.

في أثناء الحديث، استنتجت كوماكو أن آراءه محافظة، عتيقة وضيقة الأفق. ففي مجال الأدب، تمحور حديثه حول الأنماط الأدبية السائدة قبل الحرب، وإذا ذكرت كوماكو كاتباً روائيا أمريكياً معاصراً، لم يبد رأيا باستثناء التعليقات النقدية.

على أية حال، فإن حديثهما لم ينقطع حتى بعد نزولهما من القطار في المحطة المجاورة للمقبرة، حيث تابعا السير على الأقدام. لاحظت كوماكو أن هنمي حريص على ألا تسبق خطواته خطواتها، ومنذ أن نزلا من الترام كان يتصرف بكياسة الرجل النبيل المعجب بامرأة دون أية مبالغة، وهي الصفة التي ميزت توددات تكابومي. بدا هنمي رجلاً رزيناً، ما جعل من الصعب على كوماكو أن تستوعب أنه يشارك في حماقات جمعية غوشوكاي.

إنه مهذب على نحو استثنائي، خلصت إلى هذا الاستنتاج.

أصبح من عادتها مؤخراً، كلما التقت برجل للمرة الأولى، أن تقارنه بإيوسوكي. تماماً كما قارنت يدي تكابومي البيضاوين وأصابعه النحيلة بيدي إيوسوكي ذات الأصابع السمينة. وهي الآن تنشئ مقارنة بين إيوسوكي ومخزون هنمي الثقافي والتعليمي وكذلك أفكاره وكياسته التي ظهرت في كل فعل قام به.

كم هما مختلفان! قالت لنفسها.

على الرغم من تقارب سن كل منهما، لاحظت كوماكو كل ما لدى هنمي وينقص

إيوسوكي، ليس فقط ما يخص المعرفة والثقافة بل ما يتعلق بالتربية وحسن الخلق أيضا. كما لاحظت اختلافاً آخر هو أن هنمي كان يملك مالاً كثيراً.

لقد علمت من حديثها مع زوجة خال إيوسوكي أن دخل هنمي مرتفع. حتى إنه وهوري هوران يلقبان في جمعية غوشوكاي بالعضوين الثريين. لقد نشأت كوماكو بطريقة جعلتها تقدر أهمية المال، لذلك كانت تحاول دائماً أن يكون بحوزتها مقدار كاف منه، وقد كان يقلقها شح النقود في الفترة الأخيرة. أحد الأسباب التي شجعتها على الارتباط بشخص من عائلة ميناميمورا، كان ظنها أنها لن تواجه أي صعوبات مالية. كانت تعتقد أنها بانغماسها في الأدب الإنجليزي لن يكون لديها ما تشتكي وتتذمر منه، حتى وإن كان هناك ما يضايقها في حياتها الزوجية. ولم تتصور أنها ستعيش في كدح كي تنفق على منزلها بدءاً بخياطة الثياب وانتهاء ببعض الأعمال الأخرى التي لم تخطر ببالها.

«كلما حضرت إلى المنطقة، تفضلي بزيارتنا». دعاها هنمي إلى منزله، «على الرغم من أنني أعيش في الأطراف».

لو أنه أشار إلى منزله بوصفه مكاناً بائساً، لكانت الدعوة لائقة أكثر، فإشارته إلى بعد منزله تدل على تفاخره بمنزله.

«شكراً جزيلاً. إنني أرغب في المجيء، خصوصاً إذا استطعت أن أقابل زوجتك أيضاً».

قررت كوماكو أن مصادقة شخص مثقف كهنمي أمر جيد. على أية حال، أجاب هنمي بصوت يخفي بعض العاطفة « إنني آسف، فزوجتي الآن في فوجيمي».

«هل تعني أنها مريضة؟» سألت كوماكو مميزة الاسم كمكان يقع في أسفل هضاب فوجي معروف بمصحاته ومنتجعاته ذات ينابيع المياه المعدنية.

«نعم إنها هناك منذ أكثر من عام».

«هاقد وصلنا». قال هنمي مشيراً إلى منزل كبير جداً محاط بجدار اسمنتي خال من الذوق. أصيبت كوماكو بخيبة أمل لأن حديثهما أشرف على نهايته. وبدا على هنمي نفس الشعور، ولكن لم يكن بالإمكان فعل أي شيء.

«مرحباً، مرحباً». صاح فوجيمورا من المدخل، «هنيدا بانتظاركما». كانت السيدة فوجيمورا تقف هناك أيضا. وبدت جدية جداً، كأستاذة في مدرسة.

«أتمنى ألا تكونا قد واجهتما صعوبة في إيجاد مكاننا. إنني آسفة، إذ إن المكان ليس بقريب». قالت السيدة فوجيمورا.

«كلا، على الاطلاق. كنت محظوظة بلقاء السيد هنمي، وقد دلني على الطريق».

أخذت كوماكو إلى غرفة الجلوس في الطابق الثاني. لم يكن هناك أي شيء استثنائي في المنزل سوى أن حجمه ضعف حجم منزل الخال. كان أنيقاً و معتنى به.

«إن من الوقاحة جعل رجل ينتظر». قال هنيدا عوضاً عن الترحيب. كان يجلس في غرفة المعيشة، مرتدياً سترة ألاباكا سوداء اللون، قديمة الطراز، وأزرارها الأمامية مفتوحة، وكان يهف على نفسه بشدة. «عندما يتعلق الأمر بموعد مثل هذا، يقولون إن من يأتي متأخراً هو صاحب الحظوة». قال بتباه هزلي، «بمعنى إن الذي يجعل الآخرين ينتظرونه هو الرابح. بوصفك امرأة ذات خبرة، ماذا تعتقدين؟» كان يخاطب هوران (أم تكابومي) الجالسة بالقرب منه. كان من الواضح أنهما أول القادمين.

«كيف لي أن أعرف؟ ما كنت لأحلم أن أقوم بمثل هذه التصرفات!» ردت باحتجاج على الرغم من أن غنج نظرتها ناقض كلماتها. كانت ترتدي ثوب كيمونو فضفاضاً مصنوعاً من الكتان الفاخر وعليه رسومات متناسقة.

«إنك متواضعة أكثر مما ينبغي». صاح هنيدا، «زوجك الراحل، صديقي العزيز هوري، أخبرني كل القصة– ذات مساء مثلج في مكان ما، حيث كان ينتظرك بصبر ..»..

«يا برفسور، يجب ألا تحرجني!» قاطعته هوران. وفي محاولة لصرف نظره عن هجومه عليها استدارت نحو كوماكو.

«عزيزتي ميناميمورا! لقد كنت مقصرة جداً في حقك! إذ ينبغي لي أن أشكرك لدعوتك تكابومي على وجبة الغداء في يوكوهاما ذلك اليوم. إن ذلك لطف منك!»

احمر وجه كوماكو عندما وجدت نفسها موضع ترحيب حار كهذا. وبما أن هوران لم تذكر سوى يوكوهاما، فقد أدركت كوماكو أن تكابومي لم يخبر أمه بلقائهما على الغداء في جينزا.

«إن ذلك الولد خجول جداً ياسيدة ميناميمورا، فهو لايزال غير قادر على دخول مطعم وحده!» قالت بحماسة «قال لي مؤخراً إنه يريد منك أن تعلميه الإنجليزية، فهو يرغب في

ذلك بشدة. لهذا فإننا نتطلع لتوجيهاتك الحكيمة».

شعرت كوماكو بارتباك شديد لدى سماعها ذلك، ولكن الخال تدخل، فأنقذها من عبء الإجابة.

«كوماكو، يجب ألا يقف الأمر عند تعليمه الإنجليزية، فليس من المبكر أن تعطيه دروساً لكي يصبح زوجاً جيداً، مما سيشكل مساعدة عظيمة للشابة يوري».

تشجع هنيدا بعد أن ضحك الجميع، فاستدار إلى هنمي وتابع.

«يجب أن أخبرك أن كوماكو بارعة، إذ تستطيع أن تكون زوجة صالحة أو زوجة سيئة، فهي توظف كلا الجانبين بمهارة بالغة وتميز. أستطيع القول إنها شيء نادر الوجود في اليابان في هذه الأيام». قال وهو ينظر بترقب إلى هنمي «هذا الرجل الشاب يستطيع أن يستفيد من مثل هذا التوجيه أيضاً».

«آه، بكل تأكيد، إنني شخصياً أود الاستفادة من حكمتها». أجاب هنمي محاولاً أن يمرر ذلك بطريقة النكتة، ولكنه تحدث بإلحاح أكثر مما كان يقصد. من الواضح أن اهتماماً قد اعتراه بشأن كوماكو.

«لقد تأخر صديقنا هيشكاري جداً، هؤلاء الأرستقراطيون يحبون التباطؤ والتأني!»

القفز من موضوع إلى آخر باستمرار بدا سمة من سمات هنيدا، وقد لاحظت كوماكو أنه نادراً ما يكون جاداً في حديثه، حتى مع زوجته.

«إنه لم يتأخر كثيراً». قال فوجيمورا مدافعاً عن القادم المتأخر «بالإضافة إلى ذلك، لا يتوافر لدينا في المنزل الطبلة المناسبة، وقد وعد هيشكاري أن يجلب طبلته معه. حتماً إن ذلك قد سبب له عناء كثيراً».

«ما رأيكم أن نبدأ بعزف لحن مثل (تاما شيكومي)، إنني أموت توقاً كي نبدأ» بدا هنيدا نافد الصبر كطفل.

«عفواً يا خال»، قاطعته كوماكو، غير قادرة على الانتظار أكثر من ذلك، «لقد أرسلت لي رسالة».

«نعم، لهذا السبب أتيت، بالطبع. ربما استطعنا أن نطلب من مضيفنا أن يدعنا نذهب إلى غرفة ثانية لكي نستطيع التحدث».

«سأكون شاكرة».

«ولكن، بما أننا لن نتحدث في موضوع خطير كالتخطيط لمؤامرة لقلب نظام الحكم، وبما أن الجميع هنا كالأسرة الواحدة، فلا حاجة للانزواء».

«ولكن . »..

تابع هنيدا مخاطباً الجمع «الحقيقة أن إيوسوكي ميناميمورا قد ترك منزله. حسناً، ربما كان من الأدق القول إنه أجبر على ترك منزله . »..

لم تستطع كوماكو منع هنيدا من إفشاء كل ما كان يعرفه من غير تفكير. إنه ليس من صنف الرجال الذين يحتفظون بأسرارهم الشخصية، فقد بدا غير مدرك لما قد يسببه لكوماكو من إحراج أمام الآخرين بسرده قصتها.

صدرت من الجمع ضجة متعاطفة.

«ما فهمته هو أن إيوسوكي قد أخذ إجازة. حتى نحن، كبار السن، نفهم ضرورة مثل هذا الشيء من وقت إلى آخر». صرح هنيدا ضاحكاً. «ولكن في مثل هذه الحال يا أصدقائي، ماذا يجب أن تفعله الزوجة الصالحة في اعتقادكم؟ لو سألتموني، لقلت إنه إذا اعتقدت الزوجة بأن أخذ الزوج إجازة من حياته الزوجية أمراً غير عادل، فينبغي عليها أن تفكر هي نفسها في أخذ إجازة أيضاً».

« من فضلك يا خال!» أحست كوماكو بمنتهى الإحراج، واحمر وجهها في حين كانت تحاول أن توقف الخال عن الحديث، إذ شعرت أنها قد أصبحت مثاراً للضحك.

«كوماكو، يجب عليك أن تسألي هؤلاء الأصحاب عما يمكن أن تفعليه. هيشكاري لم يحضر بعد، ولكنك لن تجدي مجموعة من الناس يتمتعون بحكمة أفضل من تلك التي يتمتع بها هؤلاء في أي مكان في البلاد. إنهم قادرون بكل تأكيد على تزويدك بآراء حكيمة حول أي أمر تسألين عنه. ألا تعتقدين بأنه ينبغي لك أن تكوني منفتحة وتصغين لما سيقولونه؟»

أظهرت كوماكو أن ما يدور بخلدها ليس بالأمر المهم. عندما حدقت باتجاه إحدى الزوايا، وقعت عيناها على نظرات هنمي المتعاطفة.

«العقل! العقل هو الحل». بدأ فوجيمورا بإلحاح، «عندما يتعلق الأمر بالمشاكل التي تحدث بين جدران المنزل، لا شيء يستطيع أن يحل محل العقل. ربما لا يستطيع حل كل شيء ولكنه

على الأقل لا يقود إلى التعاسة. يستطيع العقل أن يقودنا إلى حل مقبول بطريقة أكثر فعالية من العواطف، في اعتقادي».

فوجئت كوماكو بكون فوجيمورا أول المتحدثين. لقد اعتقدت أنه أحد الرجال الصارمين التقليديين الذين لا يبدون آراءهم إلا نادراً. لم تجد كوماكو في قوله ما يفيد. لقد كان كلاماً تقليدياً ومقتضباً. ولكن موقفه كان صريحاً بلطف ومنطقياً بحق.

لا شك أن أعضاء جمعية غوشوكاي مجموعة من الفضوليين، هكذا اعتقدت.

«من السهل قول ذلك». قالت هوران وهي تدفع بياقة قميصها إلى الوراء بإصرار امرأة اعتادت على مجادلة الرجال. «ولكن في العلاقات بين الرجال والنساء لا يمكن قياس معظم الأشياء على نحو منطقي كما تقاس بالمسطرة».

«ربما كان الأمر كذلك، لو استخدمت أدوات بدائية، ولكن إذا تم استخدام أداة قياس دقيقة، أعتقد أن جميع الأشياء يمكن قياسها. إنني أتحدث بالطبع بخصوص الدقة العلمية، وليس عن حقيقة مطلقة، لأننا لا نعيش حياتنا اليومية بموجب حقائق فلسفية». كان فوجيمورا يتحدث بوقار عظيم.

«إنني لست متيقنة مما تعنيه، ولكن مثل هذه النظريات الخيالية هي فقط تدابير مؤقتة». تابعت هوران، «يحب الرجال توكيد الدقة على اختلاف معاني هذه الكلمة. إلا أن قلب المرأة كان منذ الأزل معقداً صعب الفهم. إن المثل القديم القائل: (يمكن للرجل أن يكون أباً لثمانية أولاد، ولكنه بحاجة إلى الحذر عندما يتعلق الأمر بزوجته) لقول دقيق بسبب تعقيد قلب المرأة وهو لا ينتقص بشيء من قدرها».

بدا كلام هوران نابعاً من قناعة شخصية، مقاومة حجج فوجيمورا. كانت أكثر هدوءاً منه، وتحدثت بتأكيد حدي.

«أعتقد أنني أستطيع تفهم عادات مشاعر النساء وتعقيداتها على نحو تام». أجاب فوجيمورا، «ولكن ذلك ليس بالشيء الذي يعجز الطب أو علم النفس عن إيضاحه، فجميع التعقيدات في نفسية المرأة يمكن تفسيرها بالتحليل النفسي. في الواقع، إن نفسية الأنثى، على الصعيد العلمي، ليست بذلك التعقيد».

«كيف لك أن تقول ذلك؟ كيف لأحد أن يصدق رجلا مثلك يتمتع بأسلوب حياة مثالي

وأخلاقي. في الحياة الواقعية، ما يهم هو الخبرة والتجربة الفعلية. إن اطلاعك في هذا الشأن محصور بزوجتك، أليس كذلك؟»

«لا أرى خطأ في ذلك. إن دراسة حالات متعددة في البحث العلمي خطأ جسيم، وقد تفحصت شخصياً حالة فريدة بدقة بالغة».

«إن هذا مدهش!» صاح هنيدا، «الرأيان سديدان، وتساويهما في الحكمة أمر تنويري. ألا تجدين يا كوماكو أن هذا مفيد؟ لابد أن هذا الحوار سيثري فكرك». راح هنيدا يحثهما على الاستطراد وهو متحمس لاستكمال النقاش.

حتى بعد وصول هيشكاري، تابع أعضاء جمعية غوشوكاي نقاشهما حول طبيعة النساء والرجال، ناسين كل ما يتعلق بالتمرين على الآلات الموسيقية، ولم يكن هناك أية إشارة تدل على قرب توقف الجدال الدائر بين هوران و فوجيمورا، المطعم بتعليقات هنيدا المحايدة وغير المبررة.

بدأت كوماكو تكتسب فكرة أكثر وضوحاً حول ماهية جمعية غوشوكاي. إن أعضاءها يتمتعون بالنقاش الحي تمتعهم بموسيقاهم تماماً. وقد جعلتهم الحماسة التي كانوا يمارسون بها الهوايتين مجموعة استثنائية. على أية حال، لم يكن من اللطيف أن يكون وضعها الأسري محور تسليتهم، وكانت شاكرة لهنمي الذي لم يبد أي رأي.

في وقت مبكر، حاول الخال جره إلى النقاش بقوله، «ماذا عنك أيها الشاب؟ لابد أن لديك شيئاً تشاركنا به؟»

«أوه، إن شاباً يافعاً مثلي لا ينبغي له إلا الاستماع»، قال بحنكة رافضاً إبداء أي رأي ووجه ابتسامة نحو كوماكو.

كان الجو حاراً إلى حد ما في الغرفة التي تقع في الطابق الثاني، فخلع كل من هنيدا وهيشكاري سترتيهما الصوفيتين، فيما أبقى هنمي سترته. ولكنه ظل بين الفينة والأخرى يتناول منديلاً أبيض اللون من جيبه ليضعه على وجهه، وفي كل مرة كان يفعل فيها ذلك، كان عبير عطره ينتشر باتجاه كوماكو.

عندما قابلت كوماكو هنمي لأول مرة في أويسو، اعتبرته ببساطة عضواً آخر في هذه المجموعة الغريبة، ولكن بملاحظته عن كثب أدركت أنه مختلف عن الآخرين. وقد لاحظت

أيضاً أن ابتسامته بدت أكثر لطفاً وتعاطفاً بعد سماعه عن مغادرة إيوسوكي منزله.

استنتجت كوماكو أنه ربما قد يكون محافظاً، وهذا أمر طبيعي بمقتضى وضعه الاجتماعي.

بينما كانت تدرس وضع هنمي، انتابت كوماكو رغبة عارمة بالعودة إلى وضعها الاجتماعي الأصلي. بموجب أعراف الطبقة الراقية، فإن الكياسة النسائية لاتسمح للمرأة أن تبدي حميمية شديدة تجاه شخص قابلته مرة أو مرتين فقط. اتبعت كوماكو هذه القاعدة بدقة، فلم تسمح لنفسها سوى بالرد على ابتسامة هنمي بابتسامة خافتة. ولكن تعبيره أظهر لها أنه فهم مقصدها ضمن إطار تلك الآداب الاجتماعية. لولا ذلك الحديث الصامت بينها وبين هنمي، لما كان هناك سبب تتصبر من أجله في تلك الغرفة الحارة.

«حسناً يا كوماكو، بعد سماعك جميع هذه الآراء البناءة ربما اتخذت قرارك. لا يوجد شيء يمكنك فعله، سوى تهيئة نفسك لاحتمال العبء طويلاً والانتظار حتى يرجع إيوسوكي».

كانت كوماكو منغمسة بأحلام يقظتها، فلم تكن تستمع إلى ما يقال. وإذ أدهشتها كلمات هنيدا، تمتمت بجواب غير ملزم.

«إذاً، لقد حل الموضوع، ولدينا الآن مانقوم به».

وبهذا بدأ هنيدا بالقرع على طبلته نافذ الصبر، إلا أنه جعل حركته تبدو وكأنه يتفحص صوت الطبل، غير أن كوماكو فهمت أنها إشارة موجهة لها كي تغادر.

«أهذا كل ما أردت قوله لي يا خال؟» قالت كوماكو بانزعاج بالغ، ليس لأنها قد قطعت كل هذه المسافة ليتم كشف خصوصياتها فحسب، بل لأنها أجبرت أيضاً على الاستماع إلى مواعظهم التي لا صلة لها بالمشكلة. والآن يطلب منها باقتضاب أن تنصرف. من لا ينزعج من مثل هذه المعاملة؟

أهذا هو السبب الوحيد الذي طلبني لأجله؟

غادرت كوماكو الغرفة بتوتر. سارت مبتعدة عن باب الغرفة دون أن تودع هنمي، ولكن لحسن الحظ، جاء إلى أعلى الدرج ليقول لها: وداعاً. كان يجلس قرب الباب ما سهل لحاقه بها.

«آسف جداً لذهابك. إلى اللقاء في المرة القادمة».

كان صوته خفيضا، ولكن كلمة «آسف» بدت نابعة من القلب. أما عبارة «في المرة القادمة» فقد تبع صداها خطواتها وهي تنزل الدرج.

«شكراً جزيلاً» جاء جواب كوماكو بصوت خافت حاملاً شكرها لما قاله لها، ومؤكداً الصلة بينهما. على أية حال، كان حديثهما سطحياً ورسمياً جداً، فلا يمكن لأحد لو سمعهما ملاحظة أي جانب غير لائق. من طبيعة الناس، خصوصا من طبقة المثقفين، التعبير عما بدواخلهم بطرق ملتوية.

على أية حال، فإن الحديث المقتضب مع هنمي قد أطفأ غضب كوماكو تماماً. نزلت الدرج مسرعة وكانت متجهة نحو الباب الأمامي عندما قررت أنه سيكون من سوء التصرف إذا ارتدت حذاءها وانصرفت من دون مقدمات، فلا تستطيع النسوة ترك أساليب الكياسة واللباقة بينهن.

«السيدة فوجيمور، شكراً جزيلاً لك، إنني ذاهبة الآن». قالت ذلك باتجاه غرفة الجلوس الواقعة أسفل الدرج.

«هل أنت مغادرة على عجل؟» جاء صوت السيدة فوجيمورا وسمعت كوماكو سير أقدامها الخافت. في الوقت ذاته، جاء صوت قرقعة من الاتجاه المقابل. وصوت آخر جاء من الباب الرئيسي، إذ دخلت يوري. كانت ترتدي فستاناً غير رسمي ذي ياقة عريضة بلا أكمام.

«ماذا حدث لك يا يوري؟» ظهرت السيدة فوجيمورا في ذات اللحظة ووبخت ابنتها، «لأجل السماء حاولي عدم إصدار مثل هذا الضجيج!»

لم تأبه يوري لكلام أمها.

«لقد سمعت للتو أنك هنا». قالت يوري لكوماكو، «إنني بحاجة إلى رؤيتك. أريد التحدث إليك في شأن ما».

كتفت يديها على فستانها المورد بطريقة لا تليق بامرأة مثلها.

«إن أبويك منشغلان بضيوفهما، لذلك لا ينبغي لي أن أبقى». أجابت كوماكو.

«لا تأبهي لهم! كل ما يفعلونه هو القرقعة على آلاتهم. إن ذلك يتعبنا. أما أنت، فلست عبئاً على أحد. علاوة على ذلك، فإن غرفتي عالم آخر».

«نعم، يمكن أن تبقي هنا قدر ما شئت. أعني ذلك» ألحت السيدة فوجيمورا.

وجدت كوماكو مغادرتها أمراً صعباً.

«تعالي، هناك شيء ينبغي لي أن أتحدث معك بشأنه!» طلبت يوري من كوماكو أن تتبعها.

«كانت هذه الغرفة غرفة أخي». قالت يوري وهي تأخذ كوماكو إلى غرفة مربعة صغيرة تطل على الحديقة وكأنها جناح منفصل. كانت الغرفة في منتهى الفوضى؛ فالستائر التي علقت بطريقة خاطئة أمام النافذة كانت متسخة، كما كانت هناك طبقة سميكة من الغبار فوق الطاولة التي وضعت على سجاد التتامي. أما الجدران، فقد علقت عليها صور اقتطعت من مجلات تايم ولايف ولوحات رسمت بثلاثة ألوان. كانت حقيبة يد يوري البيضاء معلقة على أحد الجدران وقد تذكرت كوماكو رؤيتها في أويسو. لقد كانت غرفة خالية من أي ذوق، حتى من ذوق فتاة عادية، فلم يكن هناك أي من الدمى الفرنسية، أو صور لراقصات مسرح تاكارازوكا.

«لك أخ أكبر سناً؟» سألت كوماكو.

«إنه متزوج، وقد انتقل إلى منزل آخر. إن قدرة الرجال على الاستقلال بكل سهولة لأمر مغضب!»

ألقت يوري بنفسها على كرسي متهالك قديم أمام المكتب. لم يكن هناك كرسي آخر لذلك دفعت كوماكو جانباً بعض المجلات لتجلس على عتبة النافذة.

«هل ترغبين في واحدة؟» قالت يوري وهي تمد يدها ممسكة بعلبة سجائر لاكي سترايكس.

«لا أدخن. شكراً جزيلاً».

كانت كوماكو قد تعودت تدخين السجائر من علبة كان إيوسوكي قد تركها في المنزل، ولكنها لم ترغب في التدخين في تلك اللحظة. لم تلح يوري، بل أشعلت سيجارة ثم أخذت تنفث الدخان من أنفها.

«ألا يوبخونك على التدخين؟»

لم تتوقف كوماكو عن مقارنة تصرفاتها عندما كانت شابة بتصرفات يوري.

«بالطبع، إنهم يفعلون ذلك، لكنني لا أهتم». أجابت يوري بالإنجليزية.

ألقت برماد السيجارة في المنفضة بهدوء، فاستنتجت كوماكو أن تدخين يوري لم يكن شأناً سرياً.

«لقد ولدت في زمن مناسب، أليس كذلك؟» تعليق كوماكو عبر عن سخرية واقتناع في الوقت ذاته.

«ليس على وجه الخصوص. من الآن فصاعداً، علينا أن نحارب كي نحصل على ما نريد، كل ما نريد. على أية حال، أريد أن أطلب منك خدمة».

أصبحت طريقة حديث يوري أكثر فظاظة من أسلوبها عندما ذهبتا إلى يوكوهاما. كانت تجلس أمام كوماكو وهي تضع إحدى ساقيها العاريتين فوق الأخرى، وتهزها إلى الأمام تارة وإلى الخلف تارة أخرى. كان يمكن اعتباره تصرفاً حميمياً، ولكنه يمكن أن يحمل في طياته تحدياً.

«ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟»

أخفت كوماكو قلقها بابتسامة.

«إن الأمر يتعلق بصبي السكاكر».

«أي صبي؟»

«ألا تعرفين ماذا يعني ذلك؟ إنه مصطلح يطلق على الشاب المهووس بمظهره كتكابومي ... الذي يهتم بالمظاهر كثيراً؟»

«لقد فهمت».

«إنه يطلق كذلك على الشخص المائع في حديثه وفي تصرفاته».

«إنني أدرك ذلك!» قالت كوماكو مقهقهة، «إنكم أيها الشبان مبدعون بحق».

«هذا ليس إبداعاً. إنها كلمة جديدة فحسب».

«لا تهتمي بذلك. ماذا بشأن صبي السكاكر؟»

استدارت يوري كي تطفئ سيجارتها التي حملت أثراً من أحمر الشفاه، ثم تابعت:

«هلا أخذته من فضلك؟»

«ماذا تعنين بقولك هلا أخذته؟» لم تعرف كوماكو كيف ترد على هذه الكلمات.

قطبت يوري حاجبيها وتنهدت، «لا أعلم ماذا أفعل بشأنه، إذا لم تفعلي أنت شيئاً».

«ولماذا أكون أنا المسؤولة عن فعل شيء ما بشأن تكابومي؟» قالت كوماكو ضاحكة ضحكة خافتة.

«كيف لك أن تقولي ذلك! لهذا السبب يغضبني الكبار! ألست على علاقة معه؟ تدعينه على وجبة الغداء في بتروشكا وتذهبان للتنزه».

أدركت كوماكو فجأة أن يوري غيورة وعدوانية، على الرغم من أنها لم تكن بحاجة إلى أن تغار، إذ بمقدورها أن تستعيد خطيبها في أي وقت تشاء. لم تكن كوماكو في أي حاجة إلى شاب مثل تكابومي أو غيره. ولكن بصرف النظر عن ذلك، كيف عرفت يوري بشأن الغداء في جينزا؟

«حسناً، من الواضح أنك تعرفين الكثير عما أفعله».

«بالطبع! أعلم كل شيء! أعلم ما يكتب في رسائله لك، وعما يتحدث به معك، وكل شيء!»

«أتساءل! هل أنت متكهنة أو شيء من هذا القبيل؟»

«لا أحتاج إلى أن أكون متكهنة لأعلم ما يدور من حولي! فهو يقول لي كل شيء!»

كان جواب يوري مرتجلاً ولكن كوماكو كانت في منتهى الارتباك.

لم تفهمهما البتة، تماماً كما لم تفهم اللغة العامية التي استخدماها عندما التقتهما لأول مرة في أويسو، فقد خالجها ذات الشعور هذه المرة. من الواضح أن تكابومي كان يعبر ليوري عن جميع مشاعره تجاه كوماكو فيما لم يكن يمدح يوري بتاتاً أمامها!

«في حقيقة الأمر، إن بعض المقاطع من رسائله كانت نتاج أفكاري أنا» أضافت يوري دون أن ترمش عيناها، «لقد استخدم كثيراً من أفكاري».

بعد أن صدمت بهذه المصارحة، لم تستطع كوماكو أن تستوعب شيئاً سوى أن هذين الشابين قد خططا عمداً لإهانتها.

«يا للعجب! ما قصدكما!» انفجرت كوماكو. كادت الكلمات تخونها وهي تفصح عن حيرتها بخصوص علاقة تكابومي بيوري.

«يمكن أن تهدئي من فضلك». قالت يوري، «إن الأمر بسيط. نحن صديقان فقط،

أما أنت فأكثر من ذلك. إنك بالنسبة له حبيبة. نحن قريبان من بعضنا، ولكننا لا نستطيع أن نكون حبيبين، ولا يجب أن نكون كذلك. فنحن يجب أن نحارب النظام الاجتماعي التقليدي الذي فرض علينا أن نكون خطيبين. إننا نحتاج إلى شخص مثلك كي نستطيع أن نبقى صديقين حميمين فقط. إنك منقذتنا!»

«حسناً. إذا كان الأمر هكذا فهو جيد. ولكن ماذا عنيت بقولك «هلا أخذته»؟»

«أردت أن أتيقن من أنك فهمت ما أعنيه. إنني أريدك أن تتزوجي من تكابومي».

الفصل الخامس
«غداء سمك الآيو حلو المذاق»

انقضت عشرة أيام، إلا أن صدمة ذلك الحوار مع يوري لاتزال عالقة. هل تشبه هؤلاء الفتيات نموذج الجيل الجديد؟ تساءلت كوماكو. لقد عرفت كوماكو مباشرة من طريقة حديث يوري وأفكارها، وكذلك من ملابسها أنها فتاة متمردة. غير أنه لم يخطر في بال كوماكو أبداً أن نموذج امرأة مرحلة ما بعد الحرب مختلف هكذا– رأسها وقلبها وكل كيانها.

«كل ما تستطيعين فعله هو الزواج منه». صرحت يوري، «إذا قررت فقط أن تفعلي ذلك». أكثر ما كان مدهشاً في الأمر هو أن يوري استطاعت تقديم هذه الفكرة بهدوء تام، على الرغم من افتراض أنها كانت تعلم بغياب إيوسوكي. بدا أنها ترى الزواج أمراً هيناً مثل زيارة أحد الجيران. ضحكت كوماكو بصوت مرتفع:

«يا لها من فكرة غريبة! هل تدركين الفرق بين عمرينا؟»

لم يقلل ذلك من شجاعة يوري على الإطلاق، «حسناً، أظن أن الفرق نحو عشر سنوات، وهذا مناسب تماماً، إذ يوجد الآن الكثير من الأزواج في مثل هذا الوضع، ففي هذه الأيام يرغب جميع الشبان في الزواج من نساء أكبر منهم سناً. حتى أنا لا أرغب في الزواج من رجل ما لم يكن أكبر مني بعشرين سنة أو أكثر. ألا تعتقدين أن أحداً لم تكتمل قدراته لا يمكن أن يعد رجلاً بحق، أليس كذلك؟»

جعل ذلك كوماكو تتساءل إذا كان جيل الشباب قد اكتشف أن ليس باستطاعته الوثوق بشريك يقاربه سناً. هل رياح الحرب مدمرة هكذا، حتى إنها أفسدت براعم الشباب بهذه الطريقة غير الطبيعية؟ إذا كان الأمر هكذا، فالجيل الجديد الذي بدا قابلاً للحسد لحصوله على كل شيء يرغب فيه مثل الأمان ووفرة الحياة المادية والديموقراطية، ربما استحق الشفقة بوصفه ضحية. بدأت كوماكو تشعر بهذا عندما تحدثت يوري ثانية.

«إنني سعيدة لمجرد أنني صديقة تكابومي. وحتى إذا تزوج امرأة أخرى، فإننا سنظل

قريبين من بعضنا. سنذهب للرقص أحيانا أو للتخييم».

على الرغم من أن فكرة يوري حول صداقة رجل بدت وكأنها لم تتجاوز كونها صداقة أفلاطونية ممتعة، إلا أن تلك الفكرة تضمنت أكثر من هذا؛ إذ لم تكن الحدود الفاصلة بين الصداقة والحب واضحة. الحقيقة الواضحة ربما أن يوري أن تجعل من الرجال مادة تسلية لإشباع نزواتها؛ فواحد تستند إلى دعمه الحقيقي لها، وثان للحب، وآخر للمتعة واللعب. تساءلت كوماكو عما تتمناه في الرجل، وإذا كان لديها مثل هذه الأمنيات. ثم هناك تكابومي. ربما كان هو مثلها تماماً. شعرت كوماكو أنها قادرة على التعامل مع خاطب غير مرغوب فيه، يزعم أنه مخلص تماماً، ولكن كم يمكن لنوايا شاب أن تكون صادقة، لا سيما أنه لم يبح بجميع تفاصيل علاقته مع يوري، ولكنه ذهب أيضاً أبعد من ذلك ليطلب نصيحتها في تسطير رسائل الحب التي وجهها لها. هل يمكن لكليهما أن ينتميا إلى ذات الأصل الذي لم تكن له رغبات خاصة في الجنس الآخر؟ إنهما شابان مراهقان مفرطان في خيالهما!! حاولت كوماكو أن تقنع نفسها بذلك الاستنتاج، وإلا لانتهى الأمر بها في مكان زلق حقاً، فتصبح ضحية مكائدهما. على أية حال، ما يناسبها أكثر هو وجود رجل ذو شخصية محافظة.

لقد وصلت رسالة من مثل هذا الرجل كتبت على ورقة رقيقة مستوردة، أحد وجهيها أبيض اللون والوجه الآخر داكن. قد طويت الورقة عند منتصفها، ثم وضعت في مغلف كبير ذي لون يناسب لونها. لقد كان ورق الرسائل مثل تلك التي يفضلها الرجال الإنجليز النبلاء، لذلك استنتجت كوماكو أن هذه البضاعة قد تم استيرادها قبل الحرب.

كانت الرسالة مختصرة وواضحة، وأقصر بعشر مرات من رسائل تكابومي.

«لأنني أتمنى متابعة حوارنا حول الأدب الإنجليزي، فإنني أرغب في دعوتك لاصطحابي يوم الأحد في زيارة صديقي موجي في الريف في منطقة إنادانوبوريتو. موجي صديق قديم لي. إنني أعلم أيضاً أن السيد موجي وزوجته كانا صديقين حميمين لوالديك، فهو يتمنى أن ترافقيني. زوجته تواقة إلى ممارسة هواياتها وبراعتها في أسلوب الطبخ الغربي وذلك لتحضير طبق من السمك النهري المحلي. قال لي موجي إنه سيرسل سيارة لتأخذنا من محطة شيبوياه في الحادية عشرة، وإذا ناسبك هذا، فسأنتظرك هناك».

هذا كل ما كان في الرسالة، حديث حول الأدب الإنجليزي، والاجتماع بصديق له

وزوجته، والاستمتاع بطبق سمك نهري طازج محضر منزلياً. لم يكن في الرسالة أي تلميح غير مناسب. لم تتضمن أية كلمة غير لائقة، فقد كان باستطاعتها أن تريها لأي أحد. كانت دعوة لا تعتبر على خطأ لو قبلت بها. وعلى الرغم من هذا، أحست كوماكو بقليل من الخطر في ثنايا الرسالة الأنيقة. إذ كانت تفوح منها رائحة العطر الذي لاحظته عندما كان هنمي يستخدم منديله في الاجتماع في بيت فوجيمورا. لقد ميزته كوماكو على أنه علامة تميز نمط الرجل الغربي النبيل. وكان عطراً أثر فيها كثيراً. على أية حال، اعتقدت أنه مهما كان في داخلها من خطر، إلا أنها لم تعد تلك الدعوة فخاً لها. ثمة عنصر واحد جعلها تتردد، تمثل بالسيد موجي وزوجته. كانت الأسرة حقاً من معارفها القدماء، ولكن الصداقة كانت قائمة بين الجيل القديم، لذلك لم تقابل كوماكو رأس العائلة الحالي الذي هو صديق هنمي. عرف موجي بأنه رجل لعوب. درس في الولايات المتحدة الامريكية عدة سنوات، ولكنه عاد إلى اليابان في أثناء الحرب. وبعد الحرب، شرع في إقامة عمل حر راح يزدهر كثيراً، وهو الآن ناجح جداً في علاقاته بالخارج. منذ انهيار ثروات كوماكو الشخصية، لم تكن متحمسة للقاء شخص ثري كهذا.

لو كان اللقاء بين الرجلين فقط، فربما لم يكن هناك مشكلة، ولكن وجود السيدة موجي كان يشكل مصدر قلق آخر، فهي لم تقابلها بحياتها، وما أقلق كوماكو ظنها أنها ربما كانت من النوع المتعالي والمتعجرف الذي ينظر إلى جميع الناس بفوقية وغطرسة. كان ذلك كافيا ليخلق مزاجاً عكراً مدة أسبوع لأحد يحمل كبرياء مثل كبرياء كوماكو. على أية حال، إن وجود عائلة موجي كان سبباً ليجعل كوماكو تقبل دعوة هنمي، وإلا لما كان الأمر لائقا كي تواعد رجلاً قابلته مرتين فقط. من الواضح أن الدعوة قد قدمت فرصة جيدة لتعميق التعارف بينهما. لقد كان هناك أيضاً إغراء الحنين إلى الوسط الاجتماعي الذي قضت فيه أيام صباها؛ بيوت ريفية وحفلات غداء وجولات بحافلات يقودها سائقون. لقد مر زمن طويل منذ دعيت إلى لقاء تشكل جميع تلك الأشياء جزءاً منه.

ولتتخذ قرارها، تعين عليها استخدام أصابعها: أذهب .. لا أذهب .. أذهب .. لا أذهب. ثم انتهى بها الأمر بـ (أذهب).

في ذلك الصباح الجميل من يوم الأحد، ازدحم الناس عند تمثال هاتجيكو البرونزي أمام

محطة شيباي إلى درجة تجعل ذلك الكلب الوفي ينبح. توهجت القبعات والكنزات البيضاء تحت أشعة الشمس، وانبعثت رائحة العرق في كل مكان.

«آه .. يا سيدة ميناميمورا!». بسرعة مدهشة استطاع هنمي أن يجد كوماكو وسط الزحام، على الرغم من أنها لم تكن ذات قامة طويلة. كان قد وصل أولاً، ثم وصلت كوماكو بعشر دقائق فقط قبل الموعد، فكان هناك خشية بسيطة من أن هذا يمكن أن يحدث تضليلاً ما لتوق من جانبها، لذلك انتابها ارتياح لوصول هنمي قبلها.

«شكرا لدعوتك اللطيفة». قالت بانحناءة. كانت ترتدي ثوباً قطنياً بسيطاً أبيض اللون كانت قد أختارته لأجل النزهات القصيرة فقط. ربما كان غير رسمي لأجل زيارة منزل أحد ما، ولكنها لم تشأ أن ترتدي ذات الثياب مرتين في لقائها مع هنمي، وكان هذا هو البديل الوحيد لديها، اختارته لكي يكون من السهل على السيدة موجي تقبل امرأة ترتدي ملابس غير رسمية.

«لا شكر على واجب» قال السيد هنمي، «كنت أخشى أن تكون دعوتي غريبة، ولكن منزل أسرة موجي هادئ ومريح، وهو بارد ورطب هناك، لذلك هو مكان جيد لنتحدث فيه». تحدث هنمي برسمية أقل من تلك التي كان يتحدث بها في اللقاء الماضي. وبينما تحدث، استبدل قبعته بقبعة سفر بيضاء.

هو أيضا ارتدى ثياباً بيضاء وقرر المجيء دون أن يرتدي ربطة عنق تاركاً أزرار قميصه العليا مفتوحة. لقد ارتدى بنطالاً قصيراً، فظهرت ركبتاه من فوق جواربه البيضاء الطويلة. حذاؤه فقط من الجلد الأصفر الشاحب اللون. لم تكن متيقنة إن كان قد اكتسب عادة لباس السيد الإنجليزي في الصيف، أو أنه اختار ذلك لأجل زيارته إلى الريف، إلا أنه تميز بملابسه عن بقية الناس، إذ ارتدى سترة على الرغم من حرارة الجو. ولأن بنطاله القصير وكذلك سترته من القطن الأبيض، فقد بدا أنه و كوماكو قد نسقا ثيابهما مسبقاً لتكون بهذا الانسجام. ظن جميع من وقعت عليهما أنظارهم أنهما زوجان يفضلان القطن على الكتان وهما يرتديان ثياب المحتلين الأوروبيين في المناطق الحارة. عندما أدركا الانطباع الذي سبباه لدى الآخرين، أخذا يشعران بالدوار وكأنهما قد تناولا شراب الشمبانيا على معدة فارغة.

«السيارة تنتظرنا عند الزاوية هناك». اقتادها هنمي عبر الزحام. كثير من الذين لا يملكون

نفقات الإقامة عند ساحل البحر كانوا متجمهرين عند بوابة المحطة ينتظرون قطاراً كي يستقلونه إلى نهر تاما لأجل السباحة. شق الاثنان طريقهما عبر الزحام، فظهرا وكأنهما زوج من سمك المينوى الصغير يشقان طريقهما عكس التيار. اصطفت سيارتان أو ثلاث عند الرصيف، وكادت كوماكو أن تتجاوز سيارة خضراء فاتحة اللون، بدت أكبر من أن تقل أحداً غير أجنبي. وعندما سمعت هنمي ينادي السائق، «ها نحن هنا. نأسف لتأخرنا». قفز السائق خارج السيارة ورفع قبعته، «تفضلي أولاً» قال هنمي مستديراً نحو كوماكو وهو يخلع قبعته، وفتح السائق الباب.

كانت السيارة مريحة جداً، يشبه ركوبها الطيران فوق الغيوم. هادئة جداً كذلك، إلى درجة أنها لم تلق صعوبة في سماع ما يقوله هنمي، «لا حاجة إلى أن نقلق، إن أسرة موجي غير رسميين». شرح ذلك عندما كانت السيارة تنطلق.

«ولكن هذا غير رسمي تماماً ـ أليس كذلك» علقت كوماكو مبتسمة ابتسامة بسيطة.

كانت تعلم أنه ليس من اللائق أن يتحدث المرء برسمية شديدة في مثل هذه المناسبة.

«حسناً. فلندعهم يعاملوننا ببذخ هذا اليوم» قال هنمي، «حصل موجي على المال بطريقة سهلة كما يقال، لذلك سنكون أصحاب فضيلة عندما نشاركه ثروته».

«أعتقد أنني لا أتردد بالمساعدة في مثل هذا النوع من الاشتراكية». قالت كوماكو بعد أن وجدت نفسها في مزاج مزاح مشابه.

«المال» قال هنمي مستخدماً الكلمة بالإنجليزية، «له قوة جاذبة، فهو يستطيع أن يجعل الإنسان خسيساً جداً أو يمكن أن يكون مصدر سعادة عظيمة». سمحت كوماكو، ضاحكة، لنبرة نشأتها الراقية أن تعود إلى صوتها وهي تتحدث، «إنني من النوع الذي ما كان ليتخلى عن قليل من المال القذر، لو كان بمقدوري أن أديره». ولأنها كانت تعودت التحدث بازدراء إلى إيوسوكي، فقد نسيت أنه بمقدورها التحدث بأدب الطبقة الراقية.

«إنك مؤهلة جداً بطبيعتك لاستخدام المال بطريقة جيدة، لذلك أرى أن ظروفك الحالية مؤسفة جداً». تحدث هنمي وكأنه على معرفة بظروفها المالية، فربما سمع عنها من خال إيوسوكي. أحرجت كوماكو، غير أنها لم تنظر إلى الأمر بطريقة سلبية. فعلى الرغم من أنها أدركت أن هنمي حاول مدحها، إلا أنها سرت لذلك.

«يا إلهي! كيف يستطيعون احتمال ذلك في مثل هذا الطقس الحار؟!».

بينما كانت السيارة تجتاز الجسر الاسمنتي فوق نهر تاما، شاهدا كثيرا من الزوارق فوق الماء الضحل، وكذلك كثيراً من الأجساد العارية على ضفة النهر والتي تشبه الكثير من حبات الفاصولياء السوداء. لم تصدق كوماكو وهي تنظر إلى الأسفل أن النهر يستطيع أن يقدم قسطاً كبيراً من الراحة في مثل هذا الطقس الحار، فقد أثر فيها كما أثر فيها زمن التعساء والفقراء، إذ سمحت لنفسها أن تنسى أنها حقيقة واحدة منهم.

بعد أن تجاوزت الجسر، انعطفت السيارة إلى اليمين. كانت تستدير ببطء، ولكن فجأة قفز صبي إلى الشارع أمامها، فكان على السيارة أن تنعطف قليلاً. كان الراكبان يجلسان في المقعد الخلفي وتفصل بينهما مسافة قليلة، ولكن الانعطاف المفاجئ قرب بينهما. بينما تابعت السيارة سيرها، لامست ركبتا هنمي تنورة كوماكو بين الآونة والأخرى. ظلا صامتين، ثم تظاهرت كوماكو بأن ساقيها قد تعبتا من الجلوس بوضع واحد فاستطاعت أن تبتعد قليلا دون أن تبدو حركتها غير طبيعية. لم يكن الاقتراب هو ما ضايقها، ولكن فكرة أنها قد أجبرت على حال لم تكن ترغب فيها هي ما ضايقها. على أية حال، لقد بدا الاثنان وقد أسسا علاقة خاصة منذ مغادرتهما محطة شيبايا، وعندما انعطفت السيارة عن الطريق المعبد لتمر بطرق قذرة تقود إلى الحقول والبساتين، اقتربا بجسديهما كذلك، ثم فجأة رأيا نهراً آخر، فأتكأ عليها هنمي ليشير إلى هضبة كانت على الجانب الأيسر قائلاً: «هناك يقع منزل أسرة موجي».

على الرغم من أنه قيل إن ألمانياً كان قد بنى هذا المنزل، إلا أنه بدا منزلاً إنجليزياً ريفياً بباب متواضع بسيط. أطلق السائق بوق سيارته معلناً وصولهم، ولكن هنمي قرع جرس الباب عدة مرات لأجل التسلية وبعث البهجة، إذ من الواضح أنه كان مبتهجاً جداً، «أهلاً وسهلاً، لقد وصلتما بسرعة». جاء مضيفاهما إلى الردهة الأمامية حالما فتحت الخادمة الباب. كان السيد موجي يرتدي قميصاً بأكمام وربطة عنق صغيرة ما جعله يبدو كالحكواتي الهزلي المعروف، ماتسوي سويزي، أما زوجته فكانت ترتدي قميصاً وبنطالاً قصيراً.

«أيتها السيدة مناميمورا». صاحت باللغة الإنجليزية مادة يدها بطريقة أمريكية. «يا إلهي! لقد مر وقت طويل جداً». فاجأ التعليق كوماكو، فتسمرت لأنها لم تستطع أن تتذكر

إذا كانت قد قابلت المرأة من قبل. ببساطة، لقد لمست يد السيدة موجي.

«حسناً. حسناً . أدخلا». ألح موجي، «إنها أبرد في الداخل». على الرغم من قصر قامته، إلا أنه اقتاد الجميع بخطوات واسعة وراح صوت خطواته يصدر صدى في الصالة المعتمة. على عكس ما كان مألوفا في المنازل الأخرى، لم تقدم شباشب منزلية، لذلك ظلا ينتعلان أحذيتهما. وفر هذا على كوماكو خلع حذائها الأبيض الوحيد الذي كانت تملكه عند مدخل المنزل، و جنبها الإحراج الناجم عن إظهار داخل حذائها البالي.

أقتيدا إلى غرفة المعيشة التي كانت عبارة عن غرفتين تم دمجهما في غرفة واحدة للاستقبال وكذلك للطعام. كان ثمة شرفة عريضة في الطرف البعيد من الغرفة يأتي منها نسيم عليل– غرفة ذات إطلالة جميلة على النهر وجسر السكة الحديدية.

«آه! كم هو رائع وجميل!» صاحت كوماكو، لقد كان منزل أبيها الصيفي في أويسو على الطراز الياباني التقليدي، فهذه أول مرة تدخل منزلاً ريفياً على الطراز الغربي. أعجبت على نحو خاص بصفي الكراسي الخيزران الجميلة في الشرفة.

«لو تأذنا لي» قالت السيدة موجي، «ينبغي لي أن أتفحص بعض الأشياء في المطبخ». لحقها موجي تاركاً كوماكو وهنمي وحدهما. لم يكن هناك مقدمات ولا الترحيبات المعتادة، بل البساطة ذاتها. إلا أن ملاحظة السيدة موجي التي أبدتها عند وصولهما، لاتزال تؤثر في كوماكو.

«أنت تعرف يا سيد هنمي»، قالت كوماكو بلطف، «في الحقيقة، لا أتذكر أنني قابلت السيدة موجي من قبل. هل تعتقد أنها كانت في صف مختلف في ذات المدرسة الثانوية أو ما شابه ذلك؟»

«آه! لا تقلقي حول ذلك». قال هنمي ضاحكاً، إنها الطريقة التي تستقبل بها الجميع. هكذا هي شخصيتها. كما قلت لك من قبل فهما غريبا الأطوار، فلا تنسي ذلك». بدا مبتهجاً إلى حد كبير.

«ماذا تودين أن تشربي يا سيدة ميناميمورا؟» سأل موجي إثر ظهوره عند باب الشرفة، وفي يده خلاط الأشربة، كما لو كان نادلاً محترفاً. بدأ ينزل من على رفوف الخزانة عدة زجاجات متنوعة. قدم العديد من السمك النهري الصغير المقلي بزيت الزيتون، ورش موجي قليلاً من

الملح على تلك السمكات ذات الأشكال الهلالية الذهبية اللون، ثم أكلها بأصابعه.

«هذه السمكات الصغيرة من النهر القريب من هنا– فهي ما نسميها سمك ورق الصفصاف الحلو». كان يشرح بلا تكلف، «أما السمكات التي سنأكلها لاحقاً، فهي من نيجارا». مشيراً إلى النهر في جيفو فكتور الذي يشتهر بسمكه النهري.

«إنه لذيذ!» قال هنمي، «حقاً يا سيدة موجي إنه فاخر للغاية!» أضافت كوماكو. تقيد كل من كوماكو وهنمي بتناول السمك بالشوكة والسكين.

«أحقاً؟ لقد قامت بطهيهما الخادمة. لا أهتم كثيراً بالسمك النهري، إلا أنني أحاول ألا أتناول اللحم».

كذلك زوجة موجي تناولت السمك بأصابعها، وأخذت رشفات طويلة من علبة العصير المعدنية.

«هل تعنين أنك لا تحبين اللحم؟» سألت كوماكو بأدب.

«كلا، لأن اللحم يزيد السمنة». قال موجي، «زوجتي تهتم كثيراً بوزنها».

«آه منك!» قالت باللغة الإنجليزية وهي تحدق إليه. بدا كل ما يصدر عنهما أسلوباً أمريكياً، إذ قضت السيدة موجي دراستها الجامعية في أمريكا، وهكذا تخلصت من جميع الأعراف والعادات المعتادة. إنها امرأة كريمة وصريحة، إذ يبدو أنه لم تضايقها حقيقة كونها أطول من زوجها بإنشين ولا كون وجهها مربعاً ورجولياً وذا فم كبير. كوماكو أكثر من يجلس إلى الطاولة جاذبية. لقد تجاهلت السيدة موجي جميع الآداب الغربية المتبعة على المائدة، والتي تعلمتها كوماكو في المدرسة، فدخنت سيجارة خلال تناولها الطعام، وجلست وهي تضع حنكها في يدها كما شربت كثيراً من العصير والماء المثلج. مثلها كان السيد موجي غير متقيد بالتقاليد، فأشار قليلاً إلى العلاقة التي كانت تربطه بأسرة كوماكو، ولكن لم يبد ذلك السبب وراء كرم ضيافته، فأعطى الانطباع على أنه مهتم فقط بوقته الحاضر، إذ كان يعد قضاء الوقت بصحبة الضيوف مضيعة للوقت مالم تشوبه بعض المتع، وعلى عكس الكثيرين من حديثي الثراء، لم يكن ميالاً للتباهي بالثروة التي كسبها، أو ظهرت في طريقه، بل بدا وكأنه شاب مبذر يحب إنفاق المال الكثير.

عندما حضر الطبق الرئيسي للسمك النهري بدأ موجي بإغاظة هنمي»، هل مازلت عضواً

في تلك المجموعة الموسيقية؟» كان يعني غوشوكاي.
«وماهو الخطأ في تلك المجموعة؟» احتج هنمي.
«كنت تعزف على آلة السكسفون.. أليس كذلك؟»

«ذاك الأمر مختلف لسبب واحد هو أنني لم أتعلق بها. ألا تؤيدينني الرأي يا سيدة ميناميمورا في أنه يجب أن يكون أكثر حزماً تجاه تلك الموسيقى القديمة؟» أطلقت كوماكو ضحكة غير ضرورية، ولكن في داخلها كان عليها أن توافقه الرأي، إذ كانت تتمنى أن يترك هنمي الفرقة.

«لابد لأبنائنا أن يحبوا تلك الرقصات». كان تدخلاً غير ذي صلة بالموضوع من السيدة موجي، إذ قالته بتوق شديد ما جعل الآخرين ينفجرون بالضحك. لقد تبين أن الزوجين قد أرسلا ولديهما مع المربية إلى ساحل البحر في سوشي. لقد أشتريا البيت الريفي فقط لاستمتاعهما كما قالا، إذ أرادا أن يستمتعا بجميع أنواع المتع التي لم يكن توفرها ممكناً في مقر إقامتهما ذي الطابع التقليدي في منطقة يويوجي في طوكيو. وجدت كوماكو نفسها مستغرقة بتأمل أن هذا البيت يخص الزوجين وليس الأولاد.

بعد أن قدم طبق ضخم من الخضار، قدم نوع من كعك الزنجبيل، وبهذا كان قد انتهى الغداء. ولأنها كانت قد تخيلت أنه سيكون هناك كثير من الأطباق الوافرة والسخية، فقد شعرت بخيبة أمل لبساطة ما قدم من وجبات. ومن ناحية أخرى، قد يكون الابتعاد عن الإسراف في تقديم الطعام هو الطريقة الأمريكية في الاستمتاع. على أية حال، قد قدم لهما قطعة من البطيخ وكومة كبيرة من العنب الاسكندراني المبرد، وبعد تناول القهوة وقف موجي ليقول: «الآن أتمنى لو تعتبرا نفسيكما في منزلكما». بدت الدهشة على هنمي، فقال «هل هذا يعني أنكما ذاهبان إلى مكان ما؟»

«في الساعة الثانية لدينا لعبة مع بعض الأصدقاء». قالت السيدة موجي، «واليوم دوري في الربح، فكنت أتوق إلى الذهاب منذ هذا الصباح». حقاً بدا عليها التوق وهي تنظر إلى بنطالها القصير الفضفاض.

من الواضح أنه لم يخطر لأي منهما أنه لم يكن من اللائق أن يدعوا ضيوفاً إلى بيتهما، ثم يذهبان لأجل لعبة الغولف في فترة بعد الظهيرة.

«هل تعنيان أنكما سوف تدعانا وحدنا؟» سأل هنمي ضاغطاً على شفتيه بمبالغة.

«مازال الطقس حاراً. ينبغي لكما أن تستريحا. خذا قيلولة وعلى أية حال يمكنكما أن تستخدما غرفة نومنا». لقد بدا أن موجي قد فكر قليلاً بهذا، ولكن كان كافياً كي يجعل كوماكو تحمر خجلاً.

«حسناً إذاً» أجاب هنمي، «سنفرغ ثلاجة المنزل أجراً لجلوسنا فيه». بدا عليه السرور لترك مضيفه لهما في المنزل.

«إنني أعني ذلك» قال موجي، «تناولا ما شئتما وأطلبا من الخادمة أي شيء تريدانه». هنا خرج موجي من الباب الخلفي للمنزل.

«ألا تعتقد أن علينا أن نغادر؟» أقترحت كوماكو بهدوء لهنمي.

«كل شيء على ما يرام كما قلت لك. إنها طريقتهما في فعل الأشياء»، قال هنمي، «بالطبع لو كنت على عجلة من أمرك أو أي شيء آخر .»..

«إنني لست على عجلة».

لو لم يتصرف هنمي تصرف السيد النبيل، لما رغبت كوماكو في أن تقول شيئاً لا يجعلها تبدو متكلفة. «انظرا إلي!» قال موجي بعد أن ظهر عند الباب، «كغلام يساعد لاعب الغولف في يوم عمله». كان يحمل حقيبتي لعبة الغولف، حقيبته وحقيبة زوجته، وكانت تتدلى كل واحدة من على كتفيه. ارتدت السيدة موجي نظارات شمسية زرقاء اللون وقبعة لعبة البيسبول بيضاء اللون. كانت ساقاها الطويلتان عارتين، فكانت تشبه المرأة الأمازونية المسترجلة.

«إننا ذاهبان الآن ... استمتعا بوقتيكما». هكذا رأى كل من هنمي وكوماكو مضيفيهما يخرجان من الباب الرئيسي، وكأنهما كانا مالكي المنزل.

كانت السيارة التي أقلتهما من طوكيو تنتظر في الخارج، قبل وقت قصير كان السيد والسيدة موجي قد ذكرا أن أحد الأسباب التي جعلتهما يشتريان المنزل هو سهولة الوصول إلى حقل غولف سكامي.

«وداعاً» غادر زوجان وبقي آخران.

«أجلبي لنا من فضلك قليلا من الويسكي وبعض الماء». قال هنمي للخادمة، وكأنه كان

صاحب المنزل»، وبعض الكوكا كولا إذا كان لديك».

أصبح الجو حاراً جداً في الشرفة، لذلك انسحبا إلى داخل المنزل ليجلسا في الجهة الشمالية من غرفة المعيشة حيث كانت تهب فوق كتفيهما نسمات عليلة وباردة قادمة من النهر، مارة بأوراق نبات الزينة عندما كانا يجلسان جنباً إلى جنب على أريكة طويلة وضعت تحت النافذة.

«هل غالبا ما تتناول المشروبات الكحولية؟» سألت كوماكو، وتذكرت عندما شرب إيوسوكي زجاجتين من الويسكي في يوم واحد، ولم يفقد توازنه، ولكن عندما أشتكت، راح يحدق بها بنظرة أفزعتها، إذ حملت نظرته غضباً غير معهود يدل على أنه قد غدا ثملاً. طوال العام المنصرم كان يشرب شراباً رخيصاً جداً، فكانت تكره رائحته ربما أكثر مما ينبغي لها.

«نعم، عادة أتناول قليلاً منه بعد الطعام». قال هنمي، «إنه جيد للهضم، كما تعلمين. لماذا لا تتناولين قليلاً منه كذلك؟» صب قليلاً من الويسكي في كأس، ومزجه مع القليل من شراب الكوكا كولا المبرد.

«ربما يسكرني هذا» قالت كوماكو بتردد.

«ستكونين على ما يرام» أكد لها هنمي.

أحبت كوماكو رائحة المشروبات الروحية الغربية، على الرغم من لعنها للكحول بسبب إيوسوكي. على أية حال، تشعر اليوم برغبة في تناول قليل من شراب الكحول. فالكولا ذات اللون البني التي أضافها هنمي إلى الويسكي، كانت قد سمعت بها فقط، وقد انتابها فضول كي تجربها.

«إنه جيد!» قالت مستمتعة بالشراب.

«ألم أكن على حق؟ يقولون إن هذه أفضل طريقة لشرب الويسكي الأمريكي».

بعد أن شرب قليلاً من كأسه سحب هنمي منديله ليجفف به شفتيه، ففاحت رائحة عطره.

«بالمناسبة ماهي آخر أخبار زوجك؟» كان هنمي أحد أولئك الذين يستطلعون الأمر قبل غزوهم، مثل لاعب الشوغي الذي يبدأ لعبه باستخدامه ضماناته.

«حسنا، إنني أعجب. فكل ما أعرفه عنه أنه أصبح مدمناً على المخدرات» أرادت كوماكو أن تقول شيئاً قاسياً جداً ليكون كما لو أنها ألقت حجراً كي تبعد به صورة زوجها التي ظهرت في مخيلتها قبل بضع دقائق.

«ماهو أهم من ذلك؟» تابعت، «هل هناك أي تحسن على صعيد صحة زوجتك؟»

«حسناً .».. بدأ هنمي حديثه بذات الكلمة التي استخدمتها كوماكو، ولكن تجنب بطبيعته استخدام كلمة سوقية مثل كلمة مخدرات.

«لم تصبها حمى مدة أطول من ستة أشهر، ولا يبدو أنها بحاجة إلى البقاء هناك. أعتقد أن هناك شيئاً آخر يدعها تبقى هناك». كان هنمي يضحك، ولكن عينيه لم تخفيا أية بهجة. كان من السهل لأي مستمع متعاطف أن يدرك الوحدة في صوته.

«هل تعني أنها قد تجاوزت المرض؟»

«نعم ... لا ينبغي أن تبقى طويلاً هناك لأجل النقاهة، فتكون طريقة كي تبقى بعيدة». كان صوت هنمي كئيباً.

كما يصفه هنمي تاكاشي، فلم يكن زواجه سعيداً منذ البداية. إن اعتقاد أمه بالقول المأثور القديم «احصلي على كنتك من الشارع» قد شكل بداية جميع المشاكل. كانت زوجته ابنة مالك حانوت بيع السمك الذي كان يزود مشفى هنمي. تلقت تعليمها في مدرسة بنات عادية، ولكن ذوقها قد انحرف إلى مستوى أدنى من المستوى الشائع، فلم تكن واحدة يمكن أن تدعى مثقفة. كان باستطاعتها أن تغني أهازيج تقليدية بشكل جيد ومقبول، ولكن لو أخذها لتلقي دروس على آلة البيانو، لأصابها النعاس، ولحدث لها الشيء ذاته عندما تشاهد فيلماً يابانياً ساحراً، ولكن يصيبها الملل إذا شاهدت فيلماً غربياً. كانت تكره الثياب الغربية أيضا مدعية أن الطراز الغربي للملابس الداخلية يسبب لها الصداع.

لم تكن أم هنمي مخطئة فيما يتعلق بمهارات الفتاة الزوجية. كانت تستيقظ مبكراً لتنظف المنزل، وتعمل كما يعمل النمل. لقد تبين فيما بعد أنها فتاة تقوم بواجباتها تجاه أم زوجها أكثر مما تقوم به تجاه زوجها، وفي نهاية الأمر شعر هنمي بأنه قد تزوج مدبرة منزل، فلم يحمل نحوها إلا القليل من الحب. عندما خبت عواطفه نحوها، راحت تتخيل نفسها خطأ، فكانت تتخيل نفسها تقول له: إن واحدة غير مثقفة مثلها لا ينتظر منها أن تسعده، لذلك ربما

من الأفضل له أن يجد لنفسه عشيقة أكثر منها علماً وثقافة. اتخاذ عشيقة يتنافى مع مبادئه بوصفه رجلاً نبيلاً، ولكن هناك أوقات لم يستطع فيها تجنب حظه السيّئ. عندما مرضت بذات الرئة وأمرت بالعيش خارج المدينة، شعر هنمي براحة عميقة، ومن الواضح أن زوجته كذلك قد شعرت بتحرر من الأسر، فحال وصولها إلى المصح كانت قد تعافت. لم تكتب له قط، فاستنتج أنها عندما تعود، فإنها ستعود إلى منزل والديها بدلاً من منزله.

«بدأت أعتقد أنه من الجريمة ان أبقى متزوجاً مدة أطول» قال والحزن يلفه، «في نهاية الأمر، ليس منطقياً ولا أخلاقياً أيضاً أن يتصرف الزوجان وكأنهما زوجان حقيقيان، في حين ينعدم الحب المتبادل بينهما على الاطلاق».

«ربما كنت على صواب، ولكن كيف تشعر زوجتك؟ ربما هي مولعة بك ولا تملك طريقة لتعبر بها عن ذلك». فكرت كوماكو بزوجة هنمي التي لم تقابلها بحياتها أقل بكثير من تفكيرها بنفسها.

«حتى إن كان هناك بعض الحب، فعندما يكون الزوجان بعيدين عن بعضهما بموجب طبيعة شخصيتيهما وتعليميهما، فيمكن أن يعبر عن الحب بطريقة خاطئة. هذا يجعل الحال أسوأ مما لو لم يكن هناك حب البتة. في بعض الأوقات، ينتابني غيض شديد حتى أكاد أبكي».

«أستطيع فهم ذلك». قالت كوماكو، على الرغم من أنه في حالها لا يدفعها غضبها لذرف الدموع، ولكن إلى الانفجار كالبركان.

«يمكنني القول إن الانسجام في الشخصية والتعليم والاهتمامات أمر أساسي للحياة الزوجية». قال هنمي، «انظري إلى أسرة موجي، فهما ليسا مثقفين، ولكنهما مناسبان لبعضهما تماما. إنني أحسدهما عندما أراهما يخرجان يداً بيد ليلعبا الغولف. أنا أيضاً أحتاج إلى شريكة ترافقني بالاستمتاع بلعبة الغولف. بوصفي رجلاً، أعتقد أن لدي الحق في الإفصاح عن حاجتي إلى ذلك. حتى هذا الوقت، لم تجد الفكرة طريقاً لها سوى طرق الخيال. لقد التحقت بجمعية غوشوكاي بسبب شعوري بالوحدة، ولكن.».. مع تفاعل صديقها المحافظ بموضوعه بحرارة شديدة حتى إنه قد نسي تحفظه المعتاد، ومع تأثير شراب الويسكي والكوكا كولا في رأسها، وجدت كوماكو نفسها تغرق في نوع من النشوة.

كان من المبكر الافتراض، فراحت تخفي أية مشاعر خاصة تجاه هنمي. بالنسبة لامرأة

مثل كوماكو كي تقع في الحب، لابد للقائمة أن تكون غنية كقائمة وليمة طعام ملك فرنسي، فلا يمكن لذوقها ولا لغرائزها أن تشبعها خدمات ورعاية تقدمها لها شخصية أسبارطية. وكيف يمكن لهنمي أن يكون ساذجاً هكذا فيتحدث بكآبة حول التوافق بين الزوجين على الصعيدين الشخصي والتعليمي؟ إن هذه العناصر تصبح سطحية عندما تقع المرأة بحب رجل، فأفق الرجل أوسع بكثير. إن حقيقة انجذاب المرأة في تلك الرواية إلى صاحب اللعبة أكثر من انجذابها إلى البارون يؤكد هذا الشيء.

الشعور الرئيسي الذي استمتعت به كوماكو في ذلك اليوم، لم يأت نتيجة مفاتن هنمي فحسب بل نتيجة إغراء طبقته الاجتماعية. لم يكن هذا المنزل منزل هنمي، ولكنه ملك لمن هم من مستواه الاجتماعي، فكان ينطق بالذوق الغربي، الذي كانت تحبه كوماكو، لأنه يمثل رخاء اليابان في ذلك الوقت. إن أية امرأة فقيرة متعطشة للثراء، ولكن ليس هناك من يشعر بجاذبيته أكثر من ما تشعر به واحدة مثل كوماكو، التي عرفت الثراء مرة، ولكنها أجبرت على العيش دونه.

بالتأكيد إن الرخاء شأن عذب، هكذا أصبحت. انبعث جو من الارتياح والاسترخاء من الأثاث وتوابعه، وحتى من أواني مائدة الطعام وهي قد أحبت كل ذلك. يا لتعاستها! إذ عليها أن تقتصد وتعد كل قرش تنفقه!

«هل ترغبين في سيجارة؟» أمسك هنمي بعلبة سجائر مستوردة لم تشاهد مثلها في حياتها، ومن الواضح أنها أفضل بكثير من سجائر لاكي سترايك، التي قدمتها لها يوري ذلك اليوم! لم تستطع كوماكو مقاومتها، فأخرج هنمي قداحة مباشرة.

كانت كوماكو قد دخنت كثيراً قبل ذلك الوقت، مما جعلها تستمتع بتدخين السيجارة. كان اليوم بأكمله مبهجاً جداً لدرجة أنها راحت تستنشق بعمق، فتسحب دخان السيجارة إلى أعماق رئتيها. أثر الدخان مباشرة في رأسها، فبدأ العالم يلف من حولها. استطاعت أن تشعر بتأثير الويسكي كذلك. لم يكن الشعور غير ممتع، ولكن بدا صوت هنمي وكأنه آت من بعيد وكما لو أنها في حلم.

«ألست على ما يرام؟» تذكرت مفاجأة هنمي، وكيف ساعدها لتضطجع على الأريكة ولكن بعد ذلك ...

عندما استعادت وعيها، شعرت بجبهتها باردة وبقطعة من القماش الرطب قد وضعت عليها. لابد أن هنمي قد بلل منديله في إناء الثلج، إذ انبعث منه رائحة عطره. غطى المنديل عينيها، لذلك لم يلحظ هنمي أنها كانت مستيقظة.

كانت يد هنمي دافئة، إذ كان يمسك بيدها بقوة ليفحص نبضها. قررت كوماكو التظاهر بأنها نائمة مدة أطول.

«آه ... يا كوماماكو ... كوماكو!»

اشتدت القبضة على يدها، ومن خلال المنديل استطاعت أن ترى وجه هنمي يقترب من وجهها وهو ينحني نحوها. اقترب على مسافة أنش ليقبلها، ولكنه انسحب مباشرة، إذ كان أجبن من أن يتابع. على الرغم من ذلك بدا وكأنه غير قادر على التوقف، لذا اقترب وجهه من وجهها مرة أخرى، ثم تراجع، ثم مرة تلو الأخرى. قررت كوماكو أن الوقت قد حان لكي تتوقف عن التظاهر، فجلست.

الفصل السادس

يوم سيئ

تمنت كوماكو لو أنها لم تشهد ذلك، وهي مستلقية كي تستعيد قواها من نوبة الإغماء. كانت حركة هنمي هزلية تشبه حركة البهلوان. قوس خصره بشدة وتغضنت شفتاه، وتشكلت قطرة من العرق على رأس أنفه، لو حصلت شفتاه على هدفهما، لكان ذاك شيئاً ما، ولكن على الرغم من اقترابهما الشديد، إلا أنهما تراجعتا على الفور. هل تنقصه الشجاعة أم ثمة شيء آخر في ذهنه؟ مهما كان السبب، فإن الشفتين لاحتا من بعيد ثلاث مرات ثم تراجعتا، وفي هذه الأثناء اقتربت كوماكو بشدة من الانفجار بالضحك. لم تر في حياتها مرة رجلاً يبدو مضحكاً جداً هكذا.

لم أعلم أن الرجال يمكن أن يكونوا كائنات مرحة هكذا.

في الزمن البعيد، عندما كانت أماكن الأضواء الحمراء (الدعارة) أماكن عامة، كان المدخل إليها عبر الجسر يسمى جسر قف وفكر، أو كانت في طريقه شجرة صفصاف تدعى قف وفكر. هناك يقرر الرجال، إما أن يتابعوا السير أو يعودوا. مثل هذه الإشارات تعكس تردد الرجال.

على الأقل، لم يكن إيوسوكي مثل هؤلاء. تعال وفكر بالأمر لم تر كوماكو إيوسوكي متردداً أبدا، لا في التفكير ولا في الأفعال. لا تستطيع أن تتذكر أنه قرر فعل شيء، ثم قام بتنفيذه بتصميم.

في جميع الأحوال، لم يكن لصالح الرجل أن يظهر سخيفاً حتى ولو مرة واحدة. بعد أن فتحت كوماكو عينيها، هل استعاد هنمي وضعه الطبيعي، فظهر رجلاً نبيلاً كاملاً، ولكن لم يزد ذلك إلا الانطباع الكاريكاتوري الذي تشكل لديها تجاهه. إذ لا يظهر عليه الآن مظهر البهلوان فقط، بل مظهر المرائي أيضاً. في طريق عودتهما إلى شونجوكو، لم يتحدثا إلا القليل على عكس ما حدث لهما في طريق ذهابهما. لحسن الحظ، لم تكن المحادثة ضرورية لأن

قطار خط أوديكايو كان شديد الازدحام على طول الطريق.

الرجال مثل هنمي مصدر إلهام لكوماكو. لم يكونوا قلة في الطبقات الراقية. ولتأكيد ذلك، فإن أساليبهم خالية من العيوب والأخطاء ولكن لا يمكن الاعتماد عليها. يشكلون الجيل الثاني المستفيد من ثروة الآباء، وقد تعلموا في مدارس راقية جداً وغالباً ما كان مظهرهم جيداً، ولكن اهتمامهم الأول والأخير هو أن يحافظوا على إرثهم بشتى الوسائل. لقد تعلموا جميع فنون حماية النفس، ولكنهم لم يتعلموا أي شيء يتعلق بحبهم لامرأة. إنها لكارثة أن تكون امرأة أو زوجة لأحد هؤلاء. كانت تفكر بأكثر من حال واحدة في آن واحد: ابن رجل الأعمال كاف، والابن الأكبر للبارون ميم، والآخر كان هنمي، الذي تعبت منه زوجته، حتى إنها هربت إلى مصح في فوجيمي هايلاند، فلا عجب من أن المرأة لا تتمنى عودتها إلى منزلها ثانية بزيارتها إلى منزل موجي الريفي، شعرت كوماكو بارتياح آني، نجم عن عودتها إلى الطبقة الاجتماعية التي قضت فيها شبابها. فعلى الرغم من وجود تمييز طبقي ضمن تلك الطبقة لا يلحظها إلا أولئك الذين ينتمون إليها، كانت كوماكو قد نسيتها.

أين لي أن أجد إنساناً حقيقياً، رجلاً حقيقياً؟ هل حقاً يوجد مثل هذا الشخص؟

إن مشاهدة المرأة الرجل مهرجاً لأمر يبعث في نفسها الشعور بالفوقية، ولكنه يظل شعوراً لا تستمتع به، وعلى الرغم من كونه عنيداً في البداية، إلا أنه يصبح بعد الامتحان مصدر وحدة موحشة.

لم يكن هناك أي سبب يجعل هنمي يتفهم تحرر كوماكو من الوهم في ذلك اليوم، بل على العكس بدا أكثر ثقة بنفسه وأكثر تحمسا، فجعلها تعلم أنه يبحث عن فرصة أخرى كي يتابع اهتماماته.

لقد قام بذلك من خلال رسائل كتبها على ورق مستورد رقيق تماماً كذاك الورق الذي كتب عليه أول مرة، فراحت تلك الرسائل تصلها بانتظام، وراحت تطول أيضاً تدريجياً حتى أصبحت تنافس رسائل تكابومي. على عكس رسائل تكابومي التي كانت تفيض بالإعجاب، والتوسل لأجل حبها، لم يعرض هنمي عواطفه ولا مشاعره في رسائله. أن تأتي رسالته بل الواحدة في صفحات عديدة كان أمراً محتوماً، ولا يمكن تجنبه لأنه اتخذ أسلوباً مطولاً مبدياً اهتماماً باختيار كلماته كي لا تتخذ دليلاً على أنها لم تكن مناسبة. لقد بدا من

الطبيعي أن تثير مثل هذه الحساسية الشديدة غضب كوماكو.

إذا كان محباً، فلماذا لا يتقدم ويقول هذا؟ لم تعد تعتبر جريمة أليس كذلك؟

وبالطبع، بينما كانت تقرأ رسائله لم تستطع أن تجنب تذكرها صورته المضحكة وهو ينحني فوقها دافعاً مؤخرته إلى الوراء كثيراً، وشفتاه المغضنتان تلوحان من بعيد، تقتربان ثم تبتعدان. هنمي المحافظ إلى حد ما يمكن أن يكون رجلاً مناسباً لامرأة مثل كوماكو، لذلك من الغريب أن يتبين على نحو محتوم أن مثل هؤلاء الرجال ضعفاء الشخصية. بموجب مقاييس ما بعد الحرب، إن عبارة «شبه محافظ» كانت تعني في الواقع (متحرر). إنه امتداد طبيعي للنسل الجيد، ولكن ليعجب المرء لماذا بدا مثل هؤلاء الرجال مكتئبين. كانوا قبل الحرب موضع انتقاد اليساريين، وموضع ازدراء العسكريين في أثناء الحرب، ولم يصبح للأحرار اعتبار إلا مدة ستة أشهر قصيرة بعد هزيمة الأمة نتيجة للضغوط التي مورست باستمرار عليهم، كانوا دائماً يعمدون للعبوس، وكان من الطبيعي أن لا ترغب فيهم النساء.

في هذا المضمار، يقف تكابومي في الطرف الآخر من الطيف، فربما كانت ملامحه أنثوية، ولكنها تحمل بأسا وشجاعة.

«دعيني من فضلك أن أمسك يدك للحظة». هكذا يتوسل. سيتقدم بمثل هذا الطلب دون تردد. عندما مدت يدها مرة أمسك بها بحذر شديد، وكأنه يرسم لوحة قبل أن يضغط بها على خده.

«لا تفعل ذلك؟» عنفته كما تعنف طفلاً مشاكساً، ولكن لم يظهر عليه أنه قد عوقب.

لسوء الحظ، كانت أمه قد أخبرته بأن إيوسوكي قد أختفى، وبأن كوماكو تعيش وحيدة، فجعله ذلك أكثر طموحاً، خمنت كوماكو أن تكابومي ويوري قد رتبا للقيام برحلة مخيم صيفي. طريقتهما واضحة ومباشرة، على عكس طريقة هنمي، فتعين عليها ألا تستهين بتكابومي، على الرغم من اعتبارها إياه طفلاً.

وعلى الرغم من عيوب هذين الرجلين، وجدت كوماكو أنه ليس من اللائق أن تغدو هدفاً لعواطفهما. في نهاية الأمر، لقد كانت هذه إحدى فضائل حرية ما بعد الحرب. لقد اختلف الزمن الآن عن أيام «تكونا– جمال الأم» التي انتحرت عندما وجدت نفسها محاطة بالخاطبين كما يروى في الأسطورة القديمة.

مرت الأيام، فلاح الخريف بالأفق. كان الطقس أكثر برودة في الريف حيث تعيش كوماكو، ولكن مازال حر الصيف يخيم على المدينة. نتيجة الدعوات والرسائل الكثيرة التي أمطرت بها ووصلتها بالبريد السريع، قبلت أخيراً دعوة هنمي لزيارته في منزله في أموري- سانو، وهي الآن تحضر نفسها.

لم تهتم بوضع المساحيق إلا قليلاً، ولم يبلغ اهتمامها بما يقابل ذلك نصف اهتمامها عندما قابلته أول مرة في شيبايا. إن أوج فصل الحب كنضوج الموز، قصير جداً. يا للآسى! لو لم يتبين أن هنمي أحمق هكذا، لأصبح قلبها الآن جاهزاً للانسلاخ.

«مرحباً، هل هناك أحد في المنزل؟»

معتقدة أنها امرأة من الجيران جاءت لتأخذ ثياب أطفالها، التي قد انتهت من خياطتها، نادت بحرارة، «سأكون معك في الحال». قبل أن تظهر في الشرفة.

«كم من المدهش أن تكوني في المنزل يا سيدة ميناميمورا! كان من الصعب علي الوصول إلى هنا. لقد جلت في جميع الأماكن».

هوران هي أم تكابومي، كان وجهها محمراً وتلهث. من الواضح أن جسمها المستدير الشكل يعاني من وراء قميصها الياباني القطني الثخين الذي غدا مناسباً أكثر لفصل الخريف. حملت سلة ثقيلة مليئة بالفاكهة. لابد أنها حملتها طوال الطريق من المحطة.

«آه ... أدخلي من فضلك!»

«إنك في طريقك للخروج. أعدك لن أؤخرك أكثر من عشر دقائق».

حدقت المرأة الأكبر سناً في تبرج كوماكو وثيابها، فأدركت الموقف، لكن ذلك لم يجعلها تتوقف عن الدخول إلى المنزل.

«كم كنت متراخية! لقد مضى وقت طويل». بدأت بلباقة معتادة قبل أن تدخل فجأة، «اعتقدت أنه ينبغي لي أن أعبر عن احترامي مرة واحدة على الأقل. لقد علمت أن تكابومي يأتي إلى هنا كثيراً».

بينما كانت تلقي سلسلة تحياتها المتوقعة، بدا ما أرادت قوله واضحاً وضوح زجاج الكريستال، وذلك من خلال تلميحاتها.

من اللباقة الرسمية أن لا تشير بتلميحاتها في هذه المرة إلى الشؤون الشخصية، فما وجدته

كوماكو مرهقاً جداً لها. وعلى الرغم من عدم قدرتها على السيطرة على احترامها، فإنها لم تستطع إلا فعل القليل كي تواجه إهانة هوران لها. متظاهرة بتقديم هدية مبالغ فيها لمقال هذه المناسبة، وجدت نفسها تعبر عن عرفان بصورة أكثر من اللازم.

«دفء الجو الجديد جعلني أطفئ المدفأة». قامت كوماكو معتذرة كي تحضر الشاي.

«ليس مهماً يا سيدة ميناميمورا. إنني أفضل تناول كاس من الماء البارد إذا تفضلت بذلك».

«إذا كنت متيقنة».

عادت زائرتها لتتحكم بزمام الأمور ثانية، ولكن سرعان ما خرجت كوماكو كي تحضر كأس الماء البارد من مضخة الماء الباردة. شعرت بالعجز وبأنها في وضع دفاعي، لما انتابها من خجل نتيجة شعورها بأن وضعها الاجتماعي قد هبط لدى من تملك عيناً تدقق كثيراً في الحالات الاجتماعية، وكذلك لأن في عالم النساء عندما تتعامل امرأة في الخمسينيات من عمرها مع امرأة أخرى لم يتجاوز عمرها الأربعين عاماً، فهي تتعامل معها بهالة الضابط عندما يأمر جندياً عادياً لديه.

«إنه مكان هادئ جميل هذا الذي تملكينه!» أشارت الضيفة، «ولكن لابد لك أن تشعري بالوحدة وأنت وحدك هنا».

أدركت كوماكو أن هوران بدأت تعاملها وكأنها أرملة وحيدة. وعلى الرغم من أنها تحاول التظاهر بعدم الشعور بالوحدة، فقد قررت كوماكو بدلاً من أن تثير الموقف بينها وبين هوران من خلال معارضتها، أن تسايرها كي تضمن مغادرتها في وقت مبكر، لذلك أجابت بجواب غامض جداً:

«حسناً، هناك أوقات عندما .».. هزت هوران رأسها مؤكدة.

«إنني أفهم تماماً. إنني أرملة كما تعلمين. في بعض الأوقات، أشعر بوحدة شديدة، إذ يبدو لي المنزل فارغاً على نحو لا يمكن وصفه». تابعت بإثارة حزينة، «أي لم يعد شيء موجود سوى الهواء. تقولين لنفسك ... هل لم يبق لي سوى الهواء كي اصطحبه من الآن فصاعداً؟ ثم ينتهي بك الأمر بالبكاء».

«ما كنت لأصل إلى هذا الحد كي أقول ذلك». أجابت كوماكو.

«بالطبع ففي حالتك لم يفصلك الموت عن زوجك»، قالت هوران، «الحالة مختلفة لدى من هم في وضعي. على الرغم من ذلك لدينا طقوسنا اليومية- طقوس تكريم موتانا في المنزل والزيارة الشهرية إلى قبورهم، كل هذا يبقينا منشغلين- دون تلك المهام تشعرين بالضياع ولا شيء لديك تقضين به وقتك».

بدت هوران مصممة على تصنيف كوماكو على أنها أرملة. لم تكن كوماكو متيقنة مما قاله أعضاء جمعية غوشوكاي لهوران، ولكن بدا عليها أنها تعلم بهجران إيوسوكي كوماكو، لذلك استحقت الشفقة.

«عندما تفقد المرأة زوجها، تصبح وردة الصبح الذابلة، ولا أمل فيها كي تتفتح ثانية. وبالنسبة لك، فأنت لاتزالين شابة، فلا يمكن لك أن تظلي دون رجل يسقيك الماء كل صباح».

عند هذا انفجرت هوران مقهقة.

«إنه شيء مقرز!» هكذا كانت تفكر كوماكو، هذه المرأة تجهل حقيقة أن اليابان أصبح فيها دستور جديد، وأن القانون المدني قد تم تعديله. لم تستطع كوماكو التفكير بأي شيء لتقوله أمام مثل هذه السوقية والفظاظة.

«أفضل طريقة تنسى بها المرأة وحدتها». نصحت هوران بحزن، «هي أن تمارس الفن. يمكنك أن تجربي غناء موسيقى النوه أو الرسم بالحبر. ولكن دعيني أن أحذرك من أنه ليس من السهل أن تحققي تقدماً حتى لو أخذت دروساً في ذلك، لاسيما أنك لم ترثي ذلك».

«أهذا صحيح؟» قالت كوماكو مسايرة ضيفتها.

«لذلك ما أرشحه لك». قالت هوران بتسلط، «هو أن تتزوجي ثانية وفي أسرع وقت ممكن. إنك تعلمين أنني ما كنت لأقدم لك نصيحة لا تصب في صالحك».

«إنني أقدر ذلك». قالت كوماكو بابتسامة مهذبة.

«إذا رغبت».. قالت هوران متحمسة للموضوع، «فإنني سأكون مسرورة إذا ساعدتك كي تجدي أحداً. تعرفين السيد هنمي. لم يكن محظوظاً بزواجه، وزوجته الحالية .»..

إذاً لهذا جاءت قاطعة كل هذه المسافة، فكرت كوماكو. إذ طلب منها هنمي، فوافقت على أن تساعده بإقناعي. بينما كانت كوماكو تستنبط ذلك، بدت لها هوران سخيفة.

«يجب أن أذكرك أنا قانونياً وأخلاقياً امرأة متزوجة». ربما أكدت كوماكو حقيقة أنها

مازالت امرأة متزوجة أكثر مما ينبغي. إلا أن إدراكها سبب زيارة هوران المفاجئة لها قد نجم عنه هذا الإعلان القوي.

«ميناميمورا إيوسوكي ليس في المنزل الآن، ولكنه لايزال زوجي».

بدأت مباشرة كوماكو تأسف لقول هذا، لو كان إيوسوكي زوجاً جيداً، لما وجدت نفسها في مثل هذه الحال. للكلمات طريقة في الانزلاق.

أبدت هوران ابتسامة ماكرة وهي تصحح جلستها على الوسادة، ثم راحت تعبر عما يبدو وكأنه اعتذار.

«آه ... يا عزيزتي لابد أنني خرجت عن حدودي. يجب أن تعذبني». قالت مقهقهة، «لقد قفزت إلى النتائج. أتمنى أن تسامحيني».

«لا حاجة إلى الاعتذار» أجابت كوماكو ببرودة آسفة لكلماتها المؤكدة.

«كلا، إنني متيقنة من أن ما قلته لم يكن في موضعه يا سيدة ميناميمورا، لقد تحدثت بكبرياء عظيم عن حالتك الزوجية، وهناك شيء أود السؤال عنه».

صححت هوران جلستها، كانت تواجه كوماكو، ولكن تتحدث جانباً.

«حقا؟ ماهو؟»

«الآن، لا تتظاهري بعدم معرفتك بما سأسأل عنه. لقد ذكرت أنني سأكون سعيدة لو علمت ابني الإنجليزية، ولكنني لا أتذكر أنني قد طلبت منك كي تعلميه مسائل العشق والغزل».

أخيرا أوضحت لغتها وتعابير وجهها حقيقة طبيعتها. صعقت من الإهانة المفاجئة.

«كيف لك أن تقولي ذلك؟»

«لا تتصرفي، وكأنك قد تفاجأتي! تعلمين تماماً عما أتحدث! لا يؤلمني أن زوجك قد هجرك، وإذا كنت تشعرين بالوحدة، فليس هذا سبباً يدفعك للعب مع صبي ما كاد يتجاوز العشرين من عمره بعد. فكري بالفرق بين عمريكما!»

هذه المرة ارتجفت كوماكو، وكأنها تعاني من مرض الملاريا.

«كيف لك أن تقولي مثل هذا الشيء المنافي للعقل والطبيعة؟»

«إذا كنت تعتقدين أنه باستطاعتك إخفاء كل شيء، فالوقت قد فات على ذلك. لقد

أخبرني تكابومي بكل شيء. لقد أصبحت تتحكمين به بإصبعك الصغير، وهو يطلب مني أن آذن له كي يتزوجك! كيف استطعت أن تفعلي به كل هذا؟»

«ولكن تلك فكرة تكابومي! لا علاقة لي بها».

«آه. كلا، لا تستطيعين تبرئة نفسك من ذلك! لو لم تشجعيه، لما بلغ به الأمر إلى تلك المرحلة. إن الصبي خطيب فتاة شابة لطيفة؛ فوجيمورا يوريكو، لذلك يجب أن تخجلي من نفسك. ليس الأمر وكأنه لا يوجد رجال حولك».

لا شيء سوقياً مثل شجار النساء، وإن شجاراً ليدور بين امرأتين إحداهما ناضجة وأصغر سناً، والأخرى أكبر سناً، ولكنها جلفة، ليتجاوز قدرات أحد يريد تسطيره، وحتى لو كان مولعاً بفعل ذلك، لربما مازال ينظر إليه وكأنه تهليل لردة فعل أو ولع بالقتال.

أخيراً غادرت هوران. لا شك أنها شعرت بالزهو وهي تغادر منزل كوماكو، لاسيما وأن كوماكو فشلت في صدها. في تلك الحادثة، بدت كوماكو مختلفة عن تلك المرأة التي وقفت فوق زوجها وأمرته بالمغادرة. تلك المرأة القوية قد تحولت إلى مخلوقة متسمرة دون كلام تحت وطأة انقضاض هوران. جفت حنجرتها، إذ راحت تتنحنح متلعثمة بكلامها دون أن يكون لذلك أي تأثير. بدت وكأنها تعترف بذنبها، فكان ذلك بمثابة الريح التي تقوي لهب سخط هوران الناجم عن دوافع أخلاقية. أخيراً، وجدت كوماكو أنه من المستحيل أن ترد عليها بتاتاً، فقد أفشلتها كلماتها.

كيف لأحد عنيد مثل كوماكو أن يهزم بمثل هذه الصورة من التعاسة، فهو أمر صعب وصفه، ولكن ربما سبب ذلك هو عندها. كان غضبها ضعف غضب أي شخص عادي، فألقى غضبها بها في غمرة الانفعالات الجامحة ما أعاق قدرتها على مواصلة الشجار. أن تتهم بغير حق كان أمراً كافياً، ولكن أمام فيض الكلمات التي أمطرتها بها المرأة الأكبر سناً لم يكن بمقدورها أن ترد بشيء.

عندما واجهت وابلاً من السوقية الفظة، أدركت كوماكو أنه لا يمكن لها أن تربح النزال دون النزول إلى مستوى خصمها.

بعد مغادرة هوران راحت تبكي بصوت مرتفع لشعورها بالإهانة والقمع، فكانت عواطفها تغلي، ولكن لم يطفئ ذلك غضبها. حتى التقاطها لسلة الفواكه التي أحضرتها

هوران ونثر ما فيها في الحديقة لم يؤثر إلا قليلاً في إخماد غضبها؛ إذ بدت مرارة هزيمتها تسري في عروقها وتتغلغل في عظامها. لن أدع صبي السكاكر يأتي إلى هنا ثانية! هذا ما قررت.

بالطبع، مهما قررت، فقد كان الوقت متأخراً. هذه أول تجربة سيئة لها منذ أن غادر زوجها. حقاً، كل شيء يجري حتى هذه اللحظة بسلاسة أكثر مما ينبغي بقليل. إن إجبار المرأة زوجها على المغادرة وتوقعها من الحياة أن تسير على نحو اعتيادي أمر يتطلب الكثير.

بينما كانت تعاني في حبس دموعها، لمعت في ذهنها صور عديدة لايوسوكي، ولكن لم تكن على شكل من سينقذها من الكآبة، بل عبارة عن صور من الماضي قد ازدحمت في ذاكرتها. غدا مشهد هجوم هوران الذي أجبرها على الصمت مرآة انعكست فيها صورة معاملتها لايوسوكي، فبعث فيها إحساساً مزدوجاً.

يا إلهي! أين هو؟ كفى كفى.

لقد مر وقت طويل منذ أن نطقت شفتاها بمثل هذا العويل. بعد برهة من الزمن، توقفت دموع كوماكو وتذكرت موعدها مع هنمي. بسبب زيارة هوران المفاجئة والوقت الذي احتاجت إليه كي تستعيد قواها، كان الوقت قد انقضى. كانت الساعة قد بلغت الرابعة، وفقدت كوماكو الرغبة في زيارة هنمي. على أية حال، لم تستطع أن تتركه ينتظرها، لذلك قررت الذهاب إلى المحطة لتتصل به هاتفياً هناك.

«من فضلك لا تأبهي بالوقت» حمل صوت هنمي نبرة توسل عبر الهاتف، «ألا تستطيعين المجيء بأية حال؟»

«هذا لطف شديد منك، ولكن أصابني صداع شديد منذ بعد الظهيرة». لم يكن هذا العذر كذباً. لقد دفع الضغط النفسي الدم إلى رأسها الذي راح ينبض بشدة منذ أن غادرت هوران.

«صداع؟ هذا ليس جيداً. هل لديك حمى؟ ماذا؟ لا أستطيع أن أسمعك جيداً».

أخيرا استسلم هنمي، على الرغم من أنه لم يكن مسروراً من ذلك.

«حسناً. إذا كان الأمر هكذا، فلا حيلة في اليد، ولكن يبدو صوتك كئيباً. هل حدث أي شيء؟» .

كم هو حدس رهيب! أهي رهافة حس رجل واقع في الحب؟ للحظة أسفت كوماكو لخيبة أمله. أدركت أن ظنها بأن هوران كانت وكيلاً له ظن خاطئ. كان هدف هوران أن تقطع العلاقة القائمة بين كوماكو وابنها تكابومي.

فعلت كوماكو كل ما باستطاعتها كي توقف هنمي عن الاندفاع والمجيء إليها ليتأكد أنها بوضع جيد، ولم يكن بوسعها إلا أن تعده بزيارته في اليوم التالي لو شعرت بتحسن.

«حسناً إذاً، أتمنى لك يوم سعيداً». أنهت المحادثة بتحية شبه رسمية.

لقد أدركت كم بدا صوتها بائساً، ولم يكن من الصعب على هنمي أن يشعر بحدوث شيء غير مرغوب فيه. كانت محادثتهما طويلة، فكلفتها ضعف ما تكلفها مكالمة من ثلاث دقائق، ولكن معاناتها من قسوة هوران جعلتها لا تشعر بفقدانها للنقود.

كان الفصل الذي يلحظ جميع الناس فيه قصر النهار، ولا يظهر فصل الصيف إلا من خلال ثياب الناس. كانت أوراق الكرز قد بدأت بالاصفرار، وراحت الظلال تمتد وأمتلأ المساء بأزيز الحشرات الذي حملته النسمات الرطبة.

يا لها من كآبة! فكرت كوماكو. كان هناك دستور جديد متطور، ويتردد أن المعاهدات القديمة توشك على الانهيار. ربما هذه حقبة من الزمن يستطيع المرء فيها فعل ما يتمناه دون أن يأبه له أحد، ولكن كم من السعادة تستطيع كوماكو أن تقول إنها قد وجدت؟ أكان بسبب ما حملته من بقايا القيم الضعيفة؟ هأنذا، يبدو إيوسوكي أنه قد ذهب إلى الأبد، وأنا مستعدة لأن أرمي بحياتي كما أرمي بحجر لعبة النرد إذا حضر الرجل المناسب، ولكن من الواضح أن لا أحد يستطيع أن يقامر وحده.

ربما أصبو إلى أكثر مما ينبغي لي، ويجب علي أن أخفض من مستوى أهدافي. أفكار مثل تلك لم تفعل إلا القليل كي تكبح جماح أمواج وحدتها.

فجأة سمعت صوت أقدام تقترب من خلفها وصوتاً مألوفاً. «أهذه أنت؟ إنني سعيد لأنني وجدتك». كان تكابومي يلتقط أنفاسه ويتصبب عرقا، «لقد نزلت للتو من القطار وجئت لأراك». ظهر عليه وكأن شيئاً مهماً يدور في خلده.

لم تجب كوماكو، إذ كانت تحاول أن تقرر إذا تعين عليها أن تذكر له ما قد حدث. ألم تقسم أنها لن تدع صبيَّ السكاكر يقترب منها؟ من السهل عليها أن تخفض الحاجز بنفس السرعة

بعد أن رفعته». لابد لك أن تكوني غاضبة مني. إنني أعلم، وأنا أعتذر. إنني آسف جداً. حقاً لا أعرف كيف لي أن أعتذر». انحنى عدة مرات ما جعل سترته الحليبية اللون تنثني، إنها جاهلة جداً تلك الأم. «أمي جاهلة وسوقية وأنانية. تعتبر التصرفات الجيدة غير هامة وزائدة. إنها مريعة فقط». لو سمعته أمه، لكانت شدة الإهانة كافية لتوقعها فوراً مغمى عليها.

«لا أستطيع أن أقول لك كم مرة سبب لي تدخل أمي حرجاً، ولكنها لم تذهب بعيداً مثل هذه المرة من قبل. لقد أساءت كثيراً جداً. في هذه المرة إنني عازم على محاربتها. سأذهب إلى محكمة الأسرة إذا تعين علي ذلك. لابد أن ذلك مخالف لقانون الأسرة أو لقانون الزواج أو شيء آخر. لقد بلغت العشرين من عمري في الخامس والعشرين من الشهر الماضي، فهكذا أنا راشد، ومن هو راشد لا يحتاج إلى إذن أبويه ليتزوج، فكيف إذا تعلق الأمر بالوقوع في الحب. أي أحد يحاول إيقافي، سيخرق حقوقي الإنسانية».

«تكابومي. كيف عرفت أن أمك أتت إلى منزلي؟»

أخيراً، التقطت كوماكو صوتها.

«لو عرفت مسبقاً، لمنعتها. ولكنني عرفت بعد أن غادرت. لقد سمعت ذلك من يوري، لقد أخبرت أمي السيد فوجيمورا أنها ستزورك».

«لا تأبه لذلك، فالأمر قد انقضى. الناس الذين يريدون إساءة الظن يستطيعون فعل ذلك قدر ما أرادوا- هذه فلسفتي- إلا أنه يا تكابومي لقد قررت أن نقطع علاقتنا». تظاهرت كوماكو بالبرود والابتعاد.

«لا تقولي ذلك من فضلك لو فعلت ذلك، لكان عبارة عن تبني آراء أمي القديمة الطراز!»

«لا أفعل ما تقوله أمك. إنني أقول ... كيف لي أن أشرح ذلك؟ إنني أرفضك بكامل إرادتي».

«هذا ليس بعدل! لا أستطيع قبول ذلك! هل تقولين إنك لاتحبينني؟»

«كلا، إن الأمر ليس كذلك، ولكن رغباتك أصبحت تشكل خطراً بالنسبة لي. هل تفهم؟»

«كلا لا أفهم! أنت تقولين رغبات، ولكن أنا .»..

«دعنا نسير ونتحدث حول هذا الأمر». وجدت كوماكو أن حوارهما يبعث على الارتياح، وهما يقفان في منتصف شارع مزدحم.

حتى لدى توجههما إلى الريف المنفتح على طول طريق محفوف الجانبين بنباتات ذات أوراق ضخمة تهزها النسمات، ألح تكابومي بتوسلات لها. ولأن كوماكو قد قررت ألا تصطحبه إلى منزلها في ذلك اليوم، سارت في طريق معاكس من موقع منزلها، فأربكتها الأشياء المحيطة غير المألوفة لها من قبل.

«كل منا ينتمي إلى جيل مختلف– هناك فجوة كبيرة تفصل بين أمرينا وطريقة حياتنا. إنني أضحك عندما أفكر كيف يكون مظهرنا إذا تزوجنا. علاوة على ذلك، إنني سأكون صريحة. لا أكن لك احتراماً». توقعت أن تسبب تلك الكلمات له صدمة، ولكنه تابع دون أن يأبه لها.

«ولكنني احترمك، إذا كان الحب يحتاج إلى الاحترام، فليس كافياً أن احترمك أنا».

«ينبغي للمرأة أن تشعر بذلك بنفسها».

«إن هذا لطراز قديم. لماذا العكس خطأ؟ إذا كان الرجل يعبد امرأة ويكرس حياته لها، اعتقد أنه يجد السعادة».

حقا في اليابان القديمة كانت المرأة هي من تحكم الأسرة، وكان مثل هذا الحب يشكل حباً زوجياً. خطر لكوماكو أنه سيكون من الممتع إذا أعيد العمل لذلك النظام، ولكن حالما حدقت بالرجل الذي كان أمامها بدت لها الفكرة سخيفة.

«عندما يأتي ذلك اليوم، ربما تكون النسوة سعيدات، ولكنني لن أعيش حتى ذلك الوقت. يا تكابومي يجب عليك أن تتوقف عن حلمك وتحاول وتعطي يوري حق قدرها.

«دعنا الآن نعود. إن الظلام يخيم».

«انتظري من فضلك! أريد هذا الأمر أن ينتهي هذا اليوم. لقد أتيت وأنا مصمم. إن لم أفز بحبك، فإنني لن أعود إلى المنزل. سيكون ذلك درساً جيداً لأمي. لقد قالت أشياء كثيرة مشينة لك».

استدارت كوماكو كي تتابع خطاها، ولكن تكابومي سد عليها الطريق.

«تكابومي. أعتقد أنك لن تقوى على ذلك». قالت كوماكو ضاحكة، «هل أنت على

قدر من القوة كي تتحدى أمك، وتعيش وحدك؟» أغريت كوماكو بإحداث شقاق ما، إذ ربما يكون ذلك انتقاماً عذباً من هوران فتنفخ بلهب عواطف تكابومي لترى ما سيحدث. على أية حال، لا يمكن الاستهانة بالشاب.

«الحب!» قال بنبرة تعجب، «هل يستطيع أن يقدم لك شجاعة جديدة و قوة؟».

وهو يقول اعذريني من فضلك، «اقترب من كوماكو ولفها بذراعيه، كما تلف النباتات الطفيلية أشجار الكرم، فأصاب كوماكو اشمئزاز عندما اكتشفت أن لتكابومي بعض التجارب مع النساء، فقاومته بعنف، وكانت توشك على الإفلات منه عندما ظهر شبح من بين الأشجار القريبة. كان رجلاً صغير الجسم يرتدي قميصاً مخططاً وبنطالاً أسود اللون وقطعة قماش قذرة تغطي نصف وجهه السفلي وجعلت نظارته الشمسية الزرقاء اللون من الصعب رؤية تقاطيع وجهه.

«من الفاشل ألا تكونا عاشقين هكذا»، دمدم الرجل، «انظرا إلى هذا. هل تفهمان؟» أظهر جزءا من شيء كان يخفيه في بنطاله. أكانت سكيناً؟ أم مسدساً؟

رفع تكابومي يديه إلى الأعلى كما شاهد الناس يفعلون في الأفلام الأمريكية.

«حسنا. الآن أيتها الفتاة ارفعي يديك إلى الأعلى، فربما قرأت عني في الصحف. أحب إزعاج العاشقين. لقد قطعت كل المسافة من طوكيو». كان صوته مرتفعاً ومخيفاً دون شك، ولكن كوماكو لم تواجه مثل هذا الموقف من قبل، فكانت ترتجف متسمرة. «هل تريد نقوداً؟ سأعطيك بعض النقود». قال تكابومي خائفاً.

«ليس النقود فقط ما أريد، ولكن أعطني ما لديك». أبقى تكابومي إحدى يديه في الهواء وأخفض الأخرى ليخرج قطعتين أو ثلاث قطع ذات المئة ين. تعين على كوماكو أن تعجب بحضور بديهة تكابومي، وحقيقة أنه استطاع التحدث في تلك اللحظة. لم تعلم أن الطلاب الأغنياء يصبحون هدفاً للسلب في ضواحي المدينة في الليل.

قبل أن يسلم الرجل قطع النقود ألقى بها تكابومي لتقع على الأرض، «إن هذا لجبن. لا تقم بأي حركة تهور الآن». بينما كان السارق يلم النقود، هرب تكابومي راكضاً كما لو كانت الريح تسابقه، وفكرت كوماكو بالهروب كذلك.

«آه ... لا ... أيتها الفتاة. لن أدعك تذهبين». أمسك السارق بكم قميصها، «من فضلك

لا تؤذيني، فسأعطيك ما تريد». أستسلمت الآن لقدرها. أعادت كوماكو صوتها أو ربما عندما ناداها السارق بالفتاة قد بدد ذلك من ذعرها. لقد وعدته بأن تمنحه كل ما يريد، ولكنها قد غادرت منزلها وهي تحمل نقوداً تكفي فقط لمكالمة الهاتف، ولم تكن ترتدي حتى ساعة يد. بالطبع، لم يكن الرجل مسروراً.

«اللعنة! إنك مفلسة، وكل ما لديك اثنا عشر يناً». أعطاها حقيبة يدها دون أن يأبه للنقود. «يجب أن أحتفظ بك مدة من الزمن». قال، لقد كان أكثر فظاظة من تكابومي، فجرها من معصمها، وراح يدفع بها إلى قرب شجرة أرز. استعادت كوماكو قواها، واستخدمت جميع قوتها، عندما ألقي بالرجل على الأرض، إذ تلقى لكمة على وجهه، لكنها لم تكن من كوماكو.

تبين أن منقذ كوماكو كان هيجي الذي يعمل في مكتب المؤن؛ لقد كان فظاً ورجل جيش سابقاً، وكان في سجن في سيبيريا من قبل. لقد ذهلت كوماكو من قوته، إذ بضربة واحدة جعل السارق يزحف على قدميه ويديه، وكأنه ضفدع قد دهس.

الرجل الذي ظنته كوماكو مجرماً قاسياً، يتوسل الآن عند قدمي هيجي– وهو في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره. تحطمت نظارته وسقطت قطعة القماش من على وجهه لتكشف عن خدين مستديرين وعينين مرهقتين. لم يبد عليه أنه سارق أو قاطع طريق.

عندما لكمه هيجي ثانية، بدأ الشاب يعتذر مخرجاً نقود تكابومي ليعيدها بخنوع، فسقط كذلك من جيبه غصن أو جذع شجرة ظنها تكابومي وكوماكو سكيناً أو مسدساً. صعقت كوماكو من الموقف الهزلي والعابث، وعلى الرغم من أن هيجي أراد أن يأخذ الولد إلى مكتب الشرطة القريب من محطة القطار، إلا أنها أقنعته بتركه يذهب في سبيله.

«لقد رأيتك في هذه المنطقة من قبل». قال هيجي للشاب، «إنك من شيموساوا. أليس كذلك؟ إذا عدت لتضايق الناس ثانية، فلن أدعك تذهب بسهولة». صفعه هيجي مرة أخرى وتركه يذهب. وقع الحادث في الجانب الآخر من بلدة كامي ساوا، حيث كانت تعيش كوماكو. كان المساء يقترب، لذلك اصطحبها هيجي لطرف البلدة. حقاً، كان رجلاً قليل الكلام، فلم يبد إلا تعليقاً واحداً في خلال العشرين دقيقة التي سارا فيها سوية، وكان قد بدأه همهمة كأنه يتحدث إلى نفسه.

«ليس من السهل جعل الشبان يحسنون التصرف في هذه الأيام، فالأطفال في روسيا طيبون مقارنة بهؤلاء».

سار مسرعاً، وبدا صعباً على كوماكو مجاراته في المشي. على رأسه قبعة جيش قديمة مبللة بالعرق وتوضع بطريقة تتفق والطريقة العسكرية النموذجية. هذا النموذج من القبعات، الذي كان انتشاره عالميا، قلما تراه هذه الأيام. ارتدى كذلك قميصاً قديماً من قماش الخاكي وبنطال جيش ربط بمطاط، فلابد أنه ارتدى ذات الزي وبذات الطريقة في الحرب. وكانت تفوح منه رائحة ذلك الذي يعمل سائس خيل أو صانع أسرجتها الجلدية. عندما تذكرت كوماكو أيام الحرب المرعبة جعلها ذلك تعبس، ولكنها لم تنفر منه بالمقارنة بإيوسوكي. كان نحيفاً وهزيلاً، ولكن هذا الجسم يخفي وراءه قوة عظيمة كما أظهرها من قبل، وعلاوة على ذلك لايمكن إنكار شجاعته.

«لا أعرف كيف أشكرك».

عندما وصلا طرف البلدة، انحنت كوماكو مودعة إياه، ولكنه لم يتوقف.

«هذا لا شيء». قال ثم انصرف. كان لون الغروب الأصفر يعلو السماء من ورائه، والقمر الفضي الجديد فوق رأسه.

في اليوم التالي اشترت كوماكو علبة سجائر، ثم ذهبت إلى مكتب المؤن. ربما كان المهاجم ولداً يقلد سلسلة جرائم، ولكنها أصبحت مدينة لمنقذها وأرادت التعبير عن شكرها له.

«أريد أن أشكرك ثانية لما فعلته معي البارحة».

كان هيجي يجلس وراء طاولة في مبنى تخزين المؤن المعتم مرتدياً الثياب ذاتها.

«لا يجب عليك أن تفعلي ذلك يا مدام!» بدا عليه أنه مصمم على تجاهل الهدية التي في يدها.

لم تبد عدم مبالاته مصطنعة أو ناجمة عن كياسة، فحقاً لم يعط أية أهمية لما قدمه. كان يظهر في صوته مسحة حزن وكآبة. على أية حال، ألحت كوماكو على تقديم الهدية له طالبه إليه ألا يعيدها.

«إذا كان الأمر مزعجاً».. قال مذعناً، «سآخذها».

احمر وجهه خجلاً عندما أخذها، وألقى بها على الطاولة حيث أحدثت صوت رطمة.

تلعثمه بعث في كوماكو الرغبة في التبسم، إذ استطاعت أن ترى هيجي، على الرغم من تجاوزه الثلاثين من عمره. كان خجولاً جداً.

متذوقة علو منزلتها بوصفها امرأة ناضجة، همت بمغادرة المبنى، فناداها هيجي.

«لحظة من فضلك ياسيدتي». معتقدة أنها قد نسيت شيئاً. تراجعت كوماكو بخطاها.

«لقد علمت أن زوجك غائب، ألن يعود قريباً؟»

«كلا!» دهشت كوماكو لعلم هيجي بغياب زوجها، على الرغم من سرعة انتشار أخبار كهذه بين أفراد المجتمع المحيط.

«إذا كان الأمر هكذا فينبغي لك أن تخبري السلطات. فمن الخطأ أن تأخذي مؤونة زوجك وهو غائب». كان ينظر إليها مباشرة، ونم وجهه بتقاطيعه المحمرة عن بيرقراطية باردة. لم تخبر كوماكو السلطات، ولكن لم يكن ذلك بهدف حصولها على ضعف المؤونة، إلا أن الهدف يبدو كذلك. ولقد اعترفت كوماكو بأن هيجي قد تفوق عليها في ذلك.

«إنني آسفة لذلك». قالت بهدوء، «من الآن فصاعداً، ستكون المؤن من أجل شخص واحد فقط».

بهذه الكلمات غادرت المكتب ... شخص فضولي هكذا اعتبرته ... أظنه رجلاً متشائماً!

يختار معظم الناس وقتاً آخر ليطرحوا تلك المسألة، بدلاً من أن يقوموا بذلك مباشرة بعد تلقيهم هدية شكر. الرجل الذي يستطيع أن يميز بين المسائل الخاصة والمسائل العامة كان لينتظر فرصة أخرى ليذكر بهذه الجزئية الإدارية. على الأرجح عندما شعر هيجي بأنه مضطر لقبول الهدية، قرر مواجهتها ليكون على حد سواء معها، حتى لو كان ذلك التفسير دقيقاً تماماً، وجدت كوماكو قدرة هيجي على الانتقال من الموضوع بسرعة من الوضع الشخصي إلى الشأن العام أمراً ممتعاً، لاسيما عندما تحدث إليها بجفاء.

عندما وصلت إلى المنزل أوقفتها صاحبة المنزل لتسلمها بطاقة بريدية كانت قد وصلت في اثناء غيابها. كانت تلك البطاقة من تكابومي، توقفت كوماكو للتحدث مع صاحبة المنزل عند شرفتها، فأثير موضوع هيجي صدفة.

«إنه رجل عنيد. منذ أن تسلم مهام المؤن الغذائية، لم تظل هناك فرصة في الأخذ والعطاء.

باستطاعته أن يكون مشاكساً كبيراً!»

تحدثت مالكة المنزل مطولاً حول شخصية هيجي وعاداته. لقد قالت إن سبب مزاجه السيئ هو أنه بعد أن أستدعي إلى الجيش أقامت زوجته مع رجل آخر، ثم اختفت. كان هيجي ابن مزارع غني في القرية، وكان قد ذهب إلى كلية ليدرس الزراعة، عندما عاد من سيبيريا، وجد زوجته قد ذهبت. أقلع عن الزراعة ليستلم مهام توزيع المؤن الغذائية حيث لايزال يعيش في ذلك المكتب.

«لم تكن طباعه هكذا، لذلك يظنه الناس قاسياً جداً. على أية حال، ما كنت أفضل القيام بأي شيء يغضبه». حتى بعد أن دخلت إلى منزلها، ظلت كوماكو تفكر بهيجي. تذكرت تقاطيعه التي تشبه تقاطيع مزارع صارم وتعابيره النزيهة التي تعلوها مسحة شفقة. لم تكن متيقنة من أنه يبدو هكذا، ولكن هكذا فهمته. هناك شيء مبني على الخوف يعلوه. تذكرت فجأة البطاقة البريدية، فقرأت رسالة تكابومي. كانت قد كتبت بسرعة، فربما كان ذلك في مكتب البريد في طريقه عائداً إلى منزله في اليوم السابق؛ إذ قدم لها عذره لتركه إياها، كان ينوي الذهاب إلى مكتب الشرطة ليطلب مساعدة، هذا ما كتبه، ولكنه فكر بسمعة كوماكو، فقرر عدم الذهاب.

لا تقلق يا ولدي، فلم يتوقع أحد منك أن تكون فارساً يرتدي ثياب الحرب. سحبت الريح البطاقة البريدية وقذفتها إلى الحديقة. عندها فقط، تذكرت كوماكو أنه تعين عليها أن تذهب إلى منزل هنمي. مازال هناك وقت طويل، ولكنها لم تشعر بالرغبة في القيام بذلك.

لقد استنتجت ما كان هنمي ليقدم فائدة أكبر تجاه الوضع الذي مرت به مساء اليوم السابق. اندهشت من سرعة خضوع الرجل النبيل وتوسله. وما عسى بوسع إيوسوكي فعله؟ لم تكن متيقنة من أن إيوسوكي سيرفع أصبعاً واحدة في وجه أحد، لذلك ربما لم يكن بوسعه لكم الرجل. على أية حال، لو كانت بصحبة إيوسوكي، لكانت ضخامة حجمه كافية لتخيف الجميع. بدا من الواضح أنه لا توجد امرأة محترمة تقنع بجندي يرتدي ثياباً ورقية.

إذاً هل هيجي– موظف المؤن– هو الفارس الوحيد المتبقي؟

جعلت الفكرة كوماكو تشعر بالسذاجة، فكادت تقع من ضحكها. لابد أن أكون في

حالة هستيرية.

لقد مر على كوماكو أكثر من ثلاثة أشهر وهي وحيدة. لا تقوى النساء على العطش كما يفترض الرجال، ولكن في بحثهن عن الماء، يمكن لهن أن يضعفن إذا انتظرن طويلاً.

لا أستطيع احتمال ذلك إلى الأبد، هذا ما قالته لإيوسوكي الغائب. فقط إظهر و قل لي ماذا يحدث.

الفصل السابع
البحث عن الحرية

ما هدف إيوسوكي في حقيقة الأمر؟ لقد حدث له الكثير في الأشهر الثلاثة التي غابها عن منزله. لم يتوعك صحياً، و لم يشارك المتظاهرين في توفير فرص العمل، ولكنه ظل مقيماً في مكان واحد، ولم ينته به الأمر في مخيم تعلوه أعلام اليساريين الحمر، بل كان وسط طوكيو.

لماذا نثير التشويق، فيتحول محور القصة إلى ما حدث لإيوسوكي؟ لماذا نثير مثل هذه الضجة حول شخص لا ينفع لأي شيء؟ حسناً. لو تعين ببساطة أن أخبر بمكان تواجد إيوسوكي في الوقت الحاضر، وإلى ماذا كان يسعى، لوجد قليل من الناس يهتمون بما شعر وفعل من قبل. وكي أسرد قصة إيوسوكي على نحو ملائم، لابد لي أن أعود إلى البداية؛ أي إلى اليوم الذي قالت فيه كوماكو «اخرج»، و إلى ما قبل ذلك اليوم بقليل.

أي زوج، مهما كان خنوعاً أو ضعيفاً تستطيع أن تتخيله ينهض بسهولة، ثم يخرج؟ وإن لم يكن في أعماق ذهن إيوسوكي خطة ما، فهل كان إيوسوكي يهمهم فقط! «أرى ذلك»، ثم يغادر بعد أن ألقى نظرة فقط على كوماكو؟ أي خطة تلك؟ ربما أراد أن يلتقط حريته عندما تسنح الفرصة.

ما كان لرجل متراخ ومتسامح مثل إيوسوكي أن يقوم بفعل ناجم عن تصميم، أو يقوم بتحركات ذات أهداف تنسجم مع طبيعته. وعلى الرغم من ذلك، إن أتيحت له الفرصة، فلن يكون خانعاً، ولن يستمر في عبوديته بإذعان. لذلك عندما أرخت زوجته المتسلطة عنه قبضتها، و قالت له «اذهب! إنك حر!» كل ما تعين عليه فعله هو إطاعة أمرها والاستفادة منه.

إن هجر الزوج زوجته، وبمحض إرادته يسبب له الفسوق ويستنزف طاقته، ولا يتوافر هذان الشيئان لدى إيوسوكي. في حقيقة الأمر، استسلم لوضعه، فكان من باب الصدفة أن كوماكو قد زودته بتلك الذريعة.

بدأ إيوسوكي يجد زوجته مزعجة فقط بعد الحرب، فكل شيء أصبح خاطئاً بسبب الحرب؛ إذ تبددت ثروة أسرته، وبدأت كوماكو تقوم ببعض الأعمال في المنزل ما حولها إلى امرأة متعبة جداً. لم يتذمر عندما كان يطلب منه تنظيف الحديقة أو جلب الماء من البئر لأجل الاستحمام ... لم يتململ من القيام بهذه الأشياء كتنظيف ظهر زوجته في الحمام، أو تلميع حذائها. ما لم يقو على احتماله هو نزعتها التسلطية، إذ كانت تأمره باستمرار، وتتطلّبُ فوق رأسه، لسبب أو آخر وهو ما وجده متعباً حقاً.

أصبحت متكبرة ومتسلطة ومتطلبة وقامعة، تبقيه دائماً تحت أنظارها ومراقبتها. لو كان عبئاً يحتمله لأجل الحب، لفعل ذلك بسعادة. ولو كان زواجهما يشبه زواج مصففات الشعر في الأزمنة الغابرة، لما عارض ذلك أبداً؛ إذ يقوم الزوج بدور داعم فقط في حين تأتي الزوجة بالمال من خلال تصفيف شعر الناس على الطراز القديم. ولكن منذ أن انتهت الحرب، أصبحت طرق تعبير كوماكو عن عواطفها الزوجية تشبه تزويد المؤن– متأخرة، أو لا تأتي أبداً. المساواة بين الرجال والنساء والمساواة في الزواج أمران حسنان، وليس هناك من يعارضهما. لم يكن إيوسوكي بطبيعته متكبراً ولا عنيفاً، وهو يفضل سهولة الأخذ والعطاء في جميع المسائل، فلم يفكر قط بالربح والخسارة. لم يكن أحد أولئك الذين ينتقدون المساواة الجديدة بين الزوج والزوجة، والتي تضمنتها وثائق إصلاح ما بعد الحرب. ما كان يسبب له الاستياء هو انتقال دوري الزوج والزوجة من طرف إلى آخر.

بموجب التقاليد القديمة، كانت السيطرة كلها بيد الزوج، وهكذا ظل الوضع حتى نهاية الحرب. على أية حال، بدأت كوماكو مؤخراً تمثل دور الرجل القديم في شخصية امرأة. في بعض الأوقات، كانت تعامل إيوسوكي على أنه عبد، وفي بعض المناسبات تتحدث إليه وتتصرف معه و تسيء لوقاره– وهذا يعتبر خرقاً لحقوقه الإنسانية. صحيح أنها كانت تقوم بأعمال الخياطة والأشغال اليدوية الأخرى، وصحيح أن مردودها غطى نصف تكاليف معيشتهما، تماماً كما كان يفعل الأزواج قبل الحرب، الأزواج الذين جعلوا زوجاتهم يشعرن بأنهن مسيرات لأنهم كانوا هم من يأتون بقوت العيش. إنهن الآن كما كان تماماً أولئك الرجال. أحدثت كوماكو ضجة كبيرة حول ما كانت تأتي به من دخل مادي. بالنسبة لإيوسوكي، لم يحدث له الأمر اختلافاً حتى بموجب الأرقام الحسابية.

ينبغي للعلاقة الزوجية المثالية أن تستند إلى المناصفة بين الزوج والزوجة.بما في ذلك الحب والاحترام، وينبغي لها كذلك أن تقوم بموجب المناصفة أو تتبع الطريقة الألمانية. كان ذلك لا بأس به بالنسبة لإيوسوكي، ولكن يبدو أن كوماكو توقعت منه أن تمارس الديموقراطية في حين تغرق هي بالاستبداد. من لا يحتج؟

عنصر آخر أزعج إيوسوكي: هو إذا كان تصرف كوماكو يعكس حقيقة مشاعرها. إذا كان الأمر كذلك فليس بوسعه إلا فعل القليل، فهي زوجته مدة تسعة أعوام. ربما وقعت ضحية مرض شرير، ولكن لا تستطيع أن تقول لها ببساطة وداعاً. إلا أنها مازالت تعامل إيوسوكي بطريقة الجمعية المساعدة للحكم الامبراطوري التي أقيمت لتحريك المصادر ورفع المعنويات العامة لأجل المجهود الحربي، وتصرف أعضاؤها بموجب اعتقادهم أنهم أقوى من غيرهم أخلاقياً، على الرغم من أن حماستهم لم تكن أكثر من الجلد سماكة. كانوا تحت قبضة المبادئ، والمبادئ يمكن أن تكون مأوى يعطي حماية للأجساد الضعيفة، ولكن في حالتهم كانت النتيجة قبيحة، فكانوا وكأنهم يظهرون المسامير اللحمية في أجسادهم ليراها الجميع. قال إيوسوكي مرة: لو فكرت في ما عاناه الناس في أثناء الحرب نتيجة سيطرة نمط واحد من المبادئ على تفكيرهم، لاعتقدت أنهم قد تعلموا درساً، ولكن يبدو مؤخراً أنهم قد استبدلوا ذلك النمط من المبادئ بنمط جديد، وكان هناك مؤشرات تدل على أن كوماكو تعمدت باستخدام ذلك النمط الجديد من المبادئ داخل منزلهما. لقد كان ذلك متعباً جداً لإيوسوكي.

بعد الحرب، غدت حياة إيوسوكي في المنزل أقل راحة. دون أولاد أو أم زوجة، ينبغي أن تكون الحياة بسيطة على وجه العموم، ولكنها لم تكن كذلك. هذا التبسيط في حقيقة الأمر هو ما أتاح الفرصة أمام أمواج جيل ما بعد الحرب أن تصفع بقوة عتبة بابهما. لقد أصبح المناخ أكثر مرارة بعد انتقالهما إلى مكانهما الحاضر، و بدأ إيوسوكي يشعر بأنه مجرد مستأجر في منزل تدير شؤونه كوماكو. في أعماق أي رجل - حتى من كان شديد الاحتمال ومتساهلاً مثل إيوسوكي- توق إلى منزل يرتاح فيه. ذكر المخلوقات ليس بقوي على قدر كافٍ كي يقوم بأي عمل محترم دون أن يؤمن له مثل هذا المكان.

ربما من الأفضل لي أن أقيم في مقر سكن الشركة، فعلى الأقل أستطيع أن أنام في صباح بعض الأيام.

بدأ إيوسوكي منذ أكثر من عام، وإن لم يكن هذا السبب الوحيد الذي دفعه لترك المنزل. لقد مجد الدستور الجديد بسبب تركيزه على الحريات الأساسية. التحرر من كوماكو كان السبب الرئيسي الذي حرض إيوسوكي على مغادرة المنزل، على الرغم من عدم إنكار وجود أسباب أخرى للتحرر منها. على سبيل المثال، لم يكن سعيداً مع رئيسه في العمل– في وكالة أنباء طوكيو– مدة من الزمن، وكان قد استقال دون إخبار كوماكو، ولكن لم يكن ذلك بسبب عدم حبه للعمل. في خلال سنين الحرب، كان قد خيم على وكالة الأنباء مناخ من القمع المظلم، ومازال سائداً هناك. لم يعد بمقدوره احتمال ذلك أكثر. بدأ إيوسوكي شكوكه حول الوكالة منذ أن أزيح السيد كي نتيجة لمسؤوليته تجاه الحرب، أجبر على الاستقالة، إذ كان السيد كي هو من أمن العمل لإيوسوكي. كان السيد كي متحرراً بغض النظر عن الطريقة التي تنظر بها إلى ذلك. إذاً قرر المسؤولون عن عملية التطهير إدانة أحد بجرائم حرب لأنه كان مسؤولاً في شركة كانت قد ساهمت بمجهود الحرب، ربما لم يكن الرجوع عن ذلك القرار ممكناً. إلا أن ما أغضب إيوسوكي كانت طريقة معاملة الموظفين للسيد كي وكأنه مجرم حرب، ومن أساء لإيوسوكي هم الذين كانوا يذهبون لتناول الخمر بصحبة ضباط الجيش ومسؤولين في الحكومة. في خلال الحرب، راحوا يذكرون السيد كي بالسوء بعد أن غادر عمله. لقد نجوا بأنفسهم من ذات القدر، لأنهم لم يحتلوا مكانة المسؤولية. علاوة على ذلك، راحوا يعاملون زملاءهم المقربين من السيد كي، من أمثال إيوسوكي وكأنهم قد لطخوا بعلاقته معه.

ما هو أسوأ كان درجة التوتر التي وصل إليها مديرو الوكالة الجدد حتى وصلت إلى وطأة أشد من تلك التي كانوا عليها في أثناء الحرب. إذا وصلت برقية من خارج البلاد، فسرعان ما حولت توجهات الجميع مئة وثمانين درجة، وهكذا تحول مكان العمل إلى مصدر ضاغط ومتعب، كما كان ثمة عناصر أخرى مرهقة يصعب تحديدها، فحتى إيوسوكي المتبلد الحس يحتملها. وهكذا تحول مقر الوكالة إلى جحر مزدحم وخانق جعله ينشد الهروب منه. لقد شعر بأنه مطوق ليس فقط في وكالة الأنباء. لقد أصبحت الحياة في طوكيو لا تحتمل، وهو لا يتذكر أي وقت آخر كانت فيه الأمور كئيبة هكذا على الصعيدين النفسي والمادي. بمقدورك أن تقول قليلاً جداً دون أن تنتقد، فإذا ما اقترحت أن عدد العاملين في الشرطة يجب أن

يزداد، فربما اتهمت بإعادة تسليح الجيش الوطني، وإذا تحدثت عن السلام كثيراً، فربما ظن أنك جاسوس لصالح الاشتراكيين في يويوغي. لم تستطع أن تتحدث حول أي شيء مهم. وإذا سرت حتى نهاية الشارع، فيعترضك جامعو التبرعات يطلبون منك مساهمة مالية لأجل مشروع خيري، أو يعترضك كذلك أناس يجمعون تواقيع لصالح حملة أو أخرى. حتى لو استطعت أن تتخلص منهم لهاجمتك الإعلانات التجارية الصاخبة، أو ربما سد عليك الطريق حامل إعلان تجاري، وهو يتصرف وكأن الشارع أصبح ملكاً له. كان إيوسوكي يتمنى أن يعيشا بسلام. إذا شعرت بحاجة ماسة إلى شرب الخمر، فربما توقفت عند مكان يبيع خمرة رخيصة، حيث لن ترى وجهاً ينم عن رفاهية قط، وربما وجدت مالك الحانة مثقلاً بهذه الضريبة أو تلك. في حقيقة الأمر، كان موضوع الضرائب المرتفعة على شفاه جميع الناس. لقد تعب الناس من كثر شكواهم، وتحولت الآن الأحاديث نحو الفوائد الضخمة والغرامات المرعبة إذا تأخرت عن دفع الضرائب. تحدث بعض الناس عن تلقيهم الغرامات حتى بعد دفعهم الضرائب بسبب عدم تصريحهم بشيء. كان الناس يهمسون فيما بينهم بهذه القصص، وكأنهم كانوا يتبادلون قصص رعب. من يستطيع شرب الخمر بمثل هذا المناخ؟ ربما كانت الحكومة تعاني عجزاً مالياً، ولكن ما جعل الناس يعانون أمر لا يمكن التسامح به.

تآمرت الدولة والمجتمع بأسره وحتى المنزل كي يجعلوا حياة الأفراد صعبة. لقد كانت هذه الأشياء كافية كي تعكر أكثر الناس تبلداً، و تجعله يتوق إلى حياة مختلفة. تماماً عندما كان إيوسوكي يفكر بهذا الأمر، قالت له زوجته كوماكو: « اخرج! ».

على الرغم من اختلاف دافع إيوسوكي وراء تركه منزله عن دافع بطلة– بيت الدمية– لأبسن، إلا أنه راح يخطو في الأفق الفسيح بخفة، و كأنه ريشة حملتها ريح قوية.

على أية حال، يجب القول إنه مازال مولعاً بكوماكو. ربما كانت تتعالى عليه في بعض الأوقات، إلا أنه لم يكرهها. حقاً، تعين أن يكون هناك شيء رهيب يجعل أحداً مثل إيوسوكي يكره امرأة بغض النظر عما تكون. ما كان سيقطع علاقته بها فقط لأنها أمرته بالمغادرة. في حقيقة الأمر، كان يهمه أمرها؛ إن كانت على ما يرام وهي وحيدة، وهذا ما جعله يلقي بنظرة عليها قبل أن يغادر. على أية حال، ما رآه قد أقنعه بأن لا حاجة إلى القلق عليها.

«إذاً إنني ذاهب ... وداعاً». لقد أخبرها بمكان تركه بقية تعويضات عمله، لذا لا حاجة

إلى أن يقلق عليها في الوقت الحاضر. في حقيقة الأمر، كان مرتاح البال، و خطواته سهلة ولو رآه أحد الجيران، لظن أنه ذاهب إلى عمله كعادته.

«هل أنت ذاهب إلى العمل؟»

عندما حيته مالكة المنزل عند حانوت بيع البضائع الجافة الذي يقع في الزاوية، كانت أفكاره رائقة كعادتها. «حسناً، نعم». ابتسم.

كانت السماء صافية والشمس ساطعة. عادة، يكون الريف الفسيح غرب المدينة في الشتاء خاوياً، ولكن بداية فصل الصيف ألطف الفصول، وبينما راح يسير عبر حقول الشوفان المزدهرة، هبت نسمات عليلة وكأنها تودعه.

لم يتوقف إلا عند محطة القطار. كانت بطاقته لاتزال صالحة، وعلى أية حال، فإن عاملة المحطة كانت تعرفه، لذلك كادت ألا تنظر إلى بطاقته. كعادته، راح يسير متباطئاً عبر الجسر الذي يقود إلى القطارات القادمة إلى المحطة. جلس، دون أن يأبه إلى الوقت، على مقعد قديم حتى جاء القطار. تطلب ذلك منه بعض الوقت ولكن الآن ودون تسرع أصبح باستطاعته الوقوف حيث تفتح أبواب القطار أمامه. فتحت الأبواب تلقائياً وبدأ كل شيء يمر بسلاسة في ذلك اليوم. بالتأكيد، كان ثمة كرسي فارغ وكأنه في انتظاره.

لاتزال «حقوق الإنسان» محفوظة لدى مثل هؤلاء المسافرين، حتى وإن شكل الازدحام عند ساعة انصراف العاملين سبباً لبعض الخروقات.

غرق إيوسوكي بشعور كله طمأنينة في نوم عميق، و كان باستطاعته أن يظل نائماً حتى نهاية الخط، أو ربما ينزل من القطار حيث يستيقظ. لقد كانت هذه المرة مختلفة عن الأيام التي كان يهرب بها من العمل أو أيام ذلك الشهر بأكمله عندما غادر منزله كل صباح متظاهراً بالذهاب إلى مكتبه. لم يعد من الواجب عليه أن يشعر بالتوتر، وأصبح ركوب القطار بالنسبة له أمراً ممتعاً. ما كان عليك أن تقلق إذا كان القطار يسير بسرعة شديدة ... أليس كذلك؟ ولم تكن المعاملة الحسنة متوقعة من عاملي السكك الحديدية أيضاً.

«شينجوكو» صاح جابي القطار، فوقف إيوسوكي تلقائياً لينزل من القطار، فقد كانت عادته التي اكتسبها عندما كان يتظاهر بالذهاب إلى العمل.

راح إيوسوكي يسير في الطريق إلى شينجوكو، وترنح جسمه الضخم الطويل فوق الزحام

الصاخب مثل السفينة الحربية يماتو، وهي تشق عباب البحر. لم يكن جسده الضخم فقط، بل تقاطيعه غير المألوفة ما جعل الناس ينظرون إليه مرتين. لا تلام كوماكو إذ أغويت بالزواج من صاحب الحاجبين الكثين والعينين المستديرين. لما امتلأ إيوسوكي في هذا اليوم بفرحة التحرر، وقف بطول قامته كاملة على نحو خاص وعلت وجهه الثقة. كان قد تناول إفطاراً جيداً في الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم، لذلك لم يشعر بالجوع، ولم يجذب انتباهه أي من المطاعم التي مر بها كالمطاعم الغربية، والصينية، ومطاعم لحم الخنزير المشوي، ولا مطاعم السمك المشوي، ولا حتى محلات الحلويات والمعجنات. سار بزهو عظيم. مر بكثير من البائعين المتجولين الذين ألحوا عليه بصخب كي يشتري بزة عسكرية ولفافة من القماش القطني يصنع منها قمصاناً صيفية لم تر مثلها في السوق في أثناء الحرب، وحذاء بني اللون بنعل مطاطي، وحقيبة كتب جلدية بنصف ثمنها، ولكنه لم يبد أدنى اهتمام بها. لم يكن ذلك بسبب عدم امتلاكه القليل من النقود، ولكن بسبب عدم تسوقه مرة في حياته واعتماده كلياً على كوماكو في شراء ثيابه وجميع حاجاته الشخصية، فلم يكن الوقوف عند واجهات المحلات للتحديق في سلعة يرغب في شرائها ضمن اهتماماته الشخصية.

راح يسير في الشارع بمتعة بالغة، وهو يلوح بذراعيه كما يفعل زعيم عصابة عندما يدور حول مقاطعته. كانت ستصاب كوماكو بدهشة لو رأته يعرف هذه الشوارع جيداً. في واقع الأمر، كان يفضل الذهاب إلى الجزء الأكثر رقياً في منطقة الجينزا على الجزء الآخر من المدينة، عندما كان يذهب لتناول الخمر بعد الانتهاء من العمل. ولكن حتى الزوجة لا تستطيع أن تعرف دائماً إلى أين يقود التسكع زوجها. في خلال الشهر الذي لحق تركه العمل، شعر بارتياح أكبر في مناطق غير مألوفة، فجرب اسكوزا ويونو، ولكن لما كانت بطاقته صالحة ما بين المحطتين القريبتين من وكالة الأنباء ومنزله، فقد كان يقضي معظم وقته في شينجوكو بمشاهدة الأفلام السينمائية أو مشاهدة المسرحيات الهزلية الخفيفة، بهذه الطريقة أصبح يعرف معظم أسماء الممثلين المشهورين ووجوههم. وكذلك تعلم حديث فترة ما بعد الحرب وأسلوبها. سابقاً كانت معرفته بالفنون ضعيفة، وفي شينجوكو كان قد مر بمسرح أوفوسن الذي اشتهر بمسرحياته الهزلية الخفيفة مستعيضاً به عن الذهاب إلى الحانات الرخيصة.

قبل ذلك اليوم، كان قد مر بجميع المسارح ودور السينما في شينجوكو مرة واحدة على

الأقل من أوفوسن وموكاشينو فنازلا. راح يسير عبر الضاحية الجديدة التي تقع في الجانب الغربي من المحطة حيث توجد التفرعات من الجهتين الشمالية والجنوبية، وكان قد سار حتى عبر منطقة ساكوراشيندو. كان مجبراً في كل يوم أن يمضي وقته ما بين الظهيرة والسادسة مساء، وهكذا أصبح خبيراً في المنطقة.

في ذلك اليوم، لم ينعطف إلى أي من الشوارع الفرعية، ولكن ظل يسير في الشارع الرئيسي المتجه نحو إيوكي، كان قد فكر بمشاهدة فيلم آخر، وبدأ بتفحص الإعلانات لكنه غير رأيه، ونتيجة دافع داخلي قرر الذهاب لمشاهدة عرض نيورو نيورو المعلن عنه في الطابق الخامس فوق مسرح عرض الأفلام. لم يكن يعلم ما تعني كلمة نيورو نيورو. قد تعني التلوي، ولكنه استطاع أن يخمن طبيعة العرض. كانت فكرة مثل هذا العرض قد حيرته، ولكنه لم يشاهد أياً من مثل هذه العروض. يمكن أن يكون للتحرر تأثير شديد في نفسية الفرد.

عندما أخرج محفظته ليشتري بطاقة أصيب بخيبة أمل؛ فمن خلال محفظته الجلدية حدقت الحقيقة الباردة في وجهه: ثلاثمئة ين! لقد وضعت كوماكو النقود منذ وقت قصير، لذلك يعلم كم كان هناك! فهي لم تعطه أكثر منها. حتى اليوم السابق، كلما خرج من المنزل، أخذ معه قطعة أو قطعتين من ذات الألف ين من ظرف تعويضات عمله. لقد أنفق جميع النقود التي كانت في حوزته في الليلة السابقة، وهذه كانت خطيئته، إذ لم يأخذ المزيد قبل أن يغادر. أدرك أنه لو كان يخطط لترك المنزل، لاحتفظ جانباً بألف ين على الأقل ولكن الوقت قد فات الآن.

«هل ستدخل أم لا؟» سألت عاملة التذاكر مزدرية هذا الرجل الذي كان يحدق في محفظته، «نعم بطاقة واحدة».

الآن لا مجال للعودة. دفع لها قطعتين من فئة المائة ين، وردت إليه خمسين يناً. لقد أنفق نصف ما كان يملك. لو كانت كوماكو تنظر إليه، لأيقنت أنه يستحق ذلك. كان تأثير ذلك فيه جلياً، وكأن دلواً من الماء البارد قد صب فوق رأسه. كانت قدماه ثقيلتين وهو يصعد الدرج الإسمنتي. درج الطوابق الأربعة شاهق الارتفاع و قذر. عندما وصل إيوسوكي الضخم الجسد إلى الطابق العلوي كان يلهث. يتألف الطابق الخامس من ردهة أي مسرح لعرض الأفلام، وينبعث منها دفء الزحام المرح.

حسناً، يبدو أن الأشياء ستكون بخير، هكذا فكر إيوسوكي، وبهذا شعر أن الكآبة بدأت تنقشع عنه. كان هذا أمراً مألوفاً لديه، إذ يمكن أن يكون مكتئباً ولكن ليس لأكثر من ساعة واحدة فقط. لم يكن يقوى على أن تكون معنوياته محطمة لوقت طويل، وستنقشع عنه الكآبة بسرعة انقشاع سحابة صيف، على الرغم من عدم معرفته بما سيجر عليه ذلك من تأثير. كانت عادته في مثل هذه الأوقات أن يكرر الوصفة السحرية، «حسناً ستتحسن الأشياء بطريقة ما». لم يكن عالمه هذا من الصنف الذي تستطيع أن تكون متفائلاً بخصوصه، ولكن بالنسبة لإيوسوكي، الذي تعود دائماً الاعتماد على زوجته في تسيير جميع الشؤون، كل شيء كان أمراً حسناً. إلا أنه منذ هذا الوقت فصاعداً لا يبدو أن الأشياء ستنقضي معه بذات الطريقة.

«في هذا الاتجاه من فضلك».

فتح أحد العاملين في المسرح باباً جانبياً. كان الظلام يخيم في الداخل، ولكن رؤوس الذين وقفوا في الممرات وأكتافهم ظهرت كخيال كما تظهر قمة جبل ميوكي. المسرح ممتلئ جداً ورائحة عرق الصيف تنبعث فيه من شدة الحرارة. وعلى الرغم من ذلك، كان صمت مطبق يخيم هناك، إذ بدا هادئاً هدوء معبد على قمة جبل. لم يسبق لإيوسوكي أن رأى بحياته مثل هذا الحشد الهادئ والمهذب، ولا حتى في مسرح نوه». غير أنك لا تستطيع أن تعتبرهم مرتاحين، إذ سرى بينهم توتر واضح. ولما كان ينظر فقط من بين رؤوس الواقفين، لم يستطع إيوسوكي أن يرى أكثر من نصف خشبة المسرح. هناك ستائر منسدلة إلى جانبي الخشبة، وفي الوسط مصباح سحري، كما يبدو. كما وقفت امرأة عارية تماماً تحمل جرة على كتفها دون حراك. كانت هي صامتة مثل المشاهدين.

تغير المشهد عدة مرات، فعكس كل منها لوحة رسم شهيرة بعد المشهد الذي مثل لوحة «المصدر» التي رسمها انجرد، ظهر مشهد يمثل لوحة غواص المرجان التي رسمها أوتا ماروا. لم يؤد أي من المشاهد الانطباع الحقيقي لأي من اللوحات الشهيرة، فالثوب الياباني الأحمر المتدلي فوق ورك الممثلة لا يمت بصلة للون القرمزي في لوحة أوتا ماروا، ولون بشرة الممثلة الذي يشبه لون البيضة بعد سلقها في الحساء لا يشبه البتة اللون الأبيض الذي يظهر في لوحة الأصل. تحت ضوء خشبة المسرح، لمعت بشرتها.

لم يظهر شيء في العرض يدغدغ مشاعر إيوسوكي، إذ لم يكن لديه اهتمام بأصناف الدعارة، و لكنه قد أنفق نصف ما كان يملك. تمنى أن يحصل على ما يقابل ذلك. إذا كان كل ما يحصل عليه المرء من مثل هذه المشاهد الاستعراضية ليس أفضل من الصور التي تظهر على علب المناديل، فلابد أن يكون قد خسر نقوده دون مقابل. ما أدهشه هو أن جميع الرجال الذين وقفوا حوله، كانوا منشدين تماماً للمشهد، وراحوا يتهجون عند كل مشهد جديد.

في آخر المطاف، انتهى عرض مشاهد اللوحات وأشعلت الأضواء. تبدد الصمت حالما بدأ الحضور بالتحرك، إذ راح الذين وقفوا بالخلف يأخذون مقاعد لهم في مقدمة المسرح، فكان منظر أولئك الذين يركضون ليحصلوا على مقاعد لهم يشبه منظر الجنود عندما يركضون ليقعوا في حفر تؤويهم.

استطاع إيوسوكي أن يحصل على مقعد له في جانبي المسرح بصعوبة. فتحت الستائر ثانية، فكان المشهد هذه المرة إيمائياً. دارت أحداث المشهد تحت أحد جسور السكك الحديدية، إذ تشاجرت مومستان، وراحت كل منهما تمزق ثياب الأخرى حتى أصبحتا عاريتين تماماً. كان هذا المشهد أكثر إثارة من مشاهد اللوحات الأنيقة، ولكن على الرغم من ذلك، فلم تثر مشاعر إيوسوكي.

أسبب ذلك لأنني لا آبه للتعري؟ تساءل. وقع إيوسوكي في حيرة من أمره، لقد أدرك أنه لا يتذكر كيف تبدو زوجته وهي عارية. لقد تذكر أنهما قد ذهبا لأجل قضاء شهر عسلهما إلى الينابيع الساخنة في يوغاوارا، وفي منزلهما السابق في أكاساكا كان الحمام ضخماً، فغالباً ما تحمما سوية. في الصيف الأخير، غالبا ما تحمما سوية في المطبخ ليوفرا ثمن ذهابهما إلى الحمام العام. وهكذا، كانت أمامه فرص عديدة تمكنه من رؤية كوماكو عارية، ولكنه لا يتذكر كيف تبدو؟ يكاد يتذكر بصعوبة أن بشرتها لم تكن بيضاء.

كانت رغبة النظر إلى امرأة عارية قوية لدى إيوسوكي كما هي لدى جميع الرجال. على أية حال، لم يكن من الأدب أن يطلب من كوماكو أن يحدق بها، لذلك لابد له أن يتجنب النظر إليها حتى عندما تقف أحياناً إلى جانبه. ربما هذا هو السبب الذي جعله لا يتذكرها دون ثياب.

بالتأكيد، لقد رأى نساء عاريات على قدر من الكفاية هذا اليوم، ولكنه لم يشعر بانجذاب

نحوهن، فأثار ذلك قلقه. هل لأنه لم يكن للتعري قيمة في ذاته؟ أم لأن الأجساد لا يمكن وصفها على أنها حقاً عارية؟ أم أن التعري لم يكن في ذاته أمراً مزخرفاً أو مزيناً؟

«عفواً هل أنت... ؟» كان قد أتى إليه أحد وربت على كتفه.

«تماماً كما اعتقدت! إنه السيد نامي أليس كذلك؟ من المدهش أن أراك في مكان مثل هذا.».. راح الرجل يقهقه ساخراً.

كان عمره يقارب الأربعين عاماً، وكان يرتدي بزة رسمية. من عساه يكون؟ لم يستطع إيوسوكي أن يتذكر أين التقيا. من كان يدعوه بالسيد نامي؟ على أية حال، لابد أن يكون زبوناً دائماً في الحانة التي كان يتردد إليها في يوركوشو، وكانت تدعى أوريكي، والمرأة التي كانت تديرها كانت قد اختصرت اسم ميناميمورا، وحولته إلى نامي، و هكذا قلدها الزبائن الآخرون، إذ أحبت أن تدعو زبونها الضخم باسم بطلة مسرحية معروفة.

«مرحباً». أجاب إيوسوكي دون تكلف، ولكن عندها غادر الرجل الذي كان يجلس بجانبه، فجلس ذلك الرجل مباشرة.

«أردت أن أشكرك لمساعدتك لي في تلك المرة، إذ ذهبت إلى أوريكي عدة مرات ولكنني لم أجدك هناك». مازال إيوسوكي لا يتذكر ذلك الرجل ولا الحادثة التي يتحدث عنها، إذ منذ أن كان يتردد إلى شينجوكو لم يزر حانة يوروكوشو. لذلك أريد أن أسوي ذلك فيما بعد، ولكن يا سيد نامي، ليس هذا العرض سيئاً؟ أليس كذلك؟ فأنا عندما لا أكون موجوداً في ملعب البيسبول، أتقصد المجيء إلى هنا لأراه، فأنا أعتقد أنه يروح عن النفس. فقط عندما تنظر إلى جسد تلك الفتاة! ألا يمثل ذلك شيئاً؟ إنه يبعث في نفسي السرور. عندما أنظر إلى تيري تيراماتسو، فإنني أنسى جميع فتيات اليابان بما فيهن زوجتي– كلهن!»

كانت المرأة التي تدعى بـ «تري» تخطو إلى خشبة المسرح، حقا كان لها جسد رائع الجمال طويلاً وممتلئاً، وبساقين طويلتين وجميلتين، لم تبد مثل اليابانيات ولا الغربيات.

صوتها الرخيم و لون بشرتها يذكران بجمال بنات بالي، تتمتع بتقاطيع جميلة كتلك التي تتمتع بها نساء جزر البحر الجنوبي، وتمتلك نظرة وحشية من المؤكد أنها تثير شهية ما بعد الحرب الدخيلة. كم هي اليابان بلد غريب! إذا كان الطلب موجوداً، فطريق الاستيراد موجود مهما كانت السلعة حتى وإن كان جسداً جميلاً يلبي تلك الرغبة.

«إنها تمتلك جسداً عظيماً. أليس كذلك؟ لا أعرف شيئا حول الموسيقى أو الرقص، ولست جيداً في متابعة المسرحيات، لا أتعب أبداً من التحديق بمثل ذلك الجسد. أتابع العرض تلو الآخر».

حقاً لابد من تأييد الرأي، لأن ذلك الجسد العاري نتاج فن طبيعي لا يمكن أن يمل بسهولة. لذلك كان الرجال منشدين تماماً لهذه اللوحة الفنية. حقاً، تستطيع سماع صوت سقوط الإبرة. بدأ إيوسوكي يدرك رأي الرجل، فقد ساعدته كي يدرك سبب امتلاء المسرح برجال في الأربعينيات من عمرهم من مثله. ولكن يجب ألا أفرط بمئة وخمسين يناً على شيء كهذا: فكر. أتمنى لو ذهبت لمشاهدة أحد الأفلام المعادة بدلاً من هذا.

بنيما إيوسوكي يتأمل في حال محفظته، بدأ المشهد الأخير.

عندما انتهى العرض، وقف إيوسوكي كي يغادر كما فعل معظم الآخرين، إذ لم تكن لديه الرغبة في البقاء لأجل عرض آخر.

«حسناً سأراك فيما بعد». حتى عندما كان يهم بالذهاب لم يستطع أن يتذكر من هو ذلك الرجل. «هل أنت في عجلة هكذا يا سيد نامي؟ حسناً، إذا كنت مغادراً، فسأغادر كذلك». نهض الرجل دون رغبة، وتبع إيوسوكي. نزلا درج الطوابق الأربعة، ولكن عندما خرجا من المبنى، لم يظهر عليه علامة تدل على ذهابه في طريقه، فراح إيوسوكي يشعر بقليل من الحرج.

«لا نستطيع التحدث هنا. دعنا نذهب ونجلس قليلاً». اقتاد إيوسوكي عبر الشارع، فدخلا إلى مقهى موجودة هناك منذ فترة ما قبل الحرب.

لن أدفع ثمن هذا! كان هذا كل ما فكر به إيوسوكي وهو يتبع الرجل، ويجلس معه. في العادة، لم يكن ليفكر بالمال، غير أن ظروفه المتبدلة غيرته.

«فنجانان من القهوة وقطعتان من الحلوى». قال الرجل للنادل قبل أن يستدير نحو إيوسوكي، «أريد أن أعتذر عن المرة السابقة، فأنا لم أنس كم كنت وقحاً على الرغم من ثملي في ذلك الوقت. هاك بطاقتي. نعرف بعضنا بالشكل، ولكن هذه هي المرة الأولى التي نتعرف بها إلى بعضنا جيداً». أخرج بطاقة من جيبه وقدمها إلى إيوسوكي.

عندما نظر إيوسوكي إلى البطاقة رأى اسم أسرة تكاياما، ولكنه لم يأبه كي ينظر إلى

المعلومات الأخرى الموجودة على البطاقة قبل أن يدسها في جيبه. على أية حال، بموجب اللياقة والكياسة، كان عليه أن يقدم للرجل بطاقته.

«إذاً أنت من أسرة ميناميمورا. إنه اسم قديم. أليس كذلك؟ وتعيش في شيمو زاوا؟ هذا يعني أن أقرب محطة قطار إلى منزلك هي موساشي هزامة. أليس كذلك؟ المحطة القريبة من منزلي هي ميشي أوجي– ليست بعيدة. ربما أستطيع أن أزورك في وقت ما».

«حسناً، في الوقت الحاضر، لست..».

وقع إيوسوكي في مأزق،إذ أدرك أنه بلا مأوى، فمن هذا اليوم لا يستطيع أن يستقبل زائرين ولا أن يتلقى بريداً ولا أي شيء آخر. لقد كان ذلك إدراكاً بائساً.

«مهما قلت، على أية حال، لقد سددت فاتورة حسابي في تلك الليلة. الحساب هو دين، وأنا أريد سداده. إنها طريقتي، لذلك إذا سمحت لي .».. وهو يقول تلك الكلمات فتح محفظته التي كان قد وضع فيها بطاقة إيوسوكي، فأخرج عدداً من الأوراق النقدية ذات المئة.

«لأجل أي شيء كل هذا؟»

«يجب أن تأخذها. سأشعر بالخزي إن لم أرد لك دينك». بدأ تكاياما يشرح: في إحدى الليالي في حانة أوريكي، عندما أراد أن يدفع حسابه وجد أن محفظته قد سرقت، فأدرك إيوسوكي حرجه، فدفع عنه حسابه. أخيراً تذكر إيوسوكي بصعوبة الحادثة. لقد وقعت منذ وقت طويل.

«كنت مصمماً على أن أسدد دينك». تابع تكاياما، «لذلك ذهبت إلى الحانة مرات كثيرة– على الرغم من أنها لم تكن من الحانات التي أتردد إليها عادة– إلا أنني ظننت أن أجدك هناك. في تلك الليلة، كانت أول مرة لي أذهب بها إلى هناك، ولكنني أتذكر اسم نامي، وبسبب ضخامة جسمك أتذكرك».

لو كان تكاياما زبوناً دائماً، لتعرف إليه إيوسوكي الذي يملك ذاكرة ضعيفة في تذكر الوجوه، ولكن ماذا عن الخمسمائة أو الستمائة ين الموضوعة على الطاولة أمامه؟ لو أخذها إيوسوكي لما عوضته عما أنفقه على مشاهدة عرض نيرو نيرو فقط، بل لكان باستطاعته أن يتناول وجبة سمينة في تلك الليلة واليوم التالي، ولتبقى معه بعض النقود. أن يأتيه حظ مفاجئ

هكذا في خلال ساعات من مغادرته المنزل يعني أن الآلهة ترعاه. حقاً، مثل المن الذي قد هبط عليه من السماء. لقد كان بحاجة ماسة إلى تلك النقود، فخطر له أن تخرج يده عن طورها لتلتقطها.

إلا أنه، لسبب ما، قد ترك النقود مكانها، إذ شعر بخدر كما لو كان قد تناول عقاراً منوماً. لم يكن إيوسوكي على درجة عالية من الكبرياء أو الإباء. فلو أراد شيئا، لما كبح نفسه ومنعها من الحصول عليه. إلا أنه في هذا اليوم، على خلاف جميع الأيام، قد فعل ذلك. لم يعرف السبب، إلا أنه لم يكن سهلاً عليه أخذ النقود. لابد له من البدء بحقيقة طبعه؛ فكلما دفع عن الآخرين نقوداً، لم يقصد أن يستردها. وعلى الرغم من وجود سبب جيد كي يخرق القاعدة الآن. ربما يصعب تصديق أنه لم يكترث كثيراً للنقود. على أية حال، راحت عيناه تفترسان النقود لأول مرة هذا اليوم وأدرك سبب اهتمام الناس العاديين بها هكذا.

مازال غير قادر على إجبار نفسه على التقاط النقود، «لا حاجة إلى سداد ذلك. كما تعلم». كان صوته منخفضاً، تشوبه مسحة من الحزن. «هناك حاجة» ألح تكاياما، «فكر بمشاعري. فلا أستطيع أن أدعك تدفع حسابي دون أن أسد دينك». من الواضح أن شعوره قوي تجاه ذلك.

استدار إيوسوكي جانباً حتى غدت النقود بعيدة عن أنظاره. لقد كانت لحظة عنيفة مليئة بالأسى.

«آها! هل ضايقتك؟ بالتأكيد، لم أقصد ذلك ولا أي شيء آخر. حسناً، سآخذ النقود».

جمع تكاياما النقود، وأخذها فانحنى رأس إيوسوكي.

«عوضاً عن ذلك يا سيد نامي، أريد أن أطلب منك خدمة. اتبعني إلى كاندا، فهناك مطعم صغير أعرفه. دعني أدعوك لتناول العشاء فيه، وإذا رفضت، فسأتضايق». وقف كي يغادر، ومازالت قطعتا حلوى الفراولة على الطاولة كما هما، لم تمسا. مرت سيارة الأجرة من تحت السكة الحديدية في سودوباشي، ثم تبعت خط الترام في منوماشي، كان تكاياما يرشد السائق من الكرسي الخلفي.

«انعطف عند تلك الزاوية، فالمكان هناك على جهة اليمين».

بدا المطعم مكانا عادياً بمدخله الخاص. ولم يبد أنه واحد من تلك المطاعم غير المرخصة.

ومن خلال اللافتة غير الأنيقة، بدا أنه مطعم يقدم سمك التمبورا. وبوصفه بناء أقيم بعد الحرب، غدا جذاباً ومدهشاً. اندفع تكاياما وفتح الباب، «صاحب المطعم يملك مخزناً للسمك، ولذلك السمك هنا ممتاز». قال بتصرف وكأنه خبير بالمشروبات والمأكولات. استقبلتهم رائحة السمك المقلي المنبعثة من خلف منصة البيع عند المدخل، فشعر إيوسوكي بقرقعة في معدته، إذ مر عليه وقت طويل وهو جائع. وراحت صورة قطعة الحلوى في المقهى تطارده، ولزيادة وزنه كان معرضاً للشعور بالعطش والجوع المفاجئين، ولكن صاحبتهما اليوم ريبة وشك. وكي يرضي شهيته، وجب عليه إما ألا يكترث للمال أو أن يقبل كرم تكاياما الذي لم يكن يعرفه. لم يلائمه أي من الحلين، لأنه يفضل أن يكون هو من يكرم الآخرين.

بدلاً من أن يجلس على كرسيين عند نافذة المطعم، توجه تكاياما نحو الطاولات الموجودة في الغرفة المفروشة بسجاد التتامي الياباني. حضرت امرأة بدا عليها أنها مديرة المطعم على الرغم من شبابها كي تأخذ طلبهما.

«أتمنى أن تقدمي لنا وليمة هذه الليلة». قال تكاياما لها، «إنني متأكد من أن ضيفي يتناول بسرور هذا اليوم ما يكفي عشرة أشخاص».

«أدرك ما تعني!» قالت وهي تنظر إلى ضخامة إيوسوكي، «هل أتذكرك من خلال خاتمك، إذا رأيتك في مكان ما؟» لأنه أجلس في مكان تشريف الضيوف، لم يظهر عليه السرور لما قدم له من إطراء. ظهر الآن وكأن تكاياما قد أحضر ملاكمه المفضل كي يطعمه.

قبل أن تحضر وجبة التمبورا الرئيسية، قدمت لهما بعض المقبلات الملونة من السمك المخلل والساشيمي. وضع أمام إيوسوكي طبقان من كل صنف. الكرم شيء جيد، ولكن يجب ألا يحمل ذلك نوعاً من الإهانة، لقد انتابه شعور غير مألوف، فهو لم يدرك من قبل أنه يحمل مثل هذه الخصلة من احترام الذات.

«هل هناك مشكلة إنك لم تلمس أي شيء؟» قال تكاياما وقد بدا عليه الارتباك وهو يصب الجعة لإيوسوكي، ويحثه على أن يجرب هذا الطبق أو ذاك. لم تكن هناك مشكلة لدى إيوسوكي لتقبل الكحول، ولكن لسبب ما وجد من الصعب عليه أن يتناول الطعام. لقد شعر بقبضة الإحساس بالكبرياء كتلك التي يشعر بها متسول الشارع عندما يرفض الصدقة.

ولأنه تناول الكحول على معدة فارغة، أثيرت شهيته أكثر. وليسكت جوعه راح يتناول

كأساً تلو الأخرى، فأدرك أنه قد أصبح ثملاً. إنني لن آكل. أرفض الطعام! قال ذلك لنفسه، ثم راحت عيناه تحدقان، وأصبح صوت تنفسه من أنفه يسمع بوضوح. أخيراً، وصلت وجبة السمك المكونة من أصناف عديدة؛ فجاءت على شكل كومة هائلة!

كانا قد بدأا بتناول الشراب حوالي الساعة الخامسة بعد الظهيرة، إذ لايزال ضوء النهار منتشراً. بقيا في المطعم حتى خيم الهدوء على المدينة وجاء الليل. ثم تحولا من شرب الجعة إلى شرب المشروبات الأخرى حتى ثملا، فما عادا يستطيعان تذكر كم تناولا من الشراب. سرعان ما أصبح حديث تكاياما متباطئاً، ولكنه ظل يتحدث عن أعماله بوصفه وسيطاً، وعن شكواه حول أسرته، فنصف ما قاله كان غير منطقي، ولم يمر وقت طويل حتى استلقى على الأريكة وغرق في النوم.

بدأ إيوسوكي يشعر بالسكر، ولكن لحسن حظه كانت مقاومته الكحول معقولة. فبعد تجاوزه حداً معيناً، لا يمكن أن يكون ثملاً بعده مهما شرب. كان يفضل أن يموت ثملاً، لا لينسى كل شيء، بل كي يتجرأ على تناول السمك الذي أمامه. فمنذ فقد تكاياما وعيه، فكرإيوسوكي بأن يأكل، غير أنه لم يقو على ذلك. إذ بدأت، في تلك اللحظة، تؤلمه وتطارده ذكرى أمه وهي تلومه على عاداته السيئة عند تناول الطعام. عندما نظر إلى ساعة يده، أدرك أن الوقت قد تجاوز العاشرة. ومهما كانت حالة شهيته عندها، فإن معدته قد امتلأت بالشراب.

«إيه». وخز تكاياما ليوقظه.

«دعنا نذهب إلى فوجي ميشو». همهم تكاياما قبل أن يستغرق في نومه ثانية. قرر إيوسوكي أن الوقت قد حان للمغادرة. ضغط على جرس الخدمة، فجاءت المرأة التي خدمتهما.

«أريد أن أذهب، ولكن..»..

«آه. فقد السيد تكاياما وعيه. أليس كذلك؟ لا تأبه. سنطلب سيارة أجرة لتذهب».

«في هذه الحالة أجلبي لي من فضلك فاتورة الحساب». حالما قال إيوسوكي ذلك، أدرك أنه أحمق، إذ أنزلقت الكلمات بدافع العادة.

«آه. لا يصح ذلك أبداً». قالت، «فالسيد تكاياما سيغضب منا. جاءت كلماتها أرحم من كلمات ملاك الرحمة».

خرج إيوسوكي مسرعاً، وحالما فعل ذلك تخلص من عامل الضغط النفسي الذي انتابه

وشعر بارتياح يغمره، ثم توقف ليحدق في السماء، فلاحظ أن الطقس لا يشبه طقس النهار الصافي، إذ كان الليل قد خيم، وراحت الأضواء الحمراء الساطعة في المدينة تعكس ضياءها أمام الغيوم المنخفضة. لن يمر وقت طويل الآن قبل بدء هطول مطر فصل الصيف المبكر.

ودون تفكير، هرول مسرعاً إلى محطة سودوباشي، ولكن عندما وصل إلى هناك أحجم: لا أستطيع أن أعود إلى المنزل.

إلا أنه لم يستطع أن يظل في المحطة عندما حدق في عربات القطار المتجهة إلى أوكنناميزو. استطاع أن يرى انحدار الظلام المعتم خلف السكة الحديدية، إذ بدأ الظلام وكأنه يومئ له. راحت العربات تجر فوق سطح اسمنتي. وفي الجهة المقابلة، ثمة بناء ضخم دون وجود أي ضوء داخله. لم يكن في الشارع. وبينما هو يبول على حائط إسمنتي، مر ضوء القطار المتجه غرباً من فوق رأسه. أكان متجها إلى تجيكاوا، أم إلى محطة منزل إيوسوكي هزاما؟ تسلق إيوسوكي المرتفع ببطء. في منتصف الطريق، مر بالقرب من بناء ذي طابقين من الواضح أنه قد بني بعد الحرب. هناك مصباح كتب عليه كلمة (نزل) معلق خارج البناء. جعله الضياء المنبعث من النوافذ يبدو منتجعا. هذا ما احتاج إليه: فكر. سأقيم هنا.

استدار كي يسير عبر البوابة من تحت المصباح، ولكنه توقف ثانية. مهما كان رخصه، فستكلفه تلك الليلة خمسمائة ين. حتى وإن لم يتناول الإفطار، فسيكون ذلك أكبر من المبلغ الموجود في محفظته.

من الأفضل أن أنسى هذا. تابع إيوسوكي سيره. لم يمر بجانبه أحد، وحتى عندما وصل أعلى الهضبة لم ير شيئاً سوى أضواء الشوارع.

عندما نظر من حوله، عرف أن هذه المنطقة تقع بين المنطقة المحروقة من المدينة والمنطقة التي لم تهدم. في أحد الجانبين، تقع مبان ضخمة تبدو سوداء في الليل، في حين كانت هناك باتجاه كاندا منطقة عشبية تعترضها بعض الجدران المحطمة. عندما سار إيوسوكي إلى جانب المنطقة المحروقة رأى بناء مدهشاً على يساره مطلياً باللون الأحمر، وهناك لوحة كتب عليها مكتبة النساء، معلقة بين عمودين.

إذاً، هذه مقاطعة نسوية؟

كانت الأبواب مغلقة، وهناك ضوء واحد ينبعث إلى المدخل. لا أحد يشتكي إذا اتخذ

رجل ما ذلك المكان مأوى لنفسه. صعد الدرج الحجري العريض، ثم جلس منهكاً بقرب عمود. لم يسر طويلاً، لكنه شعر بأنه قد قدم من مكان بعيد جداً.

أف! البحث عن الحرية، لن يكون سهلاً.

كانت آماله مزدهرة، عندما غادر منزله في الصباح، ولكن بعد مرور اثنتي عشرة ساعة خارت قواه. كم يستطيع البقاء على هذه الحال؟ إذا انطلقت في البحث عن الحرية، وانتهى بك الأمر للتخلي عما كان لديك من قبل، فسيكون ذلك عبارة عن تجربة عابثة. حتى وإن كان أفضل من عبد لدى كوماكو، فسيكون من الأفضل له أن يعود إليها.

كل ما علي فعله هو أن أعتذر لها، وهي ستسامحني: فكر. من خلال الحكم على انفعالاتها، أرى أنها لم تغضب مني. ربما تظاهر إيوسوكي بعدم التأثر، ولكن في حقيقة الأمر كان يعرف طباع كوماكو ومزاجها جيداً، على الرغم من ندرة صفحه عن ذلك.

كان السؤال الأول هو: هل يذهب اليوم أم غداً؟ إذا تعجل، فسيستطيع أن يلحق بآخر قطار متجه إلى هزاما. أما السؤال الثاني فقد كان: إذا قطع كل هذه المسافة إلى منزله، فهل ستستقبله كوماكو؟ كان الطقس على قدر كاف من الدفء لانتشار البعوض، وإذا قضى ليلته دون مأوى في تلك المنطقة الريفية فسيؤكل حياً. لو عاد الأمر له في إيجاد مأوى يقضي فيه ليلته، لكانت المدينة أكثر أمناً له، و لو قدم كفارة لليلة واحدة، وقال إنه تعلم درسه، فلربما كان ذلك كافياً كي يطفئ غضب كوماكو.

لذلك قرر قضاء ليلته إلى جانب العمود الإسمنتي. على أية حال، سرعان ما وجد أن الأرض الإسمنتية غير مريحة أيضاً، وعلاوة على ذلك عندما وجد أن سجائره قد نفدت، غدا أكثر رغبة في التدخين، وانتابه شك في مقدرته على النوم.

بينما الليلة تمر، استلقى إيوسوكي مستنداً إلى العمود الحجري، ولكنه لم يستطع النوم. لم يعلم كم مضى عليه من الوقت عندما سمع صوت أقدام خافت. في الجهة المقابلة من المكتبة، كان ثمة حطام، وأيضاً هناك جدار حجري ومدخل دون باب، وكل ما في الوراء سواد بسواد. ظهر من وسط الظلام شخصان، شخص يرتدي بزة وامرأة. لم يكن الرجل يرتدي قبعة، وكان يحمل حقيبة يدوية، عندما ظهر عند البوابة، من الواضح أنه كان يمسح المنطقة بنظره. بعد أن تأكد أنه لم يكن هناك أحد، أشار للمرأة التي كانت في الداخل فجاءت

عبر البوابة حذرة كي لا يسمع صوت حذائها. بدا عليها وكأنها عاملة مكتب أو بائعة في حانوت. عندما وجدا نفسيهما وحيدين، تعانقا حتى ظهرا وكأنهما شخص واحد. كانا قد ألفا آخر طرق العشاق كأي شخص غربي. دامت لحظتهما غير المنتهية مدة من الزمن قبل أن يفترقا أخيراً.

«إذن، إلى الغد». قال الرجل.

«نعم، غداً». أجابت المرأة. بهذا استدار الرجل وسار مسرعاً باتجاه محطة سيدوباشي، في حين أسرعت المرأة باتجاه سوروكاداي، وراح صوت صدى خطواتها القصيرة يسمع في الظلام.

إنهما شابان! كان إيوسوكي يميز مثل هؤلاء العشاق منذ أن عمل في منطقة مارونوتشي، حيث كان يضرب عمال المكاتب مواعيدهم في ساحة القصر الإمبراطوري. بدلاً من أن يجعله ذلك المشهد يفكر في انحطاط الأخلاق الجنسية الذي غدا موضوعاً رئيساً للنقاشات منذ نهاية الحرب، فقد حرك في داخله مشاعر العطف، لأنه أدرك من تجربته في ذلك المساء معنى العجز عن قضاء ليلة في النزل المجاور. لا شك أن الشابين يعملان في منطقة كاندا، ولكن لم يكن لديهما من الوقت إلا القليل. لقد تعين على كثير من العشاق أن يمارسوا حبهم في المناطق المدمرة من المدينة، إذ شكلوا مناظر تثير الشفقة، فهم كقطط الشوارع في فصل الربيع.

لكن لدى إيوسوكي أمراً أكثر أهمية، فحتى يظل على قيد الحياة في تلك الليلة وجب عليه أن يجد مكاناً آخر أكثر راحة، لاسيما أن الشابين قد قدما له إشارة قيمة. مستنداً إلى شجاعته، ذهب من خلال البوابة. في الداخل، ثمة بناء صغير ومكان عشبي يقود إلى منحدر شديد. وفي كل هذا، لابد له أن يجد مكاناً منعزلاً يرتاح فيه.

عندما دس يده في جيبه، وجد أن قداحته لاتزال هناك. بعد أن استطلع المكان مستعيناً بلهب قداحته، وجد في الأرض فتحة تقود إلى ملجأ حربي إسمنتي فدخل فيه.

حقاً، لقد كان اكتشافاً قيماً! إذ كانت الأرض جافة، وحتى كانت هناك حصيرة من القش. بعد أن أطفأ قداحته اضطجع إيوسوكي على الحصيرة. كان عطر خفيف يفوح في الهواء، فلا شك أنه كان عطر تلك المرأة التي كانت هناك. خبا تفكير إيوسوكي، فغرق في النوم.

«ماهي معضلتك؟ لقد حان الوقت للذهاب». كانت تهزه كوماكو ليستيقظ.

«آه. دعيني أنام. لقد تخليت عن عملي».

«ماذا تقول؟ هيا استيقظ! بسرعة!»

كانت بالتأكيد قاسية. اهتز جسد إيوسوكي اهتزاز البارجة في البحر، ولكي يسوء أمره أكثر، جر رأسه إلى الأعلى من شعره.

«إنك قاسية أكثر مما ينبغي». أحتج، ولكن عندما فتح عينيه لم ير إلا الظلام، وكانت تفوح رائحة الأرض.

«ماذا تعني بكلمة قاسية!» ارتفع صوت رجل في الظلام، «من أنت حتى تدخل وتأخذ مكان رجل دون إذن؟» كان الصوت قريباً منه ومصحوباً برائحة بشعة جداً.

لم يدرك إيوسوكي ماذا كان يحدث، ولكن بعد لحظات اتضحت الفكرة في رأسه، فأدرك أن مربع الضوء هو مدخل الملجأ. إذاً، أنت من كان يعبث بمكاني، وكلما عدت كنت أجد قمامة تركت هناك. أليس لديك إحساس بما هو صحيح؟»

«أنا آسف». أجاب إيوسوكي بهدوء شديد. مازال رأسه مثقلاً بما طرأ عليه فجأة، ولكن بدا واضحاً أن ذلك الملجأ كان مأوى لشخص ما، وأن ذلك الشخص قد عاد في الليل ليجد غريباً ينام في مكانه. على أية حال، لم يعلم إيوسوكي من كان يعبث بمكان ذلك الرجل.

«أعيش هنا منذ ثلاثة أشهر، فقط اسأل من هم بالجوار. يعلمون جميعاً أن هذا المكان مكاني. إنك أحد أولئك الذين دون مأوى؟ من أين أتيت؟ أنت أحد أولئك البذيئين من نوغامي؟»

«آسف!»

فكر إيوسوكي في أنه وجب عليه على الأقل أن يعتذر، ثم طأطأ رأسه في الظلام.

انظر الآن في ما أدخل نفسه. لقد أطلق زفرة على الرغم منه. حقوق الملكية! شخص ما قد حدد لنفسه مكاناً مثل هذا، وكان مستعداً للدفاع عنه. شعر إيوسوكي بأن معظم معضلات المجتمع تنبع من حق الملكية التي كان الجميع شديدي الحساسية تجاهها، فراحوا يحمونها بمثل هذه القوة. عبارة حق التملك جعلته يشعر بالتقيؤ.

«إذا كنت آسفاً، فلابد لك أن تنصرف إذن؟»

«نعم!»

«إذن، اخرج». أصيب إيوسوكي بصدمة! إذ لم يخطر له أن يسمع الكلمات ذاتها في اليوم ذاته. على الرغم من أنه لم ير الرجل، ولكن من خلال صوته استطاع أن يحكم عليه أنه رجل مسن.

«لا تقل هذا من فضلك». استعطف، «لقد طردت من منزلي، وأنا أحتاج إلى مكان أقيم فيه».

«طردت من قبل من؟»

«زوجتي». بدأت السماء تبرق، فتجنب إيوسوكي أن يدفع به تحت المطر، وسيكون محظوظاً إن قضى ليلته في ملجأ دافئ جاف. حالما قال إيوسوكي إن زوجته قد طردته، تغير موقف الرجل، فلم يترك إيوسوكي يبقى فقط، بل قدم له السجائر التي كان يتوق إليها، ومقابل ذلك تعين عليه أن يصغي إلى نقد الرجل المسن اللاذع للنساء عامة والزوجات خاصة. على أية حال، لقد كان ذلك الثمن الذي تعين عليه دفعه وتحمله.

«لا تستطيع أن تكون لطيفاً أكثر مما ينبغي مع النساء. جميعهن لصات بلا شك. كل ما يفعلنه الأخذ ... الأخذ ... الأخذ. لا يعرفن أبداً كيف يعطين». تابع حديثه حتى أعلن، «ها هو الفجر قد طلع. لقد قضينا ليلتنا ونحن نتحدث».

كان الرجل أيضاً يعاني صعوبات مع زوجته. حالما بدأ ضوء النهار يدخل الملجأ، حدق الاثنان في بعضهما باستغراب. جلس أمام إيوسوكي شحاذ يناهز الستين من عمره، ويرتدي ثياباً رثة وقديمة. دهش إيوسوكي لمظهر مضيفه الرث، ولكن الأخير بدا أكثر دهشة عندما تبين أن الصوت الذي كان يتحدث إليه بلطف شديد، كان لرجل ضخم جداً، ويرتدي بزة جيدة.

تحول حديث الرجل من نبرة ازدراء إلى نبرة احترام. «تفضل ياسيدي». قال الرجل المسن وهو يقدم علبة فيها سجائر استهلك نصف كل منها. كان إيوسوكي قد قبل بعضها خلال الليل، وعلى الرغم من دهشته بها، لم يشعر بالاشمئزاز منها. ربما نشأ ضمن طبقة اجتماعية عالية، ولكن لم يكن الاشمئزاز من طبعه، فشكر الرجل المسن بأدب.

عندما اختار أطول سيجارة، تبين له أنها أجنبية الصنع، «إذن، هذا ما تفعل؟» سأل وهو

يرفع السيجارة. لقد كان من الممكن الحصول على بعض النقود من خلال إعادة لف السجائر المستهلكة.

«بالتأكيد، أفعل ذلك أيضاً، ولكنني لست صعب المزاج. ألتقط الأشياء من النفايات، فآخذ كل شيء. لقد حان الوقت للذهاب إلى العمل. لم أنم قط، ولكن هذا حسن. يجب علي أن أذهب إلى الشوارع قبل أن يستيقظ الناس، وإلا لن يبقى أي شيء هناك!» خرج من الملجأ وهو يقول ذلك، فلحق به إيوسوكي. اغتسل الرجل كما يفعل الجميع في بيوتهم. أزال بعض الأعشاب الضارة ثم أزاح حجراً جانباً ليكشف عن نهاية أنبوب ماء مكسور، كان يخرج منه الماء. استخدم الماء ليغسل وجهه بحذر وتمضمض، ثم توجه نحو جهة الشرق وصفق بيديه مرتين مؤدياً صلاة الصباح تحت سماء ملبدة بالغيوم.

«إذن، ماذا ستفعل؟» سأل إيوسوكي، الذي كان يغسل وجهه مقلداً الرجل.

«إن أحببت يمكنك أن تظل نائماً هنا».

«شكراً» قال إيوسوكي، ولكنني أفكر إن كان باستطاعتي أن أذهب إلى المنزل، فأسوي الأمر مع زوجتي».

«هل أنت متيقن من أنك تريد فعل ذلك؟ حسناً، إن هذا شأنك. إذن، وداعاً».

بينما إيوسوكي يراقب الرجل وهو يسير في المنحدر، شعر بأنه قد وجد صديقاً.

لماذا ينبغي لذلك أن يحدث؟ هل شعر بأنه مدين للإقامة، على الرغم من أنه لم يتلق سوى السجائر عوضاً عن الطعام؟ أم أن إيوسوكي قد وجد روحاً مماثلة لروحه تشتركان في تجربة مماثلة لزوجات سليطات؟ لقد كان هناك شيء آخر جذب إيوسوكي نحو الرجل المسن وحياته البسيطة الخالية من الأعباء.

ماذا سأفعل الآن؟ سأل نفسه فقط عندما وصل محطة سيدوباشي. مازال الشراب يملأ معدته من ليلة البارحة، لذلك لم تكن لديه رغبة في الطعام. لو شعر بالجوع، لاجتذبته رائحة حساء كوماكو وأرزها الساخن إلى منزله. على الرغم من ذلك، حتى هذه اللحظة يبدو أن الوقت مازال مبكراً كي يعود.

على الأرجح ما أراده إيوسوكي هو النوم. ولأنه كان يبحث عن مكان ينام فيه، ركب القطار المتجه إلى محطة شينانوماشي التي كانت بطاقته تسمح بالوصول إليها. سيذهب إلى

معبد ميجي. في خلال الأسابيع التي كان يتظاهر بها بالذهاب إلى العمل، عرف أن الحديقة الخارجية هناك مكان جيد ليقضي الوقت فيها.

مازال الوقت مبكراً، لذلك يقطع جميع من كانوا هناك من العاملين طريقهم إلى العمل. إن سرعتهم ووجهتهم تختلفان عن سرعة إيوسوكي ووجهته. عندما أدرك أنه غير موظف شعر بالغرابة وفي الوقت ذاته بالفضول، كأنه قد دخل بعداً جديداً.

سار خلف بناء عرض لوحات الرسم. لم يكن أحد هناك، وازدحام الأشجار بأوراقها الكثة تحت السماء الملبدة بالغيوم حول المكان إلى عالم مختلف. جلس إيوسوكي يتمطى على كرسي طويل.

سأنام قليلاً ثم سيحين وقت ذهابي إلى المنزل. بعد أن وضع قبعته فوق وجهه، غرق في النوم مباشرة. لم يكن متأكداً من الوقت الذي قضاه وهو نائم، ولكنه حلم بكوماكو وهي تعتذر إليه. «كل شيء حدث كان بسببي». كانت تقول، «إنني آسف لما قلته لحظة مغادرتك المنزل. ليس الزواج مسألة توازن قوى ولكنه مسألة تآلف. ألا تؤيدني الرأي؟ ليس المهم أن نغني معاً ولكن المهم أن نغني في وقت واحد. أليس كذلك؟ من الآن فصاعداً سأتغير، وأعدك بأن أعتني بك جيداً!»

«لا ينبغي لك أن تذهبي إلى هذا الحد». كان يقول، ولكن عندها استيقظ.

يبدو أنه قد نام مدة طويلة، ولكن بسبب الغيوم لم يستطع أن يدرك كم من الوقت قد مضى وهو نائم. عندما تطلع حوله، رأى رجلا وامرأة في منتصف عمرهما، من الواضح أنهما كانا في رحلة إلى طوكيو، وكانا يجلسان على كرسي طويل بالقرب من كرسيه، ويستمتعان بأكل الحلوى، كما رأى اثنين أكثر شباباً. ربما كانا طالبين منهمكين بنقاش يجلسان تحت شجرة ضخمة، وقد مد كل منهما ساقيه. أكان الوقت ظهراً، أم بعد الظهيرة؟

لابد أن يكون وقت الذهاب إلى المنزل قد حان، هذا ما قرر عندما نظر إلى معصمه ليتبين الوقت، أدرك أن ساعته قد سرقت وكذلك قبعته التي تغطي وجهه. بحث عنهما مضطرباً حول المقعد، ولكن لم يكن هناك أثر لقبعة أو ساعة. بحث كذلك عن محفظة جيبه الجلدية داخل سترته، ولكن تلك أيضا كانت قد سرقت. لم يبق لديه سوى قداحته التي كانت في جيب بنطاله.

لقد سرقت! يجب أن تبقى دائماً محترساً! لقد فقد إيوسوكي كل نقوده وبطاقة القطار وساعته وقبعته ... كل شيء.

كانت قبعته تحمل ماركة بورسلينو، وكان قد اشتراها قبل الحرب. كانت قديمة وبالية، ولذا لم تشكل خسارة كبيرة. ما صعب عليه تقبله هو فقدان ساعة فاشارون، الماركة الشهيرة عالمياً، وهي تذكار من سويسرا، إذ قدمها عم له يعمل في السلك الدبلوماسي. تعلم كوماكو أيضاً كم كانت هذه الساعة قيمة وثمينة بالنسبة له؛ فحتى وبعد هزيمة اليابان، وعندما مرا بأوقات عصيبة باعا في خلالها كثيراً من السلع القيمة، لم تقبل أن تبيع تلك الساعة.

الآن انتهى أمري. شعر إيوسكوي وكأن أبواب القدر قد سدت في وجهه.

يبدو أن كوماكو، التي كانت تبتسم له في حلمه، قد كشرت عن أنيابها وانتصب شعرها فوق رأسها. كانت مستعدة كي تنقض عليه بغضب. لا أعذار يمكن أن تهدئ من روعها الآن. لا يمكن لأي طريقة تقنعها بأنه قد أضاع ساعته الثمينة بهذه الطريقة البسيطة. ستكون متيقنة من أنه قد ثمل وانتهى به الأمر في مكان ذي سمعة سيئة، فأجبر على سداد الحساب برهن ساعته. يعلم أنها كانت ترمي من وراء خطتها بإعطائه ثلاثمئة ين لبضعة أيام هو أن تبقيه تحت مراقبتها. لقد كانت نقوداً كافية للذهاب لتناول الشراب، ولكن ليس لارتكاب الحماقات مع النساء. ذلك قد حدث في اليوم التالي لمغادرته لها، سيكون أكثر صعوبة بالنسبة لها أن تقبل اعتذاره لها! لا يمكن لي أبداً أن أذهب إلى البيت الآن.

لقد أصيب باكتئاب نتيجة الصراخ الذي تخيله الرجل الضخم ذو القلب الصغير، لم يشعر باختلاف عن طفل يذهب ليشتري أشياء لزوجة والده ولكنه أضاع نقوده، وتوجب عليه مواجهة غضبها. لقد سرقت بطاقة القطار، ولم يبق معه نقود يشتري بها بطاقة أخرى، ما يعني أنه لا يوجد أمامه طريقة يذهب بها إلى المنزل حتى لو أراد ذلك.

قضى إيوسوكي جل يومه في الحديقة الخارجية، ثم انتقل إلى المنطقة المقابلة للمسبح العام وحلبة مصارعة السومو، ولكنه بقي ضمن الحديقة العامة. سبب تنقله من مكان إلى آخر هو البقاء بالقرب نوافير الماء، إذ كان بحاجة إلى شرب كثير من الماء، ليس ليتخلص من سكره فقط، ولكن ليملأ معدته أيضاً؟

حالما تخلص جسمه من الكحول، اشتد به الجوع، فرجل ذو جسد بهذا الحجم لابد أن

يكون لديه شهية توازيه، لاسيما أنه لم يأكل منذ إفطار اليوم السابق شيئاً قط. لقد سبب له الجوع نوعاً من الدوار. بدا مكان وجوده وما يقوم به مثل الحلم.

قبل أن يمضي وقت طويل، غربت الشمس فغادر الحديقة الخارجية.

مرت به قطارات وشاحنات وشوارع وجسور وكأنها خيالات. فجأة وجد نفسه أمام الملجأ الذي قضى به الليلة السابقة. كان الرجل المسن يجلس أمام ذلك الملجأ.

«عرفت أنك ستعود، لذا، كنت بانتظارك. دعنا الآن نأكل».

الفصل الثامن
طريقة جامع النفايات

مرت خمسة أيام منذ أن أصبح إيوسوكي ضيف الرجل المسن– ذلك بما يتعلق بالطعام– إذ لم يكلف الرجل أي شيء آخر. ولم تتطلب طريقة الحياة طاولة أو فراشاً أو وسائل راحة أخرى. ومع العلم أن الرجل المسن ادعى أنه شخصياً يملك الملجأ، إلا أنه لا يمكن القول إن المكان قد أصبح حقاً ملكاً له.

تكون الطعام الذي تناولاه، بصورة رئيسية، من خبز دقيق القمح الذي عجن وخبز حتى الاحتراق. لقد بات واضحاً أنه كان يباع في مكان ما.

«تفضل». كان الرجل المسن يقول كلما أخرج من جيبه عدداً من قطع الخبز الملفوفة بصحيفة. يجلب تلك القطع لإيوسوكي، بعد أن يكون قد تناول الطعام سلفاً.

كانت القطع قاسية، ولو مضغتها ببطء لوجدت طعمها سيئاً. بعد تناوله قطعتين منها وشرب بعض الماء بعدها من الأنبوب في الخارج، غالباً ما شعر إيوسوكي أنه قد تناول وجبة كاملة.

فاجأه الرجل المسن مرة، عندما أخرج له قطعة كبيرة من الجبن الهولندي–الفاسد قليلاً، غير أنها كانت صالحة للأكل، على الرغم من ذلك.

«بالطبع لم أشترها! إنني ألتقط الأشياء كما تعرف».

وتابع «لقد صودرت بعض البيوت والفنادق في المنطقة من قوات الاحتلال، وفي تلك الأمكنة أشياء كثيرة يمكن أن تباع. ما تبقى من العلب والزجاجات الفارغة وفي بعض الأحيان بعض الثياب والأحذية المستخدمة. يمكنك أن تجد أي شيء بين القمامة هناك». أعطى ذلك الحديث إيوسوكي فكرة جيدة عن مصدر قطعة الجبن تلك، ولكنه قرر ألا يفكر في ذلك كثيراً.

وفي خلال تجواله اليومي، يجمع الرجل المسن كثيراً من الأشياء المختلفة، ولكنه يجلب

معه إلى الملجأ الطعام والسجائر فقط. فمن الواضح أنه ثمة مكان يستطيع فيه أن يبيع تلك الأشياء. أولئك الذين يقومون بالعمل ذاته يقيمون في حفر على الهضبة، قال مرة. واستطاع إيوسوكي أن يتيقن من ذلك عندما قصد مرة منطقة نائية لقضاء حاجته في صباح أحد الأيام. وجد كل زاوية من تلك المنطقة الخالية مستخدمة لهذا الهدف. والرجل المسن قد ألقى محاضرة على إيوسوكي كي يغطي كل شيء بالتراب، ولا يفعل ذلك إلا في الصباح الباكر أو في المساء. يدرك الرجل المسن أهمية النظافة، والحاجة إلى تجنب تذمر الجيران. هطل المطر في اليوم الثالث، فقضى الرجل المسن طوال فترة الظهيرة بصحبة إيوسوكي في الملجأ.

«في حقيقة الأمر، إنني أملك منزلاً حقيقياً». قال بتباه، «ولكنني جئت هنا منذ ثلاثة أشهر. سيكون ذلك المنزل فارغا في أحد الأيام وسآخذك لنعيش هناك. لسنا زواحف ولا ينبغي لنا أن نعيش في كهف إلى الأبد». هذا التصريح بامتلاك منزل .. جعل إيوسوكي يستنتج أن الرجل المسن لم يكن دائماً متشرداً، فحتى على الرغم من لجوئه إلى هذه المهنة الرديئة، مازال يحتفظ ببعض الوقار. لقد صدرت منه بعض الجمل الغريبة، والعالم الذي نشأ فيه كان مختلفاً عن عالم أهل المدينة. في الأيام الخمسة التي قضاها إيوسوكي هناك، لم يسأله الرجل المسن عن اسمه، ولم يذكر اسمه هو. لم يسأل إيوسوكي عن نيته في ما سيفعل، ولم يبد منه ما يوحي بأن إيوسوكي كان مديناً له لما تناوله معه من طعام.

وبمرور الأيام، أخذ عالم الحياة الزوجية والمنزلية يتلاشى. لم يكن هذا لأن إيوسوكي قد توقف عن التفكير بها، فرغبته في العودة ليملأ معدته ويقضي ليلة ينام فيها على فرشة مريحة لم تكن بعيدة عن تفكيره، إلا أن سبب ذلك يعود إلى أن أمله بالترحيب به إذا عاد إلى منزله قد راح يخبو كل يوم. بدأت صعوبة اعتذاره لكوماكو تزداد كل يوم. ولابد أن يكون من الصعب على جيل ما بعد الحرب أن يتفهم كيف يفكر أو يشعر صاحب قلب ضعيف، مثل إيوسوكي.

ما حرمه حقا العودة إلى المنزل هو شعوره بأنه ملتزم تجاه الرجل المسن. لم يشعر بالذنب لما كانت كوماكو تكسبه دخلاً إضافياً للمنزل، ولكنه راح يشعر بالخجل من الرجل المسن لما كان يقدمه له من وجبتين أو ثلاث في اليوم. أخيراً، في صباح اليوم الخامس لم يعد يقدر على احتمال ذلك.

«دعني أعمل كذلك». قال.

«تعمل؟ ما هو العمل الذي تستطيع القيام به؟»

«أستطيع أن آتي معك. أساعدك في التقاط الأشياء».

«إنه ليس عملاً سهلاً على من لم يعتده». بدا الرجل المسن غير آبه، «ولكنني أعتقد أنك تستطيع أن تحمل بعض الأشياء. حسناً تعال إذاً».

ولكن عندما حان وقت الذهاب، ظهرت مشكلة. فعلى الرغم من عدم امتلاك إيوسوكي قبعة، إلا أن نوعية البزة الممتازة التي كان يرتديها لا تناسب عمل جامع النفايات. تعين عليه أن يظهر في المظهر المناسب.

«لسبب ما، لا أعتقد أنك تناسب هذه المهنة». تنهد الرجل المسن هازاً رأسه. في آخر الأمر، جعل إيوسوكي يخلع سترته وقميصه، ويخفيها تحت صخرة خلف الملجأ. بقميصه الداخلي المتسخ وبنطاله الملطخ بالطين، بدأ إيوسوكي شخصاً قد ساء حظه، ولكن سيرهما جنباً إلى جنب أعطى انطباعاً عن حارس يقتاد سارقاً مسناً إلى الزنزانة.

كان الصباح باكراً والمدينة مازالت نائمة. من ميساجيتو إلى جمبوتجو ثم سوروجاداي، سلك الرجل المسن طريقه المعتاد كما يفعل صياد السمك وهو يتحرك على شاطئ النهر الذي اعتاده، وعندما يصل نقطة جيدة لصيد السمك يقف عندها. هناك عند الأبواب المغلقة لدور نشر كبيرة وصغيرة، توجد أكوام من العلب الخشبية والحصائر والحبال وورق التغليف وإلى آخره. كان يجمعها بسرعة ويدخلها في كيس قماش كان يحمله إيوسوكي.

«منذ عام ونصف كنت أجمع ضعف هذا، وفي بعض الأحيان ثلاثة أضعاف» قال. لابد أن يكون بيع الكتب ضعيفاً هذه الأيام.

بينما يصعدان المنحدر في سوروجاداي، انحرف اهتمامه نحو أعقاب السجائر. أولئك الذين يرتبط عملهم بقوات الاحتلال كانوا يستخدمون هذا الشارع، قال. لذلك يمكن أن توجد بعض السجائر ذات النوعية الجيدة. بموجب ما قاله الرجل المسن، فإن أولئك المختصين بالتقاط أعقاب السجائر يستخدمون ملاقط، ولكنه لم يكن لديه واحد منها. ربما يلتقط بعضها أحياناً ولكن عمله جمع الأشياء من بين القمامة، واحترامه لأصحاب الاختصاص جعلاه يتجنب الملقط. اختصاص آخر لمسح الأرض لأجل الأشياء القيمة، وهذا ما كان يفعله الرجل

المسن أيضاً. لقد أخبر إيوسوكي مرة أن جمع الأشياء في الفترة التي سبقت الحرب كان موزعاً بدقة، إذ كان المختصون بجمع شيء يتجنبون التطفل على عمل الآخرين. لقد كان هناك نظام يتقيد به الجميع.

«يا لها من أيام، تلك الأيام الخوالي!». هكذا رافق إيوسوكي الرجل المسن بوصفه مساعده. كل ما تعين عليه فعله هو حمل الكيس الضخم، فلم يكن عملاً صعباً. لأن الشوارع خالية في تلك الساعة، ولم يكن من الناس مستيقظ إلا رجال الشرطة. لم يشعر بالخجل أو الارتباك.

على أية حال، بينما ينحدران أمام جامعة ميجي، ويقتربان من فندق يقيم فيه بعض ضباط الاحتلال، تحدث الرجل المسن إليه بقوة. «انتبه! ألا ترى تلك السيجارة عند قدمك!»

عند الزاوية، كانت هناك سيجارة، لم يستهلك منها إلا ثلثها»، بسرعة التقطها! ماذا تنتظر؟» ولكن لم يستطع إيوسوكي. انتابه اشمئزاز مبهم، فما تحركت يده.

رأى كثيراً من الناس يلتقطون أعقاب السجائر في كل مكان، ولم يشعر بالاشمئزاز من ذلك، ولكن عندما طلب منه أن يفعل ذلك، تسمر فجأة. أكان ذلك نتيجة وعيه بالطبقة الاجتماعية التي ولد فيها؟ فعلى الرغم من فقر حاله منذ نهاية الحرب، إلا أن التقاط تلك السيجارة من على الأرض لأول مرة في حياته، أوجد في داخله حاجزاً نفسياً.

شحب وجه إيوسوكي لحظة بدأ يعاني صراعاً بين مقاومة جسده وأوامر ذهنه الأخلاقية.

يجب علي فعل ذلك مهما كلفني الأمر، قال لنفسه.

لقد أبقاه الرجل المسن على قيد الحياة طوال الأيام الخمسة الماضية، فكان إيوسوكي مديناً له إلى أبعد حد. لقد التقط الرجل المسن كل شيء وأي شيء، أما إيوسوكي فلم يستطع أن يلتقط عقب سيجارة واحدة. وإن لم يقدر على فعل ذلك، فسيبرهن على أنه جبان، وسيكون ذلك إهانة للرجل المسن الطيب.

واحد، اثنان، ثلاثة!

حالما أدار رأسه إلى إحدى الجهات، كان قد وصل السيجارة، فدسها في جيبه، تماماً كما شاهد الرجل المسن يفعل. ما دام فعلها مرة واحدة فما عادت تشكل نهاية الكون. تماماً كأي شيء آخر، إذ المرة الأولى كانت هي الأصعب، وبالنسبة لإيوسوكي أي شيء لأول مرة دائماً هو الأصعب. ربما كان يمتلك بعض المواهب، ولكنه يتمتع بطبيعة سهلة، وبينما واصلا

نزولهما من على المنحدر، كان إيوسوكي قد التقط العقب الثاني دون أي تحريض.

شكل ذلك العقب الأول نقطة تحول لدى إيوسوكي. في ذات اليوم، جمع المتشرد المسن، بمساعدة ظهر الحصان القوي، ضعف ما كان يجمعه عادة، وعندما اقتربا من محطة أوكنناميزو، استدار نحو إيوسوكي، «سأذهب وأتولى أمر هذه الأشياء. أما أنت، فارجع وسأجلب لك اليوم بعض الأرز الأبيض الشهي». لقد كان رجلاً وفياً بعهده، فبعد ساعة فقط جاء إلى الملجأ وهو يحمل طبقاً كبيراً من الأرز الأبيض المطبوخ على البخار والمغلف بالورق.

يا إلهي كم كان هذا لذيذ الطعم! وقد كانت وجبة ساهم فيها إيوسوكي. منذ ذلك اليوم فصاعداً راح إيوسوكي يرافق الرجل المسن إلى العمل كل صباح. منذ أن جرت الأحداث هكذا، فكر إيوسوكي، بتقبل ذلك الوضع أيضاً. سيتعود هذه الطريقة من الحياة. في ذلك الوقت، بدأ يشعر ببعض الانجذاب إلى عمل التقاط النفايات. على أية حال، كان لديه بعض التحفظات، لكن لم يجد بأساً في التقاط أعقاب السجائر. في نهاية المطاف، لقد كان الواحد يلتقط ما يرميه الآخرون، إلا أنه تساءل إن كان أخذ تلك الأشياء قانونياً، كالعلب الخشبية وحصائر القش وأشياء أخرى كانت توضع أمام المحلات التجارية.

«أليس ذلك ما يمكن أن تدعوه...» بدأ يتسم للرجل المسن مستاء، وهو يبحث عن الكلمة المناسبة، «السرقة؟»

«لا تكن أحمق!» رد عليه الرجل المسن، «إننا لا نرتكب أي خطأ! ما يترك في الشارع لا يخص أحداً. إنه ملقى هناك فالناس الذين يتركون الأشياء في الشارع يتوقعون أن يأخذها أحد».

باختصار، دار جدل الرجل المسن حول ملكية الناس الخاصة، فما يعدونه ذا قيمة يحتفظون به داخل منازلهم. لم يكن استنتاجه هذا اعتباطياً، كما جرت العادة في ذلك الوقت. إن ترك شيء في الطريق يعني أن ملكيته مبهمة، مما شكل قاعدة لتجارة جامعي النفايات. ألم يكن دليلاً كافياً عدم إخبار المالكين الشرطة بعد ملاحظتهم اختفاء الأشياء؟ حتى وإن صدف أن أمسك بجامع النفايات متلبساً، فأسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن يصرخ في وجهه. ثمة اتفاق ضمني لدى المجتمع على الاعتراف بدور جامع النفايات الذي يختلف تماماً عن السرقة.

«هذا مقنع!» قال إيوسوكي، «ربما لم يكن العالم قاسياً كما ظننته».

ابتهج إيوسوكي لاكتشافه هذه الحرية وسط الصخب الخانق للحياة في طوكيو، إذ جاء ذلك مدهشاً. كان قد سمع بمثل هذا التوجه في بلدان أخرى كبيرة؛ ففي الصين لو سرق شيء من أحد، لاعتبر ذلك خطأ المالك الذي لم يقم بحمايته جيداً. وفي فرنسا إذا ارتكبت الزوجة الزنى، اعتبر ذلك خطأ الزوج لأنه لم يكن عاشقاً أفضل. لقد شكل ذلك مصدر ارتياح له؛ إذ وجد حتى ضمن هذا المجتمع المحدود بتفكيره أن رياح الحرية تهب ببعض الأماكن. لقد بعث ذلك فيه شعوراً بالارتياح ونوعاً من الكبرياء.

بعد التفكير ملياً وجد إيوسوكي نفسه منجذباً إلى مهنة تجارة النفايات، وخصوصاً بعد غياب عبء الملكية. لقد راح يفكر بالقيام بالعمل بنفسه إلا أن ثيابه لم تكن مناسبة، فإن لم يظهر بالمظهر المناسب، يؤثر ذلك في القيام بالعمل. ينبغي للرجل أن يرتدي، لكل جانب من جوانب الحياة، الثياب المناسبة. إذا أراد أن يغدو جامع نفايات، فلابد أن يظهر كما يظهر الرجل المسن، ولكن حتى أسوأ الثياب تحتاج إلى نقود.

«لماذا لا تبيع بزتك هذه؟» اقترح الرجل المسن، «عندها تستطيع أن تشتري ثياب عمل، وتحصل على بعض النقود من خلال هذه الصفقة». كان الرجل المسن يهم بزيارة إلى أحد الأصدقاء الذين بوسعهم شراء الأشياء، كي يبيعه بزة إيوسوكي، عندما حدث شيء غير متوقع.

«أولاً» قال بنبرة الخبير، «يجب أن ننظر إلى السترة كي يمكننا تخمين ما سنحصل عليه مقابلها». أخرج السترة إلى الضوء وراح يتفحصها بعناية. كان القماش جيداً، كما قيمها، ولكن القياس الكبير سيشكل عيباً»، ولربما كان أفضل من أن يكون قياساً صغيراً»، قال الرجل المسن لنفسه، «يجب أن تجلب لنا سبعمئة أو ثمانمئة ين».

فتش جميع جيوبها، وأخرج محتوياتها، إذ كانت هناك قداحة سجائر وقد فرغت من وقودها، والبطاقة التي تحمل اسم تكاياما ومنديل قذر. كانت تلك جميع محتويات جيوبه، فمن الصعب أن يتوقع أحد وجود شيء ذي قيمة.

«هاه. ماهذا؟» صرخ الرجل المسن فجأة. أخرج الرجل المسن من جيب صغير ورقة نقدية مجعدة جداً، «انظر إلى هذه. إنها كبيرة». تحشرج صوت الرجل المسن عندما رأى قطعة نقدية ذات ألف ين في يده.

لم يعرف إيوسوكي كيف وصلت النقود إلى هناك. لابد أنه قد أخذها من مغلف تعويضات عمله، ثم دسها في جيبه عندما خرج لتناول الشراب. لقد نسيها تماما. كانت عادة كوماكو أن تفتش جيوب زوجها، ولكن لم يخطر لها أن تبحث في الجيب الصغير الذي توضع فيه البطاقات.

«أي نوع من الرجال أنت؟ تحمل نقوداً دون أن تعرف عنها شيئاً». راح الرجل يلقي محاضرته، «لا عجب أن طردتك زوجتك!»

تابع الرجل المسن وهو يسوي الورقة النقدية «لا حاجة لك الآن إلى بيع بزتك، إذ يمكنك أن تستخدم هذه في شراء ثياب عمل. احتفظ بالبزة فربما احتجت إليها يوماً». بهذه الكلمات قدم لإيوسوكي الورقة النقدية.

«كلا، كلا متذكراً قاعدة جامع النفايات، «لقد وجدتها فهي لك». إذا لم يكن بمقدوره اتباع القاعدة الآن، فلا معنى لكونه عضواً في المجتمع الجديد. «لا تكن أحمق» قال الرجل المسن، «الأشياء مختلفة بين الأصدقاء». رفض الرجل المسن أخذ النقود، ولكن بعد نقاش طويل اقترح حلاً «عندي فكرة: لماذا لا نستخدم هذه النقود كي أستعيد منزلي؟! نستطيع الانتقال هناك حيث تستطيع البقاء ما شئت. سنكون مالكين مشتركين، له سقف وأرض. إنه أفضل بكثير من هذا المكان».

استقر الأمر على ذلك، وراح الرجل المسن يتحدث عن نفسه، قبل ثلاثة أشهر كان قد بنى كوخاً تحت الجسر الكبير بين هونوكو وكانادا، وكان يعيش مع زوجته هناك. ولكنها أرادت أن تترأس حياتهما، فسرعان ما راحت تلحّ لقلة طموحه حتى أخرجته من المنزل. عندما لم يتوافر له مكان يذهب إليه، وقع حظه صدفة على الملجأ الحربي. كان الناس يأتون إلى منطقة تحت الجسر، وعندما كان الرجل المسن يذهب هناك، يرى زوجته في المكان نفسه. إنها لن تسمح له بالعودة، ولكن إذا دفع لها ألف ين، بدت مستعدة كي تخلي له الكوخ وذلك حسب ما قالت.

بعد تسوية المسألة تبقى مشكلة شراء ثياب عمل لإيوسوكي قائمة، إذا لم يبع بزته. لا يبدو أن ألفاً أخرى ستظهر من داخل أحد الجيوب. آملاً أن تتحول السترة إلى شجرة نقود سحرية، راح إيوسوكي يبحث في الجيوب ثانية، ولكن لم يجد شيئاً سوى الندف. وعلى

أية حال، قد أثر فيه كرم إيوسوكي، فقام بزيارة إلى السوق الذي يقع تحت الجسر، وراح يبحث بين أكوام الثياب، فأخرج سترة تبدو وكأنها من مخلفات جيش الاحتلال وبنطالاً، فاشتراهما لإيوسوكي بسعر اعتبره رخيصاً جداً- كما لو كان لا شيء. كانت السترة الزرقاء اللون تناسب قياس إيوسوكي، إذ كان له جسد السادة الجنود الأمريكيين، ولكن البنطال كان قصيراً جداً، إذ ظهرت ساقاه.

هز الرجل المسن رأسه وهو يحدق بالنتيجة، «لقد اخترت ما اعتقدته ذا مقاس كبير، ولكنها ليست كبيرة على قدر كاف. لا تأبه لذلك، فكل ما علينا فعله هو تكبيرها قليلاً». قال ذلك وبأصابع رشيقة أزال خيوط أسفل البنطال، ثم طواه إلى الركبة ليبدو وكأنه بنطال قصير.

«بعد عودتنا» وعد، «سأستخدم إبرة وخيطاً لأخيطه بطريقة مناسبة». لابد أن تكون قد عملت خياطاً». قال إيوسوكي بإعجاب.

«كلا، لقد قمت بخياطة القمصان فقط بشركة ضخمة، ولم يكن عندي متجري الخاص».

«ولكن بخبرتك هذه لا تحتاج إلى أن تكون جامع نفايات».

«لا تضحكني!» رفض الرجل المسن أن يأخذ كلام إيوسوكي على محمل الجد.

على أية حال، لقد ظهر إيوسوكي بمظهر جديد مختلف. بدا أن المواطن المحترم مينامميورا إيوسوكي قد اختفى، وحل مكانه جامع نفايات قوي البنية. حدق به الرجل المسن بحميمية شديدة، وشعر إيوسوكي ذاته بأنه أخف وزناً كما لو كان شخصاً جديداً. ربما كان التغيير أعظم من ذاك الذي تحققه كوماكو عندما ترتدي أفضل فساتينها كي تزور أويسو، إذ كان التغيير الذي طرأ عليه دليلاً على القوة الساحرة للثياب.

«إذاً يا صديقي. أهلاً وسهلاً بك زميلاً في العمل! ما رأيك بزجاجة خمر كي نحتفل؟ يبدو أنك قادر على تناول الشراب، ما كان باستطاعتي أن آخذك إلى مكاني المعتاد وأنت في المظهر الذي كنت عليه. ستكون مميزاً أكثر مما ينبغي، وسيلكمك أحد ما مباشرة إلا أنك الآن في وضع مقبول. دعنا نذهب».

وقف الرجل المسن، ولكن عندما بدا على إيوسوكي أنه سيترك بزته في الملجأ وبخه قائلاً

«تضع أشياء ثمينة في كيس وتخفيها».

كانت وجهتهم إلى سوق بالقرب من محطة كاندا.

«منظر هذين الرأسين؛ لوريل وهاردي، وهما يمشيان في شارع أوكواماشي في الساعة الثالثة بعد الظهر جذب أنظار الآخرين وانتباههم. وقف الناس ينظرون إليهما، ولكن لم يؤثر ذلك في الرجل المسن، أما إيوسوكي فقد وجد أنه من الصعب مواجهة ذلك دون اكتراث، وكان أصعب أن يحافظ على مستوى تركيز الرجل المسن في رحلتهما، فحيثما تكون ومهما كنت تفعل، فلابد أن تكون مهنتك الحقيقية هي اليقظة الدائمة.

بعد انعطافهما عن الطريق الرئيسة ومتابعتهما السير أبعد إلى سوق تحت جسر سكة حديدية. قال الرجل المسن أنه منذ أن بدأ يعيش وحده، أخذ يحضر إلى هذا المكان لتناول العشاء.

اصطفت عربات صغيرة وكأنها علب كبريت، فكان منظرها مألوفاً لإيوسوكي، إذ رأى مثلها مرة في شونوجوكو، ولكن الطعام والشراب اللذين كانا يباعان هناك وأسعارها ووجوه المشترين والمارين قد هزت كيانه. توجد بالقرب من محطة القطار مقاه أنيقة وأماكن للطعام والشراب، ولكن السوق كانت عالماً مختلفاً؛ معتماً ومعزولاً تماماً. إلا أن السير فيه يتطلب طاقة كتلك التي تبذل في قطع نهر طيني، وكانت تفوح فيه رائحة مميزة تفوق رائحة دهن الحيوان النتنة والحبوب العفنة.

كان الوقت مبكراً على تناول وجبة العشاء، لذلك لم يكن موجوداً في العربات سوى القليل من الزبائن، ولم يوجد واحد يمكن أن يقال عنه إن يرتدي ثيابا أنيقة، فكانوا جميعاً يرتدون ثياباً بالية ومقاسها مختلف مثل حال إيوسوكي والرجل المسن. يمكن عد أي من المارين مواطنين عاديين، وعلى الرغم من هذا، يصبح كل من يمر موضع تفحص أنظار الجالسين إلى طاولات البيع.

كان إيوسوكي خائفاً، حاول السير دائماً في وسط الشارع الضيق، ولكن النظرات المحدقة لم تلحق به فقط من عند طاولات البيع بل كانت تواجهه مباشرة من قبل أولئك المارين من الدرب الضيق. كان حذراً حتى لا يصطدم بأحد صدفة، وتعين عليه أن ينحرف جانباً مرات عديدة، ولكنه دهش عندما رأى الناس ينحرفون قبله، فحقاً كان يظهر من نظرات بعضهم

نوع من الاحترام، كما كان بعضهم يومئون برؤوسهم محيين. لماذا لم يكن متيقناً، ولكن لم يثر ذلك غضبه.

«يعتقد الجميع أنه لابد أن تكون عضواً مهماً في عصابة». همس الرجل المسن في أذن إيوسوكي، «إنك ضخم الجسد ولديك هاتان العينان البارزتان».

تفحص الطاولات الواحدة تلو الأخرى، تلك التي تباع عليها المعكرونة والفطائر المطهية على البخار وكرات الأرز والفطائر المحشوة بالمربى والحساء ويكاتوري والمعكرونة المقلية، ولكن لم يجد شيئاً مناسباً.

«لدي ما أفضله»، قال الرجل المسن، «ولكن يمكننا أن ننظر إليها جميعاً، إذ ينبغي أن ننفق بتعقل. كيف حال معدتك؟ إذا كنت جائعاً، فمن الأفضل أن نتناول شرابا- سيجعلك ذلك سعيداً لوقت قصير جداً- وإذا لم تكن جائعاً، فدعنا نتوقف عند طاولة الحساء هذه، فإنه حقاً جيد، وهو أفضل مما تجده في أساكوزا. سيسعدك تماما».

كانت الطاولة أقل من مترين عرضاً وإلى جانبها مقعد طويل وطاولة أخرى طويلة تمتد إلى الشارع. بعد أن طلبا أحضر طبقان، ووضعا على الطاولة السوداء. كانا يلمعان بسبب ما عليهما من الدهن، وأحضرت معهما ملعقتان رصاصيتا اللون، «من الغريب أنك لو تناولت طبقاً من هذا الحساء في فصل الشتاء لبقيت تشعر بالدفء طوال النهار».

هدأت تعابير الرجل المسن عندما نفخ على ملعقة مليئة بالحساء. كان الحساء ساخنا وسميكاً، وكان لدى إيوسوكي لسان شديد الحساسية، وكان الحساء أشد سخونة من أن يستطيع تناوله مباشرة. عندما حرك الحساء بملعقته ظهرت محتوياته: قطع من لحم الخنزير ولحم البقر المعلب وعظام الدجاج والبطاطا والجزر وقطع من الكراث وأشياء كثيرة أخرى. حسبما قال، إن الحساء كان أكثر غنى من الحساء الغربي الرخيص الذي كان يتناوله قبل الحرب.

حقاً لايزال هناك كثير من قطع اللحم والأشياء الأخرى الكثيرة من الذرة والبازلاء الخضراء وقطع الجبن وحبات الفطر مما جعله مغرياً وشهياً. كما كان يحتوي على عناصر أخرى غير معروفة تبدو كحبات الأزوكي ومعكرونة الحنطة. تساءل: كيف يستطيعون أن يحسنوا المذاق؟!

«مذاقه طيب. أليس كذلك؟» سؤال الرجل المسن شجع إيوسوكي على رشف ملعقة

كان سميكاً جداً وحلو المذاق وشديد الدسم يشبه حساء فول الأزوكي المطبوخ باللحم ومذاقه سرعان ما يشبع المرء. لقد ذكره لحد ما بطعام قامت بتحضيره كوماكو مرة منذ وقت بعيد ولكن النتائج مخيبة للآمال.

مهما يكن فإنه مغذ كما قال الرجل المسن، ولقد كان طبقاً بسيطاً ومتواضعاً، لم يعرف قبل الحرب. يصنع دون أن يكترث لمصدر مكوناته، أو إذا كانت قد خلطت جيداً أم لا. ببساطة، توضع جميعها بالقدر، ثم توضع على النار. إنه يدعى بكلاج ما بعد الحرب. هذا رأي إيوسوكي به، إذ بكل تأكيد يحمل داخله طعم الهزيمة.

بعد تناول طبق من الحساء شعر بالشبع التام. كان ثمنه عشرين يناً ولم يكن يوجد شيء أرخص من ذلك. عندما تساءل عن استمرار أصحاب هذه المهنة على الرغم من تلقيهم أثماناً رخيصة، شرح له الرجل المسن مصدر مواد ذلك الطعام، مثل الجبن الذي أحضره في ذلك اليوم، كانت تجمع من بقايا الفضلات المتروكة عند أبواب منازل قوات الاحتلال، ومن مطاعم الفنادق التي ينزل فيها الأجانب. ألا ينبغي لليابانيين أن يعدوا أنفسهم محظوظين؟ سأل الرجل المسن، أي أن يكونوا محتلين من قبل أناس على مثل هذه الدرجة من السخاء.

«دعنا الآن نأخذ شيئاً حارقاً». هكذا اقتاد الرجل المسن إيوسوكي إلى حانوت يبيع خمرة رخيصة الثمن، سعر الكأس الواحدة ثلاثون يناً، ولكن الرجل المسن قال إن في ذلك خسارة مالية، لأن المعدة الممتلئة تمنع تأثيره، وعوضاً عنه طلب شيء يدعى (قنبلة)، قال: نريد كأسين فقط يكفيان لقلب العالم رأساً على عقب.

لم يحدث شيء للعالم، ولكن إيوسوكي شعر بأنه قد اقتحم عالما لم يعهده من قبل، إذ شعر أن هواء السوق ومذاق الطعام والشراب كانا يأخذانه بعيداً وبعيداً جداً عن الحياة التي عاشها مع كوماكو، وربما لن يستطيع أن يجد طريقه إليها ثانية.

الفصل التاسع
تحت الجسر

انتقل إيوسوكي والرجل المسن في بداية شهر تموز من الملجأ إلى كوخه الواقع تحت الجسر.

بالنظر إلى ما حدث، نجد أنه قد مر عليهم شهر عصيب. في فصل المطر الشديد، تقلص مقدار ما يحصلون عليه من خلال جمع النفايات إلى النصف، وتسرب الماء إلى الملجأ فحول حياتهما إلى تعاسة. شرع الرجل المسن بمحادثات جادة مع زوجته كي تسرع بإخلاء كوخه، فقبلت بذلك، رغم إبطائها بالتنفيذ. ولم تخل المكان إلا بعد أن وجدت عملاً في منطقة هنغو طاهية مقيمة في مصنع للأدوات الطبية. ابتهج الرجل المسن كثيراً وراح يرقص بعد سماعه النبأ. وفي اليوم الذي انتقلا فيه إلى الكوخ، تغير الطقس وتوقف المطر الغزير.

على الرغم من انتقالهما من منزل إلى آخر، إلا أنهما لم يحتاجا إلى عربة. فبكل بساطة، ملأ الاثنان كيسين ضخمين بأمتعتهما كلها ثم حملاهما على ظهريهما، وأمسكا بأيديهم القدور والصحون التي بدأا بإعداد الطعام فيها في وقت الفراغ الذي صاحب هطول المطر.

«تأكد أننا لم ننس شيئاً». قال الرجل المسن وهو يلقي بنظره داخل الملجأ. على أية حال، لم يكن هناك ما يستحق مثل هذا التدقيق.

سار الرجلان عبر شارع سوروجادي الرئيسي، ثم اجتازا جسر أوكناميزو لينعطفا بعده يميناً. في وقت الحرب، عندما كان يجمع الحديد، تم اقتلاع السكك الحديدية من مكانها، فأصبح الوصول إلى النهر سهلاً باستخدام طريق معبد ضيق بين الأعشاب يصل إلى أعلى السلم الذي يدعم الجسر. في أثناء نزول إيوسوكي السلم، صدر صوت صرير بفعل وزنه، ولكنه لم يكن خطراً بقدر الطرق المليئة بالحفر في هذه المدينة المدمرة.

عندما سار في خط شو، لاحظ إيوسوكي أن هناك أناساً يعيشون على ضفة النهر البعيدة عبر السكة الحديدية. لم يكن ذلك مدهشاً بالنسبة له بسبب نقص المنازل في مرحلة ما بعد الحرب، لكنه كان مشهداً محزناً، إذ كانوا كمن يعيش فوق كومة من الخردة، فراح يتساءل عن

صعوبة إمكانية تحسين هذا الوضع. كان متجهاً برفقة الرجل المسن إلى هناك، عندما أدرك كم يبدو المكان مختلفاً لدى مشاهدته من أسفل السلم، مقارنة برؤيته من القطار.

كانت المنطقة منعزلة وهادئة ومليئة بالأعشاب الكثيفة والأشجار بحكم قربها من النهر. لم يخطر بباله قط أن يكون في المدينة مثل هذا المكان المليء بهذا الهدوء الساحر، وأذهلته شدة الاختلاف بين مشاهدته عن كثب، ورؤيته من محطة القطار خلف النهر.

كما ادهشه اتساع المنطقة، إذ تتكون من حوالي أربعمئة ياردة مربعة. صحيح أنها تقع على منحدر، ولكن لو وجد مثل هذا الاتساع في طوكيو لأصبحت للمنازل أفنية رحبة.

في الجزء العلوي وتحت الجسر، ظهرت علامات تشير إلى وجود سكان. خرجت من أحد الأكواخ امرأة ترتدي ثوبا أبيض نظيفاً وتحمل دلواً، كأي ربة منزل. عندما رأت الرجل المسن حيته بحرارة.

« أرى أنك ستنتقل اليوم، لابد أنك سعيد! »

ثم ظهر رجل في منتصف عمره، «تسرني عودتك! إنه ليوم عظيم، إذ انصرفت فيه تلك المرأة!»

بعدها خرجت فتاة في الخامسة عشرة من عمرها يتبعها صبي صغير وكلب، مما أثار استغراب إيوسوكي.

كان من الجلي احترام الناس الذين يعيشون في هذا المكان للرجل المسن، وربما كانت روايته حول كونه أول من بنى كوخاً تحت الجسر حقيقية.

«نعم سأعتمد على لطفكم ثانية. الآن لدي رجل عوضاً عن الزوجة، فكونوا لطفاء معه. مهلاً، ما اسمك؟» كانت تلك المرة الأولى التي يسأل فيها الرجل المسن إيوسوكي عن اسمه.

«ميناميمورا إيوسوكي» أجاب دون تردد.

فوجئ بنفسه ينفجر من الضحك، ولم يكن ذلك بسبب سؤال الرجل عن اسمه بل بسبب الدعابة التي أطلقها بقوله «لدي رجل عوضاً عن الزوجة».

«يا للدهشة إنك ضخم» قال الولد، وهو يحدق رافعاً نظره إلى إيوسوكي.

«أنا سويماتسو سادكيشي. أعيش في آخر منزل من جهة الغرب». قال رجل في منتصف

العمر يرتدي ثياباً خاكية، تدل على أنه كان جندياً في السابق.

«أنا جارتك سوزوكي». قالت امرأة ترتدي مريلة بيضاء تميزها انحناءة طفيفة، «زوجي ليس موجوداً الآن، إذ أنه يعمل في دائرة الطرق».

كان الوقت مبكراً ومعظم الرجال في الخارج.

«دعونا ننظف المكان إذن. لقد أخذت تلك المرأة كل شيء!»

حدق الرجل المسن في الكوخ الذي اعتبره منزله، والواقع في وسط مجموعة المساكن. كانت مساحته تعادل مساحة ثلاث سجادات تتامي، وقد بني في اتجاه الجدار الحجري الداعم للجسر، فيما جدرانه الثلاثة الأخرى مبنية بثبات من قطع الخشب غير المصقولة. أما سقفه فكان قليل الميلان. صرح الرجل المسن بأنه استخدم اثنين وثلاثين صندوقاً خشبياً لبنائه. كان هناك زجاج في النافذة المواجهة للنهر، وقد كانت بالإضافة إلى الباب الأمامي مصنوعة بدقة، ومما لاشك فيه أن الرجل المسن قد وجدهما في أثناء جولاته الصباحية لجمع النفايات. لكن لم يكن لتلك النافذة قيمة تذكر، فهي صغيرة وليس بالإمكان فتحها أبداً، فلا تساعد في دخول الضوء ولا في تهوية المكان بشكل جيد. كان السخام الأسود يغطي كل شيء في الكوخ، باعثاً في النفس تساؤلاً حول ما إذا كان المكان قد بني قبل الحرب. أما حصير القش الذي يغطي الأرض، فهو أكبر دليل وشاهد على قدم هذا المكان.

على أية حال، بعد إقامتهما الطويلة في الملجأ، بدأ الرجلان يقتنعان بهذا المكان الذي يحوي سقفاً حقيقياً.

«ساكنس. أما أنت فستمسح الأرض، موافق؟»

تركت زوجة الرجل المسن بعض مواد التنظيف، فلم يكن ينقص سوى الماء الذي ذهب إيوسوكي حاملاً الدلو كي يحضره بناء على أمر الرجل المسن. كان الماء يتدفق من أنبوب فخاري ظاهر من أرضية مكان الغسيل المشترك لمجموعة المساكن. تردد إيوسوكي إذ ظن أنه أنبوب للتصريف الصحي في بادئ الأمر، لكنه رأى بعد ذلك أن الماء نظيف، له ذات الرائحة المميزة لمياه المدينة في فترة ما بعد الحرب.

العثور على مصدر الماء هذا، كان اكتشافاً عظيماً بكل ما تحمله الكلمة من معنى. اختيار الرجل المسن هذا المكان بالتحديد لبناء كوخه يعود لموقعه حيث يغطيه الجسر شمالاً ويحده

المنحدر جنوبا، بالإضافة لأهمية الماء التي كانت تمثل أحد الأشياء التي تعلمها من تشرده. اكتشف هذا النبع في بداية القرن السابع عشر إياسو – أول شوغن في سلالة توكوغاوا – ومنح هذه المنطقة اسمها (أوكنناميزو) أو (نبع الذهب). سمع الرجل المسن عن هذا النبع لأول مرة من رواة القصص في أحد عروض كودان، إذ ذكروا أنه كان مهملاً تغطيه الأعشاب الضارة، فقدم ليراه ووجد الماء. كان يعلم بالطبع أنه لم يكن نبعاً من الذهب، بل أنبوب مياه رئيسياً مكسوراً، وما الرائحة الكيميائية المنبعثة من الماء إلا برهان على هذا الأمر. على الرغم من كل ذلك، ظلت أسطورة النبع باقية.

كان المشردون على علم بجميع الأماكن التي تحتوي مياهاً صالحة للشرب في جميع أنحاء المدينة، ولكن وفرة الماء في هذا الأنبوب جعلته أفضل من أي نبع طبيعي. خصوصاً بعد أن ثبت الرجل المسن أنبوباً فخارياً، ووضع حوضاً أسفله –عبارة عن خزان ضخم كان يستخدم في إطفاء النيران، فبدا مكان الغسل جديداً وجميلاً.

بعد الماء، كان يجب التفكير في حل مشكلة جفاف التربة. وجد الرجل المسن أن الأرض التي تقع تحت الجسر جافة كالعظام، إذ كان يحجب عنها ماء المطر. بعد تفكير دقيق بنى كوخه تحت منتصف الجسر. وفي ستة أشهر، انضم له أشخاص آخرون لم يكونوا قادرين على امتلاك منازل، بدءاً بعائلة سوزوكي التي تقطن في الكوخ المجاور. علمهم الرجل المسن طريقة بناء الكوخ، فوفر عليهم ذلك الكثير من الجهد. وهكذا بني المكان، إذ شيد كل قادم جديد كوخاً بجوار كوخ مشيد من قبل، حتى بنيت سبعة أكواخ متلاصقة. وقد تساوى عرض منطقة بناء هذه الأكواخ السبعة مع عرض الجسر تماماً. ولأن بناء أي كوخ إضافي سيكون خارج منطقة الجسر، بالإضافة إلى أنه سيكون عرضة لعوامل الطبيعة وأنظار الناس الذين يقفون على رصيف القطار المواجه له، قرر السكان عدم السماح ببناء أي كوخ آخر، فساهم ذلك بتقوية أواصر الألفة والمودة بين أفراد هذا المجتمع الصغير.

في بادئ الأمر، بنوا مرحاضاً عمومياً، ووضعوا نظاماً يشبه نظام الجمعيات التي تضم أفراد الحي، إذ تتناوب الأسر على تنظيف المكان المشترك والمنطقة المحيطة بالنبع. وقد أمن هذا النظام مقداراً من النظافة وجنبهم الشكاوى من قبل الشرطة ومكتب الحراسة. بالإضافة إلى ذلك، كان جميع السكان من جامعي النفايات، ففكروا في إيجاد طرق لزيادة قيمة بعض

الأشياء التي كانوا يجمعونها، فكانوا يحرقون القش والحصائر المصنوعة منه ويبيعون الرماد للمزارعين. كما كانوا ينظمون بقية المواد حسب صنفها لتنقل مباشرة للتجار الذين يقومون ببيعها ثانية، متجنبين الوسطاء والسماسرة.

بعد أن تكون هذا المجتمع المصغر وتطور عمل أفراده، تضاءل دور الرجل المسن ولكنه ظل محبوباً ومحترماً بينهم. وبما أنه كان مضطهداً من زوجته المستبدة والمتكبرة، فقد نال تعاطف الجميع أيضاً.

في تلك الليلة، أقيمت حفلة في كوخ الرجل المسن. وعلقت عند الباب الرئيسي لافتة كتب عليها بالحبر الأسود: «هازيجاوا كينجي».

شكر الرجل المسن الجميع مرات عديدة وقد بان الابتهاج على محياه.

قدمت في الحفلة زجاجة كحول رخيصة وشرائح حبار مجفف وبعض الفول المسلوق. وللاحتفال بعودة الرجل المسن، قدم الجيران له ولإيوسوكي ست كرات كبيرة من الأرز المسلوق. بعد العشاء جاء خمسة ضيوف لتناول الشراب جميعهم من الرجال. أما المرأة التي تدعى تاكاسوغي فلم تحضر، بل أرسلت طبقاً من الخضراوات المخللة.

«كينجي، يجب أن تعدنا بأنك لن تدع تلك المرأة العجوز تعود ثانية». ألح أوجايا وهو شاب أعزب في العشرينيات من عمره يعيش في الكوخ الملاصق من جهة اليسار.

وافقه سوزوكي الذي يعيش في الجهة اليمنى مع أسرته، «إنها امرأة مريعة، دائماً ما تتعالى علينا». أجمع الكل على كرههم لها.

كان لسوزوكي الذي بدا شاباً، زوجة وطفل رضيع. كما كان كوانو ذو مظهر الطالب المولع بالكتب بشعره الطويل متزوجاً أيضاً. أما سوماتسو وإيما - وهما رجلان في منتصف العمر- فكانا أعزبين. وفي أقصى الطرف الأيمن كانت تقطن سيدة مع ابنتها، وهي أرملة فقدت زوجها في الحرب.

الوحيد الذي كان لديه عمل دائم هو سوزوكي، الذي يعمل في دائرة الطرق. أما الباقون فهم إما جامعو نفايات أو عمال بأجرة يومية. أدرك إيوسوكي بعد استماعه لهم أنهم من أصحاب القلوب الرقيقة، وقد واجهوا صعوبات بسبب الحرب، وليسوا من مشردي الشوارع مثل كينجي المسن.

«يبدو أنك قد عشت حياة مرفهة في السابق. يمكنني معرفة ذلك من مظهر يديك!» قال إيما لايوسوكي، وقد بدأ الخمر يثقل لسانه. «أظن ذلك».

«إنك محظوظ بلقائك الرجل المسن ووصولك هذا المكان». قال سوماتسو. علم إيوسوكي أن هناك مجموعة أخرى من الأكواخ تحت الجسر المجاور، ومجموعة أخرى في مكان أبعد على طول الرصيف النهري. وقد تم تحذيره من زيارة تلك الأماكن ومن الأشخاص الذين يقطنون هناك.

على الرغم من أن كوخ كينجي كان الأكبر، إلا أنه لم يتسع إلا بصعوبة، وسرعان ما تكثف دخان السجائر فيه فأصبح المكان خانقاً. كان المصباح عبارة عن قارورة حبر قديمة ملأت بالكيروسين، وثبتت فيها فتيلة عبر الغطاء. كانت تشبه قداحة السجائر دائمة الاحتراق، كما أنها كانت مصدر السخام الأسود، خصوصاً مع عدم وجود غطاء عاكس للضوء. عندما نفد الشراب من الزجاجة عم الحفلة بعض الصخب.

«عندما كنت غائباً، بنى أحدهم كوخاً على الجانب الآخر من شجرة الصفصاف. إن هذا الموقع لا يتبع لمنطقتنا لذلك لم نقل شيئاً، ولكن ينبغي لنا أن نتخلص من أناس كهؤلاء». قال أوجايا للرجل المسن، وقد علا صوته بسبب الخمر.

«لا تتحدث هكذا، فنحن سبعة ولدينا حليف ذو مظهر صارم». قال إيما مشيراً إلى إيوسوكي «لذلك لا يوجد شيء يدعو للقلق».

ترك إيوسوكي انطباعاً أولياً جيداً في منزله الجديد.

يستيقظ جميع الناس هناك باكراً. وحين تعلن الصفارة عن انطلاق أول رحلة من محطة القطار، يكونون قد أتموا اغتسالهم في الحوض، وبعضهم قد تسلق السلم نحو الشارع الرئيسي، فتظهر أشكال أجسادهم معتمة يغطيها الضباب المنبعث من النهر.

بعض الأعمال التي يقوم بها السكان صباحاً قبل الإفطار سريعة ولا تتطلب مجهوداً كبيراً، ولكن بالنسبة لجامعي القمامة والمتوجهين إلى مكتب التوظيف حيث يجب الذهاب قبل وصول الآخرين، يؤجل الإفطار حتى إتمام العمل.

ينبعث الدخان في ساعة مبكرة في الصباح من مواقد الفخار الموجودة خارج كوخي عائلة سوزوكي و تكاسوغي. ويتناول جامعو النفايات إفطارهم في سوق كاندا أو في أكواخهم

حوالى الساعة الثامنة بعد أن ينتهوا من جولتهم الصباحية.

لم يحظ إيوسوكي إلا ببرهة من النوم بسبب البراغيث. على الرغم من وجود عدد أقل من البعوض الذي كان في الملجأ، إلا أن جفاف التربة سبب خروج عدد هائل من البراغيث، إذ كان تطايرها على الأرض يشبه المطر المفاجئ المنهمر مساء، منصبات على جسد إيوسوكي الضخم دون رحمة. تلك البراغيث الأرضية لم تكن شائعة كالبراغيث العادية، ولكنها تتميز بنوع اللسعات القوية.

وهكذا وجد إيوسوكي نفسه على غير طبيعته مستيقظاً وقت الفجر، فراح يتجول.

«صباح الخير!»

حيته السيدة تكاسوغي وهي تخرج من المرحاض العمومي. كانت في السابعة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين من عمرها، ولكن سروالها قديم الطراز وطريقة ربط شعرها على شكل كعكة جعلها تبدو كأنها أكبر سناً. على أية حال، لم تكن ملامحها جذابة.

«البراغيث هنا مزعجة». قال إيوسوكي معبراً عما يدور في خلده.

«ولكنك بالتأكيد لن تجد قملاً في هذا المكان!» بدت كما لو أنها شعرت بالإساءة، وغادرت مباشرة.

عندما دخل إيوسوكي المرحاض وجد أن أحداً قد ركب أداة ثقيلة لإبقاء الباب مغلقاً. كان هناك مرحاض من البورسلان الياباني الذي لم يكن قد ابتيع بالطبع، ولكن روعيت مسألة النظافة في تركيبه. أما موقع المرحاض فمن الجلي أنه قد أختير بدقة، إذ كان بعيداً جداً عن الأكواخ، وهو يشبه صندوق الهاتف العمومي ولكن دون سقف- إذ كان من السهل بناؤه بتهوية طبيعية. كانت المنطقة العامة والمنطقة المحيطة بالمرحاض نظيفة ومرتبة على الدوام، فالسكان يتناوبون على تنظيفها بشكل دوري.

أحنى إيوسوكي رأسه تحت الداعم الحديدي للجسر، ثم تابع سيره نحو أعلى النهر حيث العشب الندي أكثر كثافة، والعديد من الشجيرات وشجرة صفصاف ضخمة تقف حاجباً عند النهر الطيني وسط ضباب الصباح. استرجع إثر منظر الانعطاف الجميل للنهر عصراً ماضياً عندما ألهم جمال هذا المشهد الشعراء الذين سموه (المنحدرات الحمراء الصغيرة) نسبة لـ (المنحدرات الحمراء) الشهيرة لنهر يانغز المذكورة في الأدب الكلاسيكي الصيني

(رومانسيات الممالك الثلاث).

لاحظ إيوسوكي عنزة بيضاء ترعى في المنطقة العشبية، فاستغرب وجودها هنا ولكنه ما لبث أن لمح كوخاً منعزلاً على مسافة بعيدة كان قد بني حديثاً من رقع القش والخيزران وأغصان الأشجار، فظهر بمظهر أكثر بدائية من الأكواخ الأخرى.

خرج رجل في عمر إيوسوكي من الكوخ مرتدياً قميصاً خاكياً قذراً، وحملق بإيوسوكي.

حياه إيوسوكي بلطف، إذ لم يرغب إيوسوكي في أن يتجاوزه دون تحية.

نظر إليه الرجل مستغرباً، وكأنه كان يتوقع شيئاً آخر، ثم قال، «أنت أحد أولئك الذين يقطنون تحت الجسر؟»

«نعم!»

«إذن أريد أن أقول لك إنكم لا تملكون ضفة النهر هذه. يجب عليكم أن تدعوا الناس يأتون ويذهبون بحرية».

ميزته نبرته العدائية عن الناس الطيبين الذين كانوا مجتمعين في الكوخ البارحة. كان شعره قصيراً جداً كما كانت بشرته الداكنة وبنية جسمه يابانية تماماً، فهو يعطي انطباعاً بأنه مفعم بما يسمى «الروح القتالية اليابانية».

«آسف، لا أعلم الكثير عن هذا الأمر». أجاب إيوسوكي بطريقته المتمهلة المعتادة، «إنني حديث العهد بهذا المكان، فأنا لم أحضر إلا البارحة».

«إذن، لا جدوى من الحديث معك».

بدت على الرجل خيبة الأمل، فاستدار ليدخل كوخه.

« أهذه عنزتك؟» سأل إيوسوكي، وهو ينظر إلى الحيوان المنشغل بقضم العشب الرطب.

«هل هناك أي خطأ في اقتناء عنزة؟»

«ولماذا هناك خطأ؟ إنها جميلة. هل تدر الحليب؟»

«بالطبع، لهذا أحتفظ بها».

«هل تشرب الحليب؟»

«إنه طعامي».

«هذا شيء ذكي، فهو يغنيك عن الطبخ».

كان إيوسوكي مندهشاً حقاً، إذ ليس هناك ما هو أذكى من اقتناء عنزة تحول عشب ضفة النهر إلى حليب طازج ومغذ. وبالنسبة لإيوسوكي الأحمق الكسول، بدت فكرة وجود طعام دون الحاجة إلى إشعال النار وتكبد مشقة الطهي فكرة رائعة، لاسيما أنه قد جرب طبخ الأرز مرات كثيرة ولم يفلح على الرغم من توبيخ المسن كينجي له.

«حسناً، إنها لا تدر الحليب بتناولها العشب فقط». قال الرجل مبتسماً ابتسامة ساخرة، «يجب عليك أن تطعمها شيئاً مغذياً من وقت إلى آخر كحبوب التوفو». ظهرت أسنان بيضاء فجأة ضمن تقاطيع الرجل الشرس الذي أرهقته عوامل الطبيعة، مما أدهش إيوسوكي، وخفف من شدة حذره.

«كيف حال كوخك؟ هل هناك أي مشكلة بسبب البراغيث؟» سأل إيوسوكي.

« أبداً، فقد رششته بمبيد الحشرات».

«إنك مواكب للعصر جداً، ولكن لابد أن يكون المرحاض مشكلة؟»

«كلا أبداً، فهناك مرحاض عمومي في محطة سيدوباشي، وهي ليست بعيدة».

«ماذا عن الماء؟»

«هناك نبع فوق الرصيف، وربما كان هو النبع ذاته المسمى بنبع الذهب، الذي اكتشفه تكاجاوا إياسو».

بعد عشر دقائق من الحديث، أصبح إيوسوكي على علاقة جيدة مع الرجل، وقد اتضح له أن هذا الرجل هو من ذكره المجتمعون في الليلة السابقة واصفينه بالدخيل. على الرغم من ذلك، لم يجده إيوسوكي شخصاً سيئاً.

أصبح إيوسوكي جامع نفايات محترفاً، إذ كان يرافق كينجي كل يوم في جولاته، فيحصلان على النقود مقابل كل ما يجمعانه. كانت أفضل المواد تباع لرجل يأتي إلى الأكواخ كل يوم، علاوة على دخل إضافي يحصلون عليه من رماد القش، ما يجعل دخل إيوسوكي يصل إلى مئة وخمسين يناً يومياً، وفي بعض الأيام مئتي ين.

معظم الدخل يصرف لأجل الطعام، فلا مفر من ذلك، إذ كان يطبخ مع كينجي الأرز كل يومين، وفي الأيام الأخرى يتناولان المعكرونة أو البطاطا الحلوة. الشخص الوحيد الذي

كان يتلقى مؤونة الأرز هو سوزوكي، لأنه موظف بشكل دائم، أما الآخرون فكان عليهم شراء الأرز من السوق السوداء، رغم أن كبرياءهم كان يمنعهم في بعض الأحيان من الاعتماد على مؤن الأرز، فهم أناس على قدر كاف من الشجاعة كي يقتاتوا بمجهودهم دون الاعتماد على الدولة.

على أية حال، كانت المشكلة تكمن في شح كمية النقود المتبقية.

«متى أصبح لديك بعض النقود الزائدة». قال الرجل المسن موجها حديثه لإيوسوكي، «اشتر بطانية لنفسك».

ولكن لم يبد أن مثل هذه الفرصة قريبة الحدوث. لا يملك إيوسوكي أي فرش ينام عليه، ولم يتصور أنه سيحتاج إلى الفراش قريباً لاسيما أن الطقس كان حاراً جداً، ولكن كلمات الرجل المسن كينجي شكلت تحذيراً بقرب فصل الشتاء.

بالإضافة إلى البطانية للتدفئة، كان إيوسوكي بحاجة ماسة إلى شراء ملابس داخلية، تماماً كما توقعت كوماكو، إذ كان يعمل مرتدياً قميصه - الذي لا يملك سواه - تحت حرارة الطقس فيغرق في العرق. لم يكن يغسل ثيابه عند النبع على الرغم من استطاعته، لأنه لم يكن يمتلك ما يغطي به جسده في أثناء انتظار ملابسه حتى تجف. أشفق عليه الرجل المسن، فراح يبحث ضمن مجموعة من الأقمشة والثياب القديمة حتى وجد كومة من الخرق التي استخدمت في مهرجان الأطفال في أيار، فصنع منها عدة قطع من الثياب الداخلية لإيوسوكي، كونه عمل في مجال الخياطة سابقاً. على أية حال، كان من الغريب رؤية رجل مرتدياً ثياباً داخلية بألوان فاقعة.

شكل الاستحمام مشكلة أخرى. يوجد حمام عمومي قريب في يوشيما وآخر في سوروجاداي، ولكن كان العامل في الحمام يعاملهم بقسوة عندما يدرك من خلال ملابسهم، أنهم من أولئك الذين يعيشون تحت الجسر، حتى لو كانوا هناك في نهاية وقت العمل، مع عدد قليل من الناس، ما كان يجعلهم يشعرون بالمهانة.

«إننا لسنا متسولين!» صرخ أوجايا الذي سرعان ما ثار بعد أن طرد من أحد الحمامات، ولكن لم يكن باستطاعة النساء أن يتفوهن بشيء. كان الكل يذهب إلى الحمام العمومي على مضض.

أصبحت عادة إيوسوكي الاستحمام في وقت متأخر من الليل عند خزان الماء، ولكن بدا هذا الأمر صعباً عليه في فصل الشتاء. حل بعضهم المشكلة بارتداء ملابس جيدة، والذهاب إلى حمام بعيد عن الجسر.

يحتفظ جميع من يعيشون عند النهر بطقم واحد من الملابس الجيدة، فيبدو الرجال أنيقين عندما يرتدون بزاتهم الجميلة وربطات العنق مع القبعات والأحذية في طريقهم لمشاهدة فيلم أو لارتياد حي البغاء. أدرك إيوسوكي عندما شاهدهم المغزى وراء نصيحة الرجل المسن له بأن يحتفظ ببزته القديمة.

كان كينجي وإيوسوكي يغادران المكان كل يوم في وقت مبكر، وفي فترة ما بعد الظهيرة لم يكن لدى إيوسوكي شيء يعمله.

لم تكن لديه رغبة في زيارة حي البغاء. يتصور بعض الناس أن ضخامة جسده، دليل على قوة جنسية هائلة، ولكن هذا ليس بصحيح. لا تعني البدانة بالضرورة وجود شهوة جنسية عارمة لدى الشخص، بل على العكس يمكن أن تضعف السمنة الزائدة هذه الرغبة. كانت حاجات إيوسوكي في هذا الجانب معتدلة على الدوام، وكان هذا الأمر أحد أسباب استياء كوماكو.

لم يكن عاجزاً أو أي شيء من هذا القبيل، ولكن في تلك الأوقات التي كان يحس فيها برغبة جنسية ملحة، كان يتمطى على العشب في ظلال شجرة ضخمة.

كان هناك في ذلك اليوم، حيث يوجد منحدر بسيط في الأرض جعله منطقة ملائمة للتأمل في السماء. كانت سماء تموز صافية وزرقاء، وبما أن أغصان الأشجار زينتها، فبدت بعيدة وجميلة. كانت الغيوم القليلة بيضاء ورقيقة.

راح يتساءل عما تفعله كوماكو الآن. طافت نظراتها الحادة واعوجاج أنفها أمام ناظره. استطاع أن يرى نمش وجهها خاصة البقع الثلاث الكبيرة منها. نظر إلى صورة وجهها في السماء، وراح يتأملها بدقة، ولكن جل ما استطاع رؤيته هو أنها لم تكن مرتبكة أو متضايقة. كانت كوماكو امرأة تستطيع كسب عيشها، ولم تكن تخشى الأشباح والسارقين، لذلك لم يكن غيابه يضايقها. كان الوجه الذي رآه هادئاً تماماً، إذ بدا له كوجه امرأة تنتظر عودة زوجها إلى بيته نادماً ذليلاً. بدت له مسلحة ومستعدة لتوجيه التوبيخ الضروري ومضاعفة

جهودها كي تتحكم بحياته.

قد يقبل بذلك. أن يكون المرء متزوجاً بامرأة متسلطة ليس بالأمر التعيس كما يبدو، إذ هناك طرق يستطيع من خلالها التخلص من تلك الضغوط، فحتى سكان البلدات الصغيرة الذين عاشوا قبل قرنين من الزمن استطاعوا أن يعيشوا حياة هادئة وممتعة على الرغم من القيود التي فرضها عليهم النظام الإقطاعي في ذلك الوقت. كان مستعداً للعودة لو توقفت عن إصرارها أن تكون الرابحة في كل مرة. كل ما كان يريد منها هو أن تكبح جماح رغبتها في التحكم به، فبرأيه أن تسلط أحد الزوجين على الآخر ينبغي أن يكون شيئاً من الماضي. علاوة على ذلك، كان يعتبر نفسه زوجاً ينتمي إلى حقبة ما بعد الحرب رافعاً الراية البيضاء منذ سنوات عديدة.

إلا أن وجه كوماكو المتمثل أمامه في السماء الزرقاء ماكان ليتقبل ذلك بسهولة.

راح يخاطب خيالها الذي تمثل له «إذاً، دعينا نبقى منفصلين مدة أطول». لا مانع لدي، فالبقاء هنا ليس بالأمر السيئ.

لم تكن ردة الفعل هذه موجعة. صحيح أن الحياة في الملجأ بائسة، لكن إيوسوكي تأقلم معها. كان حراً يفعل ما يشاء، وجميع من حوله كانوا مشابهين له، فهم لطفاء طيبون مثله. علاوة على ذلك، فالمجتمع الموجود أعلى رصيف ضفة النهر قد أرهقه. أما هنا في الأسفل، فهناك مجموعة من الناس تتقبل الحياة كما هي، فلا مضايقات ولا أجرة سكن ولا فواتير ماء ولا تبرعات للاحتفالات وأفضل من ذلك كله أنهم لا يدفعون ضريبة!

هذا الإدراك المفاجئ ملأ إيوسوكي ابتهاجاً فاسترخى، ولكن سرعان ما قطع تلك البهجة نداء يطلب المساعدة.

«تعال وساعد بسرعة».

قدمت السيدة سوزوكي مهرولة، شاحبة الوجه.

«ماذا حدث؟»

«دخل أوجايا في عراك مع صاحب العنزة، والرجال الآخرون في العمل، ولا يوجد أحد يساعده!»

«إنني لا أجيد القتال» حاول إيوسوكي الابتعاد نحو الشجيرات.

«لا تقل هذا!» جرته من كم قميصه وسحبته نحو الجسر.

كان الرجلان يقتتلان وعم الغبار المكان كله. وعلى الرغم من أن صاحب العنزة صغير الحجم، لكنه كان يجيد لعبة الجودو، باذلاً جهده لصرعه أرضاً، ولكنه لم يتمكن من فعل ذلك، إذ أن حجم أوجايا ضعف حجمه ومؤخرته بارزة. راح وجه صاحب العنزة يحمر شيئاً فشيئاً.

«لم لا تتوقفان عند هذا الحد!» اقترب إيوسوكي من الاثنين مقطب الجبين.

«أهذا أنت؟ انظر ماذا فعلت؟! لقد طلبت منك البارحة أن توصل كلامي. واليوم عندما حاولت المرور حاول هذ الشخص إيقافي».

حملق صاحب العنزة بإيوسوكي.

كان قد طلب فعلا من إيوسوكي أن يعلم الآخرين ويأذنوا له بالمرور، وقد شرح ذلك، إذ يوجد طريق ضيقة على طول ضفة النهر يقود إلى سيدوباشي، ولكن عندما أراد الذهاب إلى يوشيما شراين، لم تكن هناك طريق أخرى غير تلك الواقعة أمام الأكواخ.

«نعم، إنه خطئي. كان يجب أن أخبر الجميع ولكني نسيت». سرعان ما ألقى إيوسوكي اللوم على نفسه.

«لماذا يجب عليك الاعتذار؟» قال أوجايا، «هيا يا إيوسوكي ينبغي ألا نأذن بمثل هذه الأفعال السيئة، وسأعطيه شيئاً يذكره».

حضور إيوسوكي جعل أوجايا يشعر بقوة أكبر، وعندما خف احتراس خصمه، اغتنم الفرصة، ووجه له ضربة قاسية على رأسه.

«أنت أيها الجرذ سأنال منك»، رد عليه الآخر فتابعا العراك. تلاكما وركل كل منهما الآخر، وعضا بعضهما -ظهرا كما لو كانا في العصور البدائية- إذ عادا لاستخدام أسنانهما ومخالبهما.

«افعل شيئا!» صرخت السيدة سوزوكي، «حقاً إن النساء أكثر تمدناً». لم يحتمل إيوسوكي مشاهدة ذلك، على الرغم من تردده في استخدام القوة لإيقاف القتال. وأخيراً بعد محاولات مترددة كثيرة، ألقى بنفسه بين الاثنين، وربما كانت هذه المرة الأولى التي يستخدم فيها قوته متعمداً.

على أية حال، كان لهذه الحركة تأثير غير متوقع، إذ افترق الاثنان فجأة وتدحرجا نحو المنحدر حتى كادا يسقطان مباشرة في نهر كاندا لو لم توقفهما دعامة الجسر الحديدي.

«إن إيوسوكي مدهش فعلاً!»

«إنه قوي جداً حتى إن عشرة مثلنا لا يوازونه!»

بعد تلك الحادثة، بدأ سكان الأكواخ يعاملونه على أنه بطل عظيم. كانت السيدة سوزوكي الشاهد الوحيد، ولكن لم يشك بكلماتها أحد. وقف الاثنان ثانية ولكن لم يكن لديهما الرغبة في القتال مرة أخرى، إذ أذعنا بخنوع لاقتراح إيوسوكي بوجوب إيجاد حل سلمي. حلت المسألة عندما تم الاتفاق بأن يمر صاحب العنزة من أمام الأكواخ مقابل أن يتبرع بزجاجة خمر للقاطنين فيها.

لا يتذكر إيوسوكي كيف استخدم القوة لإيقاف القتال، لذلك لم يشعر بأنه فعل شيئاً عظيماً. في حقيقة الأمر، عندما حاول تفريق الرجلين، شعر بارتباك، فاعتذر لهما كثيراً. وقد اعتبر هذا التصرف نوعاً من التواضع على الرغم من أنه نابع من خجل. فعندما لا يتباهى الرجل القوي البنية بالحقيقة، يعتبر ذلك دليلاً على مدى قوته الفعلية.

أحضر سكان الأكواخ كلباً بهدف الحماية، إذ إن العالم الخارجي بدا خطراً، ففي إحدى الليالي أراد مجرم مطلوب المكوث هناك. إلا أن إيوسوكي الذي كان يتمتع بسمعة ساوت قوته بقوة عشرة رجال، كان أفضل من كلب الحراسة بكثير. كوماكو وكذلك زملاؤه في العمل كانوا يسخرون منه كثيراً، إلا أن الناس هنا راحوا ينظرون إليه باحترام شديد.

«ما رأيك بقدح من الشاي؟» بدأ الجيران بدعوة إيوسوكي باستمرار، وهكذا تعرف على قصص الناس جميعاً.

باستثناء كينجي المسن، كان القاطنون إما من الجنود العائدين إلى الوطن أو أناس احترقت بيوتهم. كانوا جميعاً قد عاشوا حياة طبيعية قبل الحرب، لذلك كانوا يتذمرون كثيراً بسبب ما أصابهم من مصاعب، ولم يختف على الرغم من ذلك تعاطفهم مع الآخرين. لم يكن الولد الصغير فيكوانس ابنهم، إنما يتيماً تبنوه. كان قد كره ملجأ الأيتام الذي وضع فيه، فكان يهرب منه باستمرار، ولكنه يعيش بسعادة منذ أن تبنوه قبل عام ونصف.

عندما اقتربت ولادة السيدة سوزوكي، علم إيوسوكي أن قلقاً انتاب الجميع، إذا ربما لن

ترض قابلة أن تأتي إلى هنا. في نهاية المطاف، أحضر زوجها قابلة في منتصف الليل دون أن يخبرها عن المكان حتى اقتربا منه، ففوجئت القابلة وأصابها الخوف. وعندما دفعوا لها ثلاثمئة ين، كما يدفع لها الآخرون، أصابتها دهشة أكبر!

«لا يوجد فرق بيننا وبين الآخرين» قالت لها السيدة سوزوكي طالبة تأييد إيوسوكي.

لم يكن هناك شيء غريب بخصوص عالمهم باستثناء عزلتهم. مازال نظام البريد يعاملهم بإنصاف؛ وكانت تصلهم كل رسالة يكتب عليها «تحت جسر أوكنناميزو» عن طريق ساعي البريد الذي كان ينزل السلم وكيسه على كتفه كما لو كان بابا نويل. كان ذلك الرابط الوحيد الذي يصلهم بسكان المدينة.

الفصل العاشر
الأوقات العصيبة

أصبح إيوسوكي، بعد نيله احترام الآخرين، راضياً عن نفسه لدرجة أن كسله الفطري قد عاد ثانية ليطفو على السطح. احتاج بشكل رئيسي إلى العمل كي يؤمن غذاءه فقط. ولو كان مستعداً لأن يتخلى عن تناول وجبة الأرز الأبيض كل يوم، لاكتفى بجولة واحدة يقوم بها كل صباح ليقتات منها. ففي تلك الأيام، كان يعمل ليجني مئة ين أو أكثر بقليل في اليوم الواحد، إذ لم يكن هناك حاجة إلى الحصول على أكثر من ذلك لاسيما أنه يؤمن سجائره من خلال جمع أعقاب السجائر من الشوارع. وبما أن الاغتسال بالماء البارد كان يكفيه، فلم يحتج إلى النقود للذهاب إلى الحمام العمومي. كما أنه أطلق لحيته، ولم ينفق أي نقود على شراء الصحف. كانت النقود ضرورية له فقط ليشتري البطاطا الحلوة والمعكرونة المجففة، إذ كان هذا طعامه الرئيسي.

وعلى الرغم من غذائه البسيط، لم يصبح إيوسوكي نحيفاً. وقد يعود ذلك إلى وزنه الزائد في الأساس، أو حالته الذهنية المسالمة والمستقرة، لاسيما أنه راح يشعر بهدوء وحرية أكبر من أي وقت مضى في حياته العملية والزوجية مع كوماكو.

يبدو أن إيوسوكي قد حقق هدفه في وقت أسرع من كوماكو ودون مجهود كبير. بعد انصياعه لأمر زوجته وتركه منزله، ترك حياته لتقودها الأحداث ويد القدر حتى وجد نفسه في مكان اعتقد أنه طالما رآه في أحلامه.

لم يخطر له أنه سيجد جنة عدن التي رسمها لنفسه بهذه السرعة وبمتناول يده. كان يتساءل إذا كان هذا نوعاً من الهلوسة. ولكن حتى لو كان الأمر كذلك، فهو يحمل شيئاً جميلاً يشبه ما كان يحلم به طويلاً. هنا على طول ضفة النهر لا تظهر نزاعات المجتمع ولا مظاهر الجيل الجديد إلا في أقل درجاتها. هناك متسع كبير للفرد كي يتنفس. ربما لم يكن هذا الواقع مطابقاً لخياله تماماً، ولكنه أقرب ما يكون لذلك.

على وجه العموم، كان إيوسوكي راضياً عن نفسه وكذلك قنوعاً، ولكن كسله الفطري بدأ يفرض نفسه. الجنة والعمل الشاق لا ينسجمان، فالعمل لساعتين في الصباح، ثم قضاء باقي النهار في كسل وبلا عمل وضع ينسجم بدقة مع أحكام جنة عدن. كان الناس من حوله يظنون أنه إنسان قنوع لا يطلب الكثير، وقد أعجبوا به لذلك، إذ افترضوا أنه لا يأبه بالمادة.

غير أنه في واقع الأمر، كان يرغب في الحصول على المال. من وقت إلى آخر، كان يتوق إلى شراء قنبلة حارقة من سوق كاندا، ولكن كان من الأسهل عليه كبح جماح رغبته من أن يعمل لأجل مزيد من النقود. الكسل ليس سمة يمكن إصلاحها بسهولة، ولم يكن إيوسوكي من النوع الذي يمكن إصلاحه حتى لو وضعت فوق رأسه قنبلة هيدروجينية.

نتيجة الفراغ الطويل، بدأ إيوسوكي يشعر بالتعب والملل من قراءة الصحف والمجلات القديمة التي كان يأتي بها جامعو النفايات، وراح يضجر من الاستلقاء تحت الأشجار محدقاً بالغيوم. في مثل هذه الأوقات، بدأ يتوق حتى إلى جداله مع كوماكو، إذ كان بحاجة إلى أحد يتحدث إليه.

خطر له ذات يوم أن يزور صاحب العنزة.

اختار ذلك الرجل أن يبني كوخه في مكان غريب. كان هناك ممر ضيق يوصل بين الأكواخ ومنطقة مليئة بالأشجار، وترتفع الأرض بشدة فتنحني أغصان شجرة الصفصاف الكبيرة. اختار صاحب العنزة تلك البقعة الغريبة المرتفعة كي يبني عليها كوخه. كانت تعتبر المنطقة الواقعة تحت الجسر أفضل موقع، تليها المنطقة الواقعة تحت مشفى كتندو. لابد أن يكون اختيار الرجل هذا المكان المنعزل، الذي يقع في المنتصف، وهو أسوأ المواقع، مقصوداً.

بتعثر وانزلاق، شق إيوسوكي طريقه إلى الكوخ ولدى وقوفه أمامه لاحظ أن اللوحات الخشبية قد غطيت بحصائر القش، فما عاد منظره بدائياً كما كان من قبل، بل تم تطويره كباقي الأكواخ.

«مرحباً. هل أنت في المنزل؟» نادى إيوسوكي كما لو كان يزور منزل صديق مجاور.

لم يأته جواب. على الرغم من حرارة الطقس، كانت تتدلى ستارة رديئة النوع مغطية

الباب. جاء صوت من الداخل ليدل على وجود أحد ما، وبعد قليل ظهر رجل:

«من هذا؟» سأل بحدة.

ما كان إيوسوكي قد أخبره عن اسمه من قبل، لذلك وقف مبتسماً. «آه. أهذا أنت؟»

احتاج الرجل إلى لحظات كي يميز إيوسوكي الذي كان أشبه بناسك، إذ لم يحلق شعره ولا لحيته منذ وقت طويل. لقد اعتنق مؤخراً سلوك جامعي النفايات، فأصبح من الصعب تمييزه حتى من قبل كوماكو لو حدث أن التقت به صدفة في الشارع.

«أردت أن أمر بك فقط». قال إيوسوكي بطريقته السهلة المعتادة. «هل يمكنني الدخول؟»

«إنني لا أبالي. ولكن المكان حار هنا».

فتح الرجل بابين محدثاً قرقعة، وأبقاهما مفتوحين بكرتين من الحديد، مما سمح لنسمة منعشة بدخول الكوخ. على الرغم من بساطة منظر الكوخ الخارجي، إلا أن أرضه كانت مفروشة بقطع من قماش القنب والورق المقوى تحت بساط خشن. هكذا كان محمياً على نحو جيد من رطوبة الأرض. كما ثبتت في الداخل بعض الصناديق لتكون رفوفاً لبعض الأطباق. يشبه المكان أكواخ المخيمات، وكان مهيأ على نحو أفضل من تلك الأكواخ الواقعة تحت الجسر.

«لديك مكان لطيف هنا». قال إيوسوكي، ليس بدافع الأدب، إنما بدافع إعجاب حقيقي.

«لا أعرف ما الشيء اللطيف فيه». قال الرجل، «لقد اعتدت على الأماكن الصغيرة مثل هذا المكان. ولكن هذا المكان خانق».

لقد كان الكوخ صغيراً بالفعل، بحجم نصف كوخ كينجي المسن.

«إنني لا أراك في الشوارع كل صباح؟» قال إيوسوكي مفترضاً أن الرجل يزاول مهنة جمع النفايات أيضاً»، أين تقوم بجولاتك المعتادة؟»

«حسناً، كلا. إنني لست».. بدأ الرجل يتحدث، ولكنه سرعان ما غير الموضوع.

«هل ترغب في شرب حليب الماعز؟»

كان الحليب داخل زجاجة بيرة حفظت في ماء بارد أحضر من الأنبوب المكسور. لاحظ

إيوسوكي أن هذا الرجل يقوم ببعض الأشياء بطريقة مختلفة عن أولئك الذين يقطنون الأكواخ تحت الجسر.

« مذاقه طيب». لقد مر وقت طويل منذ أن شرب إيوسوكي الحليب للمرة الأخيرة.

«تابع واشربه كله». ألح الرجل بسخاء، «إنني أتناول منه كل يوم، لقد سئمت شربه».

فكر إيوسوكي أن هذا الرجل لا يدرك أن الحليب نوع من الترف. «إنك تعيش على الطراز الحديث». قال إيوسوكي بإعجاب، «فمنزلك مرتب ونظيف، وقد رششته بمبيد الحشرات».

وضع إيوسوكي الفنجان المعدني الذي كان يشرب منه. «يبدو أنك تتعامل مع الحياة بسهولة أيضاً وعلى نحو جيد». قال الرجل.

«أعتقد ذلك، لو كنت أحصل على مال أكثر بقليل، لما تذمرت. بالمناسبة لابد أنك ذهبت إلى الجامعة؟ فأنت تتحدث كالمثقفين».

«إنني لا أعتبر نفسي مثقفاً».

«هل تتحدث الإنجليزية؟» سأل الرجل فجأة باللغة الإنجليزية.

«كلا. في الواقع تعلمت الإنجليزية مع الألمانية ولكن»..

« لقد عرفت ذلك. إنك من طبقة عليا من صفوة المجتمع. ما الذي أنزلك إلى مثل هذا المكان؟ ولكنك ربما لا تريد الحديث عن ذلك».

«تبدو وكأنك قد تخرجت في الجامعة؟»

«ليس من الجامعة، لكنني ذهبت إلى مدرسة ثانوية. إلا أنها لم تعد موجودة». تنهد بحزن واستدار جانباً.

«لا تهتم، إن الحياة ليست سيئة جداً. لا أكون منشغلاً بعد الظهيرة، لذلك تعال وزرني. إن اسمي ميناميمورا إيوسوكي».

«آسف لعدم تقديم نفسي؛ أنا من شوكوكو واسمي كجيكي كمباي».

حالما نطق باسمه بدا الرجل وكأنه قد ندم على ذلك.

«يعرفني الناس باسم نكامورا تارو، لذلك أفضل أن تدعوني بهذا الاسم. لا تخبر الناس الذين يعيشون تحت الجسر باسمي الحقيقي». قال ذلك وقد بدا متوتراً جداً.

«لن أقول أي شيء». قال إيوسوكي، «إنني لا أتحدث حتى عندما يجب علي الحديث، وكنت دائماً أقع في خلاف مع زوجتي بسبب ذلك».

«شكراً. أعلم أنني أستطيع الوثوق بك. منذ ذلك الشجار الذي وقع في ذلك اليوم، اعتبرتك رجلاً ذا شخصية. إنك أكثر أهمية مما يبدو على مظهرك. كيف تحول حالك إلى ما أنت عليه؟» تابع بتأثر شديد، «لابد أنها ظروف قاسية ومرة. يصعب على ياباني احتمال ذلك».

«كلا على الإطلاق!» قال إيوسوكي باستخفاف، «لقد أمرتني زوجتي بالخروج».

«إنك لا تقول الحقيقة على ما يبدو ولكني لن أسأل أكثر من ذلك. يا سيد ميناميمورا». قال الرجل وقد تغيرت نبرة صوته، «كيف تعتبر حال البلاد هذه الأيام؟ كيف ندعها تبقى على هذه الحال؟ ماذا سيحدث لليابان؟»

«كيف أعتبر حال البلاد؟ أعتقد أنها كما هي».

«ماذا تعني؟»

«عندما تخسر بلاد الحرب، فهي تؤول إلى هذه الحال».

دلت كلمات إيوسوكي على انفصال رجل متنور عن واقعه، ولكنه في حقيقة الأمر كان قد أعطى المسألة بعض الاعتبار. منذ هزيمة اليابان أصبح أكثر اهتماماً بظروفه الشخصية.

كجيكي كمباي غدا ضائعاً بين الأفكار. وجهه يمثل الوجه النموذجي للإنسان القروي- إذ عظام وجنتيه بارزة وجبهته عريضة وبشرة جسمه داكنة- يمكن اعتباره رجلاً بسيطاً غير معقد. كان يفكر بعمق شديد، إذ برزت عروق صدغيه وبدا عليه أسى لا يمكن وصفه.

«الآلهة فقط على معرفة بذلك. يجب ألا يستسلم اليابانيون لهذه الظروف البائسة!»

انبعثت جملة كجيكي من فمه بنبرة حادة، فكانت كخروج الهواء من عجلة سيارة مثقوبة.

«هل هناك خطب ما؟». فوجئ إيوسوكي.

«هناك أنواع مختلفة للهزيمة. هناك هزيمة قرطاج، وهناك هزيمة امبراطورية ألمانيا، وهناك هزيمة قبيلة هيكي وقبيلة أيزو- لقد هزموا جميعاً، إلا أن طريقة خسارتهم لم تكن واحدة. إذا كان على أمة أن تهزم، فلابد لها أن تهزم بكبرياء. يجب أن تكون هزيمة يفخر بها من

في السماء وفي العالم بأسره حتى يفخر بها المنتصرون. هزيمة بنظام ودون حقد مع الاعتراف بالأخطاء والاعتراف بالجرائم، ومع استعادة الشجاعة لأجل التجديد، هذه الطريقة الحقيقية للهزيمة».

بدا كجيكي منغمساً تماماً بحديثه المنفعل، «ولكن ماذا لدينا في اليابان اليوم؟ ما حال الناس في طوكيو؟ إنه أسوأ من الهزيمة. إنها هزيمة اختلطت بفوضى داخلية. لو أدرك الناس الهزيمة، لما آلت الحال إلى ما هي عليه. إنني خجل للملايين الذين ماتوا من أجل البلاد».

لما اغرورقت عيناه بالدموع مسحها كجيكي بذراعه الداكنة.

لم يحتمل إيوسوكي خطبة من هذا النوع. كان كلما دخل زملاؤه في وكالة الأنباء في نقاشات جادة، يتملص هارباً. أما اليوم وعلى الرغم من دموع كجيكي، فقد بذل قصارى جهده ليعطي أجوبة غير ملزمة.

«حسناً، إن الناس مرهقون ومرتبكون».

«لا تقل ذلك. يجب ألا يحبط الناس بهذه السهولة. إنك رحيم أكثر مما ينبغي. كم من السنين مرت منذ الاستسلام على «ميسوري»؟ إلى متى سندع هذا الفساد يستمر؟ هل لديك فكرة كم من الأشياء السيئة تحدث في هذه المدينة؟ أريدك أن تراها وسأكون سعيداً عندما أريك إياها. إن المشاهدة ليقين، إنها ستغير أفكارك. عندها ربما أطلب منك معروفاً ولكن سيكون هذا فيما بعد. ما رأيك بالخروج الآن؟»

كان كجيكي كمباي شخصاً غريب الأطوار، وكان مصمماً على أن يجعل إيوسوكي يرى بنفسه ما كان يدعوه بالجانب المظلم لطوكيو. لم يكن إيوسوكي بكسله المتأصل فيه، تواقاً ليرى الجانب المعتم ولا الجانب المضيء ولا أي شيء آخر، ولكنه لم يقو على رفض اقتراح صاحبه، لذا تبعه بخضوع.

بينما هم الاثنان بالمغادرة، انتقد كجيكي مظهر إيوسوكي، «لاتستطيع الخروج بهذه اللحية. تبدو وكأنك عائد للتو من أدغال كودالاكنل». أخرج سكين حلاقة من أحد الصناديق، وطلب من إيوسوكي أن يحلق ذقنه.

مر بعض الوقت. ولكن حالما تخلص إيوسوكي من لحيته السوداء الكثة، ظهرت مشكلة أخرى متمثلة في ثيابه.

«البزة لن تثير الانتباه. ألديك واحدة؟» قال كجيكي.

بعد أن ارتدى إيوسوكي بزته لم يكن كجيكي الوحيد الذي أصابته الدهشة، بل السيدة سوزوكي والسيدة تكاسوغي أيضا، إذ بدأتا في التعليق مازحتين، «آه يا سيد ميناميمورا. إنك تبدو رجلاً مثالياً. إلى أين أنت ذاهب؟»

بعد أن حلق لحيته تماماً وارتدى بزته المصنوعة من الجوخ، بدا إيوسوكي متميزاً عمن حوله، على الرغم من عدم إدراك الآخرين لما كان يعانيه من الحر في شهر آب.

«فقط، لا تطلب مني أن أرتدي ربطة عنق».

بدا قميصه الذي غسله من قبل مجعداً وكان قد فتح أزراره العلوية.

انطلق الاثنان بقيادة كجيكي الذي انتقد مظهر إيوسوكي، على الرغم من أن ثيابه لم تكن رسمية، إذ ارتدى قميصاً بأكمام قصيرة وبنطالاً خاكياً. ربما كان هذا اللباس المعتاد وقت الصيف، لهذا كان مظهره اعتيادياً.

تسلقا السلم ليخرجا إلى الشارع الرئيسي. باغتتهم مباشرة رائحة المدينة، المليئة بالغازولين والحديد الصلب تجلبها نسمات جنوبية غربية، فذكرت إيوسوكي بالمجتمع الذي انتمى إليه ذات يوم. لم تكن الرائحة قوية هكذا عندما كان يخرج كل صباح في جولاته اليومية، فلماذا يشعر بمثل هذا الفارق الآن؟ فكر في أن السبب قد يكون ارتداءه البزة للمرة الأولى منذ زمن.

«من أين نبدأ الآن؟» قال كجيكي لنفسه. بعد توقف قصير في الشارع، توجه نحو محطة سيدوباشي.

«دعنا نذهب إلى مكان قريب». اقترح إيوسوكي، لما كان الاثنان يسيران في المنحدر، «يبدو أنك تعرف المدينة جيداً وهذا غريب بالنسبة لشخص يعيش حيث تسكن».

«إنني أعرف شوارع طوكيو الخلفية والجانب المظلم منها أفضل مما يعرفها أي صحفي». قال كجيكي بقليل من الزهو.

«ما عملك؟ أعتقد أنه ليس أحد المهن الليلية؟» قال إيوسوكي قاصداً جس النبض.

«لاتكن سخيفاً». احتج كجيكي، «أتظنني لصاً أو سارقاً؟ سأريك على الفور».

اعتلى كجيكي القطار في محطة سيدوباشي، ثم حدق باتجاه موقع لعبة البيسبول وسباق

الدراجات في حديقة كركون.

«انظر إلى هؤلاء الناس». تمتم، «لقد نسي كل واحد منهم أننا خسرنا الحرب».

ترجل الاثنان من القطار عندما وصل إلى المحطة الأخيرة حيث المنطقة المعروفة بأماكن التسوق والترفيه، وبدأ كجيكي ينظر من حوله وكأنه يبحث عن شيء.

«ربما كان من الصعب إيجاد شخص مناسب، فالوقت مبكر».

كانت الساحة التي تقع أمام المحطة مليئة بالرجال العاملين، الذين أسرعوا الخطى ليلحقوا بالقطار، وربات البيوت اللاتي ظهرن في عجلة من أمرهن لشراء احتياجاتهنّ المنزلية، في حين تجول إيوسوكي وصاحبه باستمتاع.

أشار كجيكي إلى إيوسوكي ثم أخذ طريقاً طويلة ومرتفعة باتجاه غرب المحطة، وكان المشهد هناك مختلفاً تماماً. فمعظم البيوت قد بنيت بعد الحرب. أما المحلات التجارية ذات الواجهات الصارخة الألوان، فآيلة للسقوط، وبضائعها المنشورة على رصيف الشارع محمية من أشعة الشمس بمظلات مائلة. بدت المنطقة مفعمة بالحياة.

«إنهما مثالان جيدان». أشار كجيكي إلى شابين بدا أنهما طالبان وهما يخرجان من محل تجاري ذي يافطة حمراء كتب عليها (ماهيجونغ).

«اللعنة!» قال أحدهما «لم نستطع أن نربح شيئاً هناك». كانت ربطة عنقه المبهرجة معلقة حول عنقه بشكل طليق، وسترته الدراسية علقت على أحد كتفيه بطريقة ترمز إلى ما بداخله من تحد وعنفوان.

«ولكن عندما حاولت الاصطياد هناك . ».. أشار وهو يلحق بصاحبه. كانت أزرار قميصه مفتوحة، وتتدلى سيجارة من على شفتيه، وقد ظهر على ذقنه بعض البثور. تميز كلاهما بشعر طويل وقبعة مائلة كأنها على وشك الوقوع في أي لحظة، كما بدت أحذيتهما الجلدية غالية الثمن.

بدأ كجيكي يتبع الشابين مشيراً لإيوسوكي ليلحق به. لقد مضى وقت طويل منذ أن اختلط إيوسوكي بطلاب كهؤلاء. في واقع الأمر لم يبد عليهما أنهما طالبان، وقد تساءل عما إذا كانا يتظاهران بذلك، لاسيما أنه لم تبد عليهما أي من علامات الثقافة والعلم بتاتاً. يتذكر إيوسوكي كثيراً من الطلاب الذين لم يكن ينبغي لهم التواجد في الجامعة عندما كان

يدرس هناك. فقد كانت أمزجتهم وقدراتهم الذهنية، تنسجم أكثر مع تعلم زراعة الحدائق أو الصباغة أو أية حرفة مفيدة. إلا أنهم دخلوا الجامعة عكس رغبتهم لأن الشهادة الجامعية تستمد أهميتها من كونها ضماناً للحصول على مرتب شهري. ألم يتغير الزمن؟ إن من الغرابة بمكان ارتياد مثل هؤلاء الشبان الجامعة ما لم يكونوا راغبين في ذلك.

انعطف الشابان ليسيرا في طريق جانبي سرعان ما بدأ يضيق فراحا ينعطفان يميناً ويساراً. كانت المنطقة تعج بالحانات ومحلات تجارية تباع فيها ثياب مستعملة. في أحد المحلات الطويلة والضيقة تجمع أناس كثيرون حول منضدة بيع تشبه حذوة الفرس، وقفت بجانبها امرأة تنادي بصوت صاخب. انضم الطالبان إلى أولئك الناس.

«ما هذا؟» سأل إيوسوكي.

«إنها لعبة البينغو». شحب وجه كجيكي إثر رؤية هذا المنظر، «لقد هزموا في الحرب، والآن هذا ما يفعلونه».

قبل أن يستوعب إيوسوكي هذا النوع الجديد من المقامرة، عاد الطالبان إلى الشارع وبدا عليهما الضجر بسرعة. تابع كجيكي لحاقه بهما بعد أن ألح على إيوسوكي.

«هل شاهدت ذلك؟ حتى الصغار يتواجدون هناك!» قال كجيكي عابساً. لاحظ إيوسوكي ولداً في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره يجلس خلف المنضدة مثل لاعب محترف.

بدأ الطالبان يسرعان الخطى باتجاه آخر، وفي طريقهما اشتريا قطعاً من المثلجات وراحا يلعقانها وهما يعبران الدروب الضيقة التي بدت مألوفة لهما، حتى وصلا شارعاً بنيت عليه أكواخ مؤقتة. إن المباني الخشبية الرخيصة منتشرة في كل مكان، ولكن هذه الأكواخ على وجه الخصوص كانت متهالكة جداً. كان الوقت لايزال باكراً، لذلك لم يكن هناك إلا القليل من الناس. كان يباع في كل منزل الطعام والشراب على الرغم من عدم وجود رائحة طهي، بل على العكس غطت رائحة المجاري المكان.

راح الطالبان يهمهمان بلحن شائع وهما يدخلان أحد البيوت، في حركة بدت محاولة لإخفاء شعورهما بالذنب.

«عرفت أنها قادمان إلى هنا». كان كجيكي يهنئ نفسه على صدق حدسه.

«ما هذا المكان؟ إنه مكان يشبه «ممنووي»؟» سأل إيوسوكي مسمياً إحدى أرخص مناطق البغاء.

«إنه أسوأ من ذلك. سأريك لتعرف ما يصبو إليه الطلاب في هذه الأيام». دخل كجيكي بجرأة إلى المنزل المجاور.

«أهلاً وسهلاً» قالت امرأة كانت ترتدي فستان نوم فقط، «إنكما مبكران قليلاً». كانت الساعة الثالثة بعد الظهر، ولكنها كانت تنظف أسنانها.«لسنا هنا كي نشتري، إننا نريد هذا». قال كجيكي مشيراً بيديه أمام عينيه.

«ولكن ليس هناك أي زبون حتى الآن». قالت المرأة باحتجاج.

«لقد قدم اثنان للتو!»

«كنتما تراقبان المكان إذاً».

شرب كل من كجيكي وإيوسوكي الجعة في ردهة صغيرة في الطابق الأرضي، وبعد خمس دقائق عادت المرأة لتهمس في أذن كجيكي الذي قال لإيوسوكي بعد أن وخزه في فخذه، «اتبعها».

لم يفهم إيوسوكي ما كان يدور من حوله. طلب منه خلع حذائه، ثم اقتيد إلى غرفة قذرة حجمها يعادل قطعتي حصير، ولها نافذة تطل على حديقة خلفية. بجانب النافذة كان هناك سلم يقود إلى علية المنزل، فأشارت له المرأة أن يصعد السلم بهدوء. كان عليه الانحناء في الغرفة العلوية كي لا يؤذي رأسه. لحقت به المرأة ففتحت باب خزانة ثبتت على الجدار يوازي ارتفاعها خصره، ثم دفعت بإيوسوكي في داخلها كما لو كان حقيبة ثياب. كان أمامه ثقب في الجدار وضعت فيه عدسة، يمكن من خلالها رؤية ما يدور في البيت المجاور.

كان هناك جسدان، أحدهما جسد الطالب الذي كان يرتدي ربطة عنق، إلا أن تلك الربطة لم تعد موجودة حول عنقه، ولم يكن يرتدي قميصه، ولا أي شيء آخر.

«إذن، ماذا تظن؟ إنه شيء مريع أليس كذلك؟» كان هذا أول سؤال يسأله كجيكي عندما التقيا في اليوم التالي.

«ربما، ولكن لاعلاقة لذلك بالهزيمة. الطلاب في مارسيليا، كانوا يفعلون ذلك منذ وقت بعيد».

ربما كانت المشاهد التي عمد كجيكي أن يصدم إيوسوكي بها مقرفة، إلا أنها لم تغضبه. قد يكون مرد ذلك البلادة المتأصلة فيه.

«إذاً، أنت لا تأبه إذا كان الطلاب يمارسون مثل هذه الأفعال المقززة؟»

«لطالما تجاوز الطلاب الحدود، حتى عندما كنت شاباً». تذكر إيوسوكي كيف كانت الشهوانية البشعة سائدة في عام 1932 –1933، إذ وقع الطلاب آنذاك تحت تأثيرها، حتى إن أحد زملائه راح يتباهى بكونه يقدم بعض الخدمات الجنسية لمومس من أجل الحصول على المال. يمكن اعتبار ما فعله الطالبان اللذان شاهدهما في اليوم السابق بسيطاً بالمقارنة مع أفعال زميله ذاك، لاسيما أن طلاب فترة ما بعد الحرب راحوا يتبعون خطى من سبقهم منذ حقبة ميجي. وعلاوة على ذلك، فإنهم يثيرون الشفقة كونهم يبحثون عن متعتهم بطريقة رخيصة، مما يجعلهم هدفاً لمن يريد التلصص واستراق النظر.

«يبدو ألا شيء يثير غضبك. سأريك هذا اليوم شيئاً مختلفاً». عدم تفاعل إيوسوكي جعل كجيكي أكثر تصميماً كي يجد شيئاً يثيره.

«أنا آسف ولكنني شاهدت ما يكفي». عارضه إيوسوكي، «فأنا لا أريدك أن تنفق مالاً لهذا الغرض».

كان يعني ذلك حقاً، فلابد أن يكون كجيكي قد أنفق خمسمئة أو ستمئة ين في اليوم السابق.

«لا تأبه لذلك. عندي شيء في ذهني ولأجل ذلك أريدك أن تكون مطلعاً على الواقع الحالي. أتحدث حول قضية تصب في مصلحة الأمة، لذلك فالمال ينفق بطريقة وجيهة».

لم يكن واضحاً ما كان يعنيه كجيكي بكلامه، إنما بدا جلياً أنه يملك المال، وهو ما يثير الفضول. في اليوم السابق، كانت لديه رزمة سميكة من النقود. قال إنه ليس سارقاً، ولكن هل يمكن الوثوق بكلامه؟ ليست من عادة إيوسوكي التفكير ملياً عند اختيار أصدقائه، لذلك لم يأبه لماضي هذا الإنسان الغريب وشخصيته.

«إذا أطعتك، فهل يتعين علي ارتداء بزتي؟» سأل إيوسوكي.

لم يكن إيوسوكي مرتاحاً في اليوم السابق، فهو يشعر براحة أكبر وهو يرتدي ثياب عمله. وعلاوة على ذلك، فارتداء البزة يمنعه من التقاط أعقاب السجائر من الشارع، فهي تقيده،

ولا تمنحه الحرية التي يرجوها.

«لن يحترمك أحد وأنت ترتدي ثياب جامع النفايات. سأجعلك ترتدي بزة فاخرة قريباً». لم تكن لدى إيوسوكي أية فكرة عما كان يقصده.

في ذلك اليوم، أخذ كجيكي إيوسوكي إلى أسكوزا. في بادئ الأمر، ذهبا إلى استعراض للتعري في مسرح ربازا. كان إيوسوكي ارتاد مثل هذا الاستعراض من قبل في شونجوكو، لذلك لم يجده مؤثراً كثيراً. بعدها شاهدا فيلماً عن الولادة، وعلى الرغم من نزيف الدم الهائل، لم يكن ذلك أكثر تأثيراً بالنسبة له من صور الحوادث التي يشاهدها في الصحف دائماً.

«لا يبدو أن هناك شيئاً يهزك». اشتكى كجيكي.

«يعلم الجميع بما يجري في طوكيو في الخفاء». قال إيوسوكي.

«نعم، ألا تعتقد أن اعتبار الناس مثل هذه الأشياء أمراً طبيعياً هو أمر مقزز؟ دعني أجرب شيئاً مختلفاً». بدأ كجيكي يسير بسرعة أكبر. قطعا المنطقة المعروفة بأماكن الترفيه واللهو بأكملها. حتى إن إيوسوكي الذي يعرف أسكوزا قبلاً، لم يعد يعرف في أي منطقة هو. تابعا السير، وكانت آثار القنابل لاتزال موجودة وسط مساحات فارغة منتشرة على الجانبين. معظم الأبنية الحديثة وضعت عليها لافتات تدل على أنها نزل. كانت هذه المنطقة قبل الحرب معروفة بالنزل الرخيصة للتجار المسافرين. وقد بني مكانها مطاعم تقليدية وضعت عليها لافتات رسمت عليها ثلاثة خطوط عمودية حمراء متموجة وإشارة ترمز إلى الينبوع الدافئ، كما علقت عليها لوحات خشبية كتبت عليها تسعيرات الغرف.

«هذه فنادق رخيصة تؤجر بالساعة. إنها منتشرة في جميع أنحاء طوكيو، فإشارة الينبوع الدافئ تلك تعني التخلي. إنها تعكس علاقتنا بأخلاقنا منذ الحرب. ماذا حدث لهذه البلاد؟ يبدو وكأن جميع السكان قد دخلوا في حالة غليان مفاجئة».

كان كجيكي يغلي في داخله وهو يقف في منتصف الطريق محاطاً بمثل هذه الأبنية. سارا مبتعدين حيث قل عدد النزل والفنادق، وأصبحت المنطقة سكنية، وقد علق على كثير من البيوت يافطات لأطباء الأسنان.

«أطباء الأسنان هؤلاء يصلحون نتائج ما يحدث في الفنادق». قال كجيكي.

«هل تعني أن الناس يصابون بنخر الأسنان نتيجة تناولهم حلويات كثيرة؟» سأل إيوسوكي ببراءة تامة.

«لا تكن غبياً». وبخه كجيكي، «مكتوب على اللوحة طبيب أسنان ولكنهم يقومون بالإجهاض».

شعر إيوسوكي بغرابة شديدة، وفكر في تقنيات الأطباء التي فاقت قلع الأسنان.

ذهبوا إلى مكان أبعد، وفي لحظة ما جعل كجيكي إيوسوكي ينتظر خارج المقهى في حين راح يستفسر بالداخل، وعندما خرج قال: «هناك شيء غريب يجري هنا».

انعطف نحو شارع فيه مبان أكثر وغابت اللافتات التي تحمل رمز الينبوع الدافئ، إذ تم تجنبها للتملص من الضرائب.

في داخل إحدى تلك البنايات رأى إيوسوكي امرأة عارية تماماً باستثناء قميص سباق دراجات قصير، تزاول رياضة ركوب الدراجة على دراجة ثابتة، واعتبره منظراً سخيفاً.

«ما رأيك؟ منظر مقزز، أليس كذلك؟» سأل كجيكي بثقة، ولكن لم يحرك ذلك في إيوسوكي شيئاً.

«حسناً. إنه ليس مقززاً أكثر من فيلم الولادة. أليس كذلك؟ باستثناء عدم وجود طفل وليد».

في اليوم التالي رافقه كجيكي مرة أخرى، «من الأفضل أن نذهب في الليل». قال كجيكي آخذاً بزمام القيادة وهو يصعد درج محطة يونو، نحو التمثال البرونزي لقائد ميجي يدعى سايغو تكاموري. كان إيوسوكي قد وضح لكجيكي أنه لا يفضل التنزه ليلاً، إذ يجب عليه أن يستيقظ باكراً للعمل. وفي حقيقة الأمر، كان قد بدأ يخاف تلك المشاهد حتى في وضح النهار.

«اسمع». قال كجيكي بامتعاض، «ابق عينيك مفتوحتين حتى ترى كم أصبح الناس فاسدين. بالطبع، إنك لن تستطيع رؤية الفساد كله مرة واحدة. لا أستطيع أن أريك الأفعال الشريرة التي يقوم بها السياسيون أو البيروقراطيون أو رجال الأعمال أو مدرسو الجامعات. ولكن كحال الطبيب الذي يشخص المرض من خلال قياس النبض، يمكنك الحكم على المشكلة برمتها من خلال تفحصك للأعراض. إن نظرة خاطفة إلى حافة المجتمع الفاسد

ستوضح لك سوء الحال. في الأيام الماضية القليلة كنت أريك المجتمع في أسوأ حالاته، وعلى الرغم من ذلك فإنك لا تبدو مهتماً، وقد بدأت أفقد صبري». قال كجيكي مظهراً خيبة أمله، «فكر من فضلك بما تراه بملء عواطفك».

لم يكن انعدام تفاعل إيوسوكي مع ما رآه ناجماً عن عناد أو تظاهر بعدم الاكتراث، بل كان نتيجة طبيعته الهادئة. في حقيقة الأمر، إن الفساد الذي تجشم كجيكي عناء إطلاع إيوسوكي عليه كان يظهر بالتفصيل في الصحف الأسبوعية مثل صحيفة بونماي شونجو وشوكان أشيتا. كانت الصحف والمجلات توثق ذلك بجميع تفاصيله، استمراراً لعادة تشكلت لديها، عند تغطيتها لأخبار الجنود خارج البلاد. في العامين أو الثلاثة أعوام الماضية، ظهرت مقالات لا حصر لها حول حديقة يونو بارك، التي كانت تسمى أحيانا نوجامي بارك. إذ نشرت قصص كثيرة حول انتشار البغاء هناك حتى فقد إيوسوكي الاهتمام بها. وعندما أدرك أن كجيكي ذاهب به إلى هناك، أصابه بعض الاكتئاب.

«يحظر الدخول إلى هذه المنطقة بعد حلول الظلام». قال كجيكي وهو يسير مراقباً المكان المحيط بقاعة بوذا شيموزوداي الحمراء، كما لو كانت مكاناً حقيقياً لتجمع المجرمين. كان النهار في منتصفه، وكان المشردون مستلقين تحت الظلال. ولم يحتقرهم أو يزدريهم إيوسوكي، بل شعر بأنه واحد منهم.

«إنهم يفعلون ذلك هناك».

أخفض كجيكي صوته، وأومأ بعينيه نحو الظلال خلف قاعة بوذا.

كان يقف أحد أولاد الشوارع – لا يتجاوز الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره– وقد رفع كم قميصه للأعلى ومد ذراعه، في حين وقف رجل قذر في منتصف عمره يحمل بيده حقنة.

«إنه عقار منبه يدعى فيلوبون». قال كجيكي. شعت عينا الولد بالحيوية، وبدا كمن أعطي للتو لقاحاً من قبل طبيب في المدرسة.

«أصبح الأولاد هذه الأيام مدمنين». قال كجيكي بعويل ونحيب. «إنه أسوأ شيء ممكن أن يحدث».

لم يجد إيوسوكي المشهد مقززاً، بل جعله يتذكر طفولته عندما بدأ يدخن من غير علم أبيه.

أشار كجيكي بخيال خصب إلى أن الملاجئ بنيت من قبل المومسات بين القبور داخل المقبرة، وخلف لوحات الإعلانات قرب سكة الحديد، ولكنها كانت تختلف قليلاً عن الأكواخ التي يسمونها الآن «المنازل»، ولم يكن ذلك مفاجئاً.

سرد كجيكي حكايات حول جريمة قتل مومس وانتشار تجارة المخدرات في ذلك المكان، حيث من الصعب ملاحظة أي شيء خاصة في وضح النهار. يقال إن المراحيض العمومية ترتاد من قبل المنحرفين جنسياً عندما تكون الحديقة فارغة وهادئة، ما أكسبها سمعة سيئة. عندما قيل له إن ضابطاً قد وقع في غرام مومس وتم القبض عليه، ثم أقيل من عمله ليعمل قواداً، لم يستغرب إيوسوكي بل فكر في أنه قد يفعل الشيء ذاته لو وضع في نفس الموقف.

«إنك حالة صعبة يا سيد ميناميمورا. اعتقدت أنك ستفهم مقصدي الآن. لم يبق سوى مكان واحد. هل تريد الذهاب إلى إيكونوهاتا؟»

بدأت لا مبالاة إيوسوكي تتعب كجيكي.

«لقد رأيت ما يكفي. دعنا نعود!» قال إيوسوكي وهو يمسح عرقه بيده خلف رقبته.

«التوقف في هذه المرحلة سيكون كحال قسيس يقدم عظات لمئة يوم، فينتهي به الأمر بأن ينجس نفسه؛ إن ذلك سيحول ما فعلناه إلى شيء لا معنى له. دعنا نذهب إلى أساكوزا مرة أخرى. كثيرون يذهبون هناك، وما رأيته في المرة الماضية ما هو إلا عينة فقط».

«ولكن الجو حار جداً».

كان كجيكي نحيفاً جداً، فلم يدرك حجم معاناة إيوسوكي بسبب طبقة الشحم السميكة.

«تستطيع تحمل القليل من الدفء؟ إن هذا يصب في مصلحة الأمة». لم يكن لدى إيوسوكي رد جاهز على هذه الجملة.

«دعنا نتجول في أساكوزا».

«هل سنذهب سيراً على الأقدام؟»

«ليس مضيعة للوقت». قال كجيكي، «المومسات والمجرمون غالباً ما يتنقلون ذهاباً وإياباً بين يونو وأساكوزا. لذلك سنشاهد كثيراً منهم في الطريق، وسأخبرك عما ينبغي لك البحث عنه».

قاد كجيكي الذي لا يكل ولا يمل إيوسوكي الذي تبعه بتذمر وتردد. أمام محطة يونو، كان الشارع مليئاً بحشد كبير من الرجال والنساء الفاسقين من قبيلة نوغامي. راح كجيكي يقطع الشارع مسرعاً بلا توقف، إذ كان يدرك أن جميع الناس على علم بهولاء. بعد أن انعطف في شارع فرعي، تابع سيره بصمت، وعندما وصلا إلى مبنى إسمنتي ضخم يشبه قسم الشرطة، توقف هناك فجأة وكأن فكرة قد خطرت له. «يا سيد ميناميمورا يبدو أنك متعب من الحر، ما رأيك بأخذ حمام؟»

كان اقتراحاً مغرياً، إذ أن إيوسوكي كان بحاجة إلى الاستحمام بالفعل، فقد كان يتوق إلى نقع جسده في حوض استحمام، فالسباحة في الماء البارد قرب النهر جعلت جلده جافاً وخشن الملمس. وبما أنه يرتدي بزته هذا اليوم، فإنه يستطيع إذن أن يدخل حماماً عمومياً دون أن يقابل أي اعتراض. اشترى كجيكي فوطة وقطعة صغيرة من الصابون من متجر قريب.

«ادخل». قال وهو يقدمهما لإيوسوكي، «ولا ضرورة لأن تستعجل».

«ألن تأتي؟»

«سأنتظر هنا». قال كجيكي، «يكون التأثير أكبر لو كنت وحدك».

لم يفهم إيوسوكي، ولكنه لم يأبه.

كان حماماً عمومياً عادياً في شارع خلفي صغير، وقد بني في وقت الحرب. عندما فتح الباب الزجاجي القاتم اللون، رأى إيوسوكي ثلاثة رجال يستحمون عند صنابير الماء في منطقة الاغتسال. *كان الوقت يقارب الساعة الرابعة، فقلة المغتسلين في مثل هذه الساعة* دليل على أن الحياة قد غدت أكثر استقراراً. الأيام التي كانت فيها الحمامات العمومية مليئة بالمغتسلين قد خلت. يعتقد إيوسوكي أن كل محلات الحلاقة والحمامات العمومية قد تخطت فوضى ما بعد الحرب.

قدم عامل الحمام تحية لإيوسوكي لدى دخوله.

بينما كان يخلع ثيابه ويضعها في سلة في غرفة تغيير الثياب، تذكر إيوسوكي فجأة ثيابه الداخلية ذات الألوان الصارخة، ولكن لحسن الحظ لم يلحظ أحد ذلك، فأخفاها بسرعة تحت بنطاله.

عندما دخل منطقة الاغتسال عارياً، استدار المغتسلون الآخرون ليحدقوا به، ليس بسبب طوله وحجمه غير الاعتياديين، ولكن لأن بشرته كانت نقية وناعمة كالخوخ الأبيض الطازج المقشر. كان لون بشرته أكثر نصاعة من بشرة كوماكو. راح يتذكر كيف داعبت جسده ذات مرة وهي تقول بغنج، «إنك تتمتع بتقاطيع رجل حقيقية». حدث ذلك منذ وقت بعيد.

مازال الماء في الحوض الكبير نظيفاً، وعندما دخل فيه إيوسوكي ارتفع منسوبه بشكل ملحوظ. اعتبر ذلك نعمة نزلت عليه من السماء، لاسيما أن إيوسوكي يحب الاغتسال داخل الماء أكثر من أي شيء آخر. كان أحد مصادر استيائه هو وكوماكو، أنه لم يكن يملك القدر الكافي من المال لبناء حمام كامل في منزلهما. جعله هذا الحمام يثمن قيمة الحمام الكبير.

خرج من الحوض وراح يغسل جسده بالصابون بهمة ونشاط، مزيلاً القشرة المتراكمة على جلده لأسابيع، إذ مرت أسابيع ستة منذ ذهابه آخر مرة إلى حمام سوشوداي العمومي. كان في قمة استمتاعه بالنظافة والحيوية عندما خطر له أنه لابد أن يكون لدى كجيكي دافع خفي وراء إحضاره إلى هنا. لم يكن هناك أدنى أثر لحثالات المجتمع التي كان كجيكي يحاول جاهداً عرضها عليه. ربما تسرق الثياب هنا؟ هل أرسله كجيكي كي يختبر ذلك؟ لكن اثنين من الرجال الثلاثة كانا قد غادرا المكان. عندما نظر إلى السلة التي كانت فيها ثيابه، في غرفة التبديل، وجد ملابسه كما هي. أما الرجل الثالث الذي بقي مكانه، فبدا رجلاً مسناً مسالماً.

قد يكون كجيكي أخطأ في تقديره، هكذا فكر إيوسوكي، وراح يغسل شعره بالصابون السائل مثيراً كمية من الرغوة وهو يفرك شعره بهمة كبيرة. عندما غسل شعره ورفع رأسه أصيب بصدمة عنيفة جداً.

في بادئ الأمر، اعتقد إيوسوكي أن ما يراه وهم. اعتقد يقيناً أنه دخل حمام النساء بالخطأ. هدأ نفسه عندما رأى الرجل المسن وهو يمسح ظهره الذابل، فعرف أنه لم يرتكب خطأ، ولكن كان هناك أربع نساء متجهات نحو صنابير الاغتسال؛ لابد أنهن خرقن النظام.

«أعطني ذلك الحوض. ألا فعلت ذلك ياعزيزتي؟»

«إنه الكسل! ها هو».

«شكرا يا عزيزتي. يا لحسن الحظ إن المكان غير مزدحم اليوم».

«نعم. عندما يكون مزدحماً أشعر بالحرج عندما أضع مساحيق التجميل على وجهي».

أيعقل أنهن نساء! فكر إيوسوكي. وضعت النساء علب الصابون السائل في الأحواض الملونة، بالإضافة إلى علب مساحيق التجميل ومسحوق الصابون. كانت شعورهن مرفوعة إلى الأعلى على الطريقة الغربية واليابانية. لم تكن على وجوههن مساحيق تجميل، ولكن كان عليها بعض الآثار. لا يحتاج الأمر إلى ذكاء عبقري كي تستنتج أنهن نساء.

كيف يمكن للنساء أن يدخلن حمام الرجال دون أن يعترضهن عامل الحمام؟ إنه ليس مكان ينبوع ساخن لحمام مختلط. أهي عادة يختص بها هذا الجزء من المدينة.

قد يكون هذا ما عناه كجيكي بقوله «انحلال المجتمع». حاول إيوسوكي أن يجد تفسيراً لذلك، ففكر في أنه قد يكون بسبب عدم وجود حمام مفتوح للنساء في مثل هذا الوقت المبكر. بالتأكيد ما كان لهذا الأمر أن يحدث قبل الحرب.

أصيب إيوسوكي بصدمة. كانت تربيته جيدة، وهو يتمتع بأخلاق الرجل النبيل. وكان أيضا رجلاً خجولاً فلا تروق له فكرة وجوده عارياً أمام نساء سوى زوجته. لقد جعل ذلك قلبه يدق ورأسه يشتعل. دخلت النساء الحوض وتأنين بالاغتسال. كانت رؤوسهن طافية فوق الماء، فرحن يحدقن بتمعن في إيوسوكي.

«رينكو، كيف كانت ليلتك البارحة؟ أكانت جيدة؟»

«كلا، بل كانت كارثة! لماذا ينتشر الفقر بين الناس هذه الأيام؟»

«الصيف دائما شحيح، وخصوصاً هذا العام. يكاد المرء لا يملك ما يستطيع أن يشتري به السجائر».

«أتمنى أن يقع أحدهم بحبي، ويصبح صاحباً دائماً لي».

نطقت امرأة هذه الجملة وهي ترمق إيوسوكي بنظرات غنج.

«الآن، الآن» أجابت إحدى النساء، «لا تكن طموحاتك عالية جداً». ضحك الجميع، كانت أصواتهن خافتة ورنانة على نحو غريب، أشبه بالصوت الأجش للمطربة كاسكي شوزكو.

من حمام النساء الذي كان يقع خلف الجدار، جاء صوت رش مياه وأصوات نساء رفيعة

مدوية بمرح مشابه. أصاب إيوسوكي ارتباك شديد عندما أدرك أن حمام النساء كان مفتوحاً ومستخدماً، وأن الأصوات القادمة من وراء الجدار ليست كأصوات النساء اللواتي كن حوله. لقد كانت مختلفة تماماً.

هناك شيء غريب حول النساء القريبات منه. يفصح حديثهن عن طبيعة عملهن، التي تستلزم البحث عن الزبائن. ولكن خرقهن النظام من خلال دخول حمام الرجال بوقاحة يشكل أكثر من صدمة؛ إنه انحطاط لا يمكن تفسيره.

تمنى إيوسوكي لو أخذ غطسة أخرى في الحوض، ولكنه لم يرغب في الدخول مع أربع نساء. بقي عند الصنابير يغسل وجهه مرة تلو المرة متظاهراً بعدم التأثر. في آخر المطاف، بدأت النسوة بالخروج من الحوض الواحدة تلو الأخرى، وبدت عليهن الرغبة في الاغتسال سوية، فوقفن في صف واحد أمام صنابير الماء.

«أعطني فوطتك». بدأت المرأة الثانية تغسل ظهر الأولى، بينما راحت الثالثة تغسل ظهر الثانية بالصابون وهكذا. ذكر هذا المشهد إيوسوكي بصورة رسمت على لوح خشبي لمجموعة من المكفوفين وهم يغتسلون.

عندما لاحظ أن الحوض فرغ، دخل ليهدئ نفسه بالنظر إلى لوحة رسمت على الجدار تمثل جزر متسوشيما. لم ينقطع عن التفكير بهؤلاء النسوة. لم تكن شهوته التي أثيرت بل فضوله. أدار رأسه خلسة، فرأى كل واحدة تنظف جسدها. كانت حركاتهن وقورة ورزينة كتلك التي تصدر عن أية امرأة ذات نسب جيد، يحاولن إخفاء ما يتعين إخفاؤه. وظهرن وكأنهن لوحة أوكيو وهن يحركن أجسادهن في جميع الاتجاهات، إلا أن أصواتهن واللغة التي كن يستخدمنها كانت تتعارض مع طبيعة حركاتهن.

جلست إحداهن أمام المرآة وغطت ذقنها بالصابون وبدأت في حلاقته. لم تكن امرأة عادية لتفعل ذلك، وعندما رفع إيوسوكي عينيه باتجاهها، استطاع أن يميز لديها تفاحة آدم ولدى النسوة الأخريات. سمح له شكه أن يحدق في أجساد النساء على الرغم من خجله.

كاد ما رآه أو بالأحرى ما لم يره يجعله يصرخ بأعلى صوته. كانت صدورهن مسطحة ككف اليد دون أدنى بروز.

شعر إيوسوكي بقشعريرة تنتاب جسده. فأحس بإعياء أصابه كما لو كان قد استنشق غازاً

ساماً. أراد الهروب بأسرع وقت ممكن. خرج من الحوض وراح يجفف جسده عندما بادرته إحداهن بالكلام.

«ياعزيزي كم هو جميل جسدك، دعني أساعدك». بينما كانت اليد الناعمة تمسح ظهره، أصدر إيوسوكي صرخة صامتة، ثم ركض نحو غرفة تبديل الملابس.

في غمرة الرعب تلك، لم يع إيوسوكي كيف ارتدى قميصه وبنطاله، حتى إنه لم يربط حذاءه. فقط عند خروجه إلى الشارع وبعد أن راحت نسمات المساء العليلة تداعب وجهه، أحس بأنه عاد إلى طبيعته. إلا أنه لم يشعر بنشوة الاغتسال، بل كان شعوره كشعور مسافر استطاع بصعوبة شديدة أن يهرب من مغارة ضيقة مسكونة بشياطين وغيلان. كم هو مريح الهروب بسلام!

علق به الإحساس بتلك الأصابع – التي تشبه اليرقانات الرخوة – وهي تمسح على ظهره، وبقشعريرة حاول مسح تلك الذكرى.

لقد رأيت مافيه الكفاية من نوغامي. كل ما أريد فعله هو أن أركب القطار وأعود إلى أوكناميزو. كل شيء سليم وآمن هناك، والناس طيبون. استدار كي يعود من حيث أتى.

«هيه، ياسيد ميناميمورا! إنني هنا». ناداه كجيكي من داخل متجر صغير يبيع المثلجات. «إنك تبدو شاحب الوجه. ماذا حدث؟» أشار كجيكي لإيوسوكي كي يجلس، «ما رأيك بماء مثلج؟»

«أعطني شيئاً غازياً، صودا أو نبيذ التفاح. شيئاً يطهر». تحدث إيوسوكي وكأنه كان تحت تأثير الخمر.

انتظره كجيكي حتى يفرغ من شرابه كي يسأله، «حسناً الآن، مارأيك؟»

أجاب إيوسوكي بصوت خافت، «لقد كانت صدمة!»

«إذاً قد أصابتك صدمة؟ أخيراً شاهدت شيئاً يصدمك؟» نظر كجيكي إليه دون اقتناع.

«كان وقتاً عصيباً. إنها فوضى كما قلت» استرسل إيوسوكي، «مازلت تحت تأثير الصدمة. لم أتجاوزها حتى الآن. لكن، هل هم ذكور أم إناث؟»

لم يفهم كجيكي خوف إيوسوكي من شيء لم يدركه.

«ألم تستطع معرفة ذلك وقد كانوا عراة؟»

«لا».

«إنهم مشهورون في ناغومي، وهم يزورون ذلك الحمام العمومي قبل خروجهم إلى الشارع في الليل».

أخيراً، حتى إيوسوكي البليد أدرك ما يعنيه كجيكي. ولكن لم يحسن ذلك حاله. كان بحاجة إلى حمام آخر كي يغسل تلك الذكرى.

«يا سيد مياميمورا! إذا كنت صادقا في قولك إن تلك الأوقات كانت عصيبة، فيجب عليك إذن ألا تبقى صامتاً، لو كنت فعلاً تحب بلادك».

تحول كجيكي إلى رجل رزين.

«تعني أن هذه الأوقات عصيبة؟ نعم هذا رأيي، ولكن».. تمتم إيوسوكي.

«لا تقل لكن. عليك أن تتحلى الآن بالمسؤولية».

الفصل الحادي عشر
رجل تحت الأرض

بدأ كجيكي قائلا: «سأخبرك عن نفسي». وتابع «لقد كنت في القوات البحرية، وارتكبت خطأ فادحاً، كلا، بل خطأ لا يمكن تبريره في خدمة بلادي». وهما جالسان تحت شجرة الصفصاف الضخمة روى كجيكي قصته لإيوسوكي. كان قد بدأ سرد أحداثها في مطعم في منطقة يونو، ولكنه توقف خشية أن يسمعه أحد. لم يشعر بالأمان حتى وصلا هذه البقعة المعزولة كي يتابع سرد أحداث قصته.

كانت الشمس قد غربت تاركة وراءها ضفة النهر تغرق في الظلام. انعكست فقط على وجنتي كجيكي أضواء شقق قوات الاحتلال الواقعة فوق رصيف النهر.

تحدث كجيكي عن هزيمة اليابان ومسؤولية ضباط الجيش عنها. لا يمكن لأولئك الناس أن يتآلفوا مع تلك الهزيمة، حتى لو ولدوا سبع مرات، اشتكى بحزن عميق جداً. كما كان هو ذاته مذنباً بارتكابه إساءة شنيعة.

«إنك رجل عادي لذلك ربما تعلم أهمية معركة جزر سليمان. كنا نربح قبل بدء المعركة، وتحركاتنا الليلة قد جلبت لنا سلسلة من الانتصارات. كنا نوشك على الاقتناع بأننا لن نهزم، وبعد ذلك تغيرت حظوظنا، فوضعنا في حالة دفاع».

رتبة كجيكي ملازم أول، وكان مسؤولاً عن زورق تابع لمدمرة. في أثناء القتال قرب جزيرة سافو حدث شيء غريب. على الرغم من حلكة الظلام في تلك الليالي، بدأت قنابل الأعداء وزوارقهم تضرب بدقة عالية. كانت القوات اليابانية البحرية قد دربت جنودها على الرؤية في الظلام ليكونوا كالبوم، ولكنهم لم يصلوا لدرجة الأعداء. في بادئ الأمر، شك بوجود جاسوس على ظهر الزورق، ولكن سرعان ما ثبت عدم صحة ذلك. أخيراً اقتنع بأنه لابد أن يكون هناك جنّيّ على ظهر سفينة الأعداء، والطريقة الوحيدة لتحقيق الانتصار تمثلت بقتل ذلك الجنّيّ أو أخذه أسيراً. بعد جدال عنيف مع قائد السفينة، حرض على القيام بهجوم

جريء محاولاً الانطلاق بسفينتهم ليصدم بها سفينة الأعداء، ولكنهم غرقوا حتى قبل صدمهم تلك السفينة. قضى معظم الرجال الذين كانوا على ظهر تلك السفينة نحبهم وكجيكي ذاته استطاع أن يطفو فوق سطح الماء حتى الصباح. عندما وجد طريقه إلى جزيرة وساعده سكانها الأصليون. في وقت لاحق وصل تلك الجزيرة جنود يابانيون كانوا يعملون على ظهر سفينة كانت قد غرقت، وبقوا هناك حتى نهاية الحرب. كي يدعم شرف القوات البحرية، أخفى ارتباطه العسكري، وأتخذ اسم نكامورا تاروا ليقدم نفسه على أنه رجل مدني. في خلال فصل الشتاء الذي تلا الحرب، التقطتهم سفينة بريطانية، وأعادتهم إلى وطنهم. عندما أكتشف أنه قد قيد في سجلات المتوفين من العائلة، قرر متابعة استخدام لقبه.

«أعتبر نفسي، بوصفي رجلاً عملت في القوات البحرية، مسؤولاً عن الهزيمة، ولكن بعد عودتي إلى اليابان، علمت أن الجنّيّ الذي كان يساعد الأعداء في جزيرة سافو، كان راداراً. لن أكون قادراً في حياتي على أن أكفر عن أولئك الذين ماتوا على سفينتي ولا عن بلادي بتقييمي للأمور خطأ». كان صوت كجيكي يرتجف منفعلاً.

تابع حديثة شارحاً حياته التي عاشها منذ تلك الحادثة. كان شرحه مسهباً في الأفكار، غير أنه مقتضب في الجزئيات.

«لقد كان باستطاعتي أن أقوم بإجراءات إعادة تقيدي على أني رجل حي، ولكن سجل عائلتي يقول إنني ميت، واسمي كان قد دفن من قبل. ما عدت يابانياً بدقة– أو على الأقل ما عدت رجلاً يخضع للقانون الياباني. لا يطبق قانون العقوبات على المتوفين ولا القانون المدني. هل يمكن لشبح أن يسجن؟ هكذا تبين لي أنني قد نلت حرية تامة. في الوقت ذاته علمت أن هذه الحرية ليست ملكي وحدي، وينبغي لي تقديمها لبلادي ورفاقي في الجيش اعتذاراً عن خطئي الشنيع، فبدأت التفكير بكيفية التكفير عن ذلك».

عمل بالسوق السوداء، بصحة تامة وبطبيعة مثابرة، متبرعاً بالمال الذي كان يكسبه لأسر *الجنود الذين قضوا نحبهم وكذلك كان يساعد أيتام الشوارع. على أية حال، سرعان ما بدأ يشعر بأنه منغمس في تلك المهمة وكأنه كان يطفئ لهباً كبيراً جداً ببندقية ماء. لقد أدرك أنه* إذا أراد مساعدة الناس، فإنه يترتب عليه إدخال كميات كبيرة من المال إلى البلاد. لقد درس الحياة في طوكيو واستنتج أن الفقر سبب جميع أمراض المجتمع. أكثر ما كان الناس بحاجا

إليه لم تكن الأخلاق ولا الثقافة بل المال. كانوا يتوقون لسماع قرقعة النقود، ليس لقرع أجراس الحرية، لذلك قرر أن يأخذ تكفيره شكل ملء خزائن البلاد.

«لقد وجدت رفيقين يفكران بالطريقة ذاتها». تابع كجيكي، «كانا قد قيدا في سجل الأموات، وهما أيضا يكترثان للورطة التي تمر بها بلادنا. يقولان إن كثيرين منهم مثلنا أموات على قيد الحياة. لقد شكلنا نحن الثلاثة، لجنة مسؤولية الحرب. إننا ميتون على كل حال، وهناك يقيم الأموات - تحت الأرض. جميعنا يعيش في مناطق مختلفة، ونجتمع سراً كلما دعت الضرورة. لقد قررت العيش هنا حيث تمر القطارات والناس من فوق رأسي. إنني أشعر تماماً كما لو كنت تحت الأرض».

عندما أنهى كجيكي حديثه تغيرت نبرته. «يا سيد ميناميمورا إنك تبدو مثل أحد أولئك الأموات الذين على قيد الحياة. حتى وإن لم تشارك في الحرب، فمن الواضح أنك تريد الانسحاب من المجتمع. ولك حضورك الذي هو نادر هذه الأيام. لست بحاجة إلى نكران ذلك. إنني أعرف العملاق إذا رأيته، وإنني أطلب منك الالتحاق بمجموعتنا ومساعدتنا.

ما كان لدى إيوسوكي أية فكرة عما يجب قوله، «لكنني لا شيء».

«قائد ميجي سايغو تكاموري أيضاً لم يدع نفسه بطلاً».

«إنني أعيش هنا فقط لأن زوجتي طلبت مني أن أخرج من المنزل».

«إنها قصة أويشي كورانوسويكي القديمة بتغيير جديد! إنك ذكي». قال كجيكي ضاحكاً. لقد أشار إلى بطل الرواية الشهيرة في القرن الثامن عشر متظاهراً بتفضيل أسرته، اختار لنفسه حياة العزلة ليخفي خطته كي ينتقم لموت سيده. من الواضح أن معرفة كجيكي بالتاريخ ترتكز على حكايات كودان. على أية حال، كان إلحاحه على زج إيوسوكي في دور اختلقه في خياله أمراً مضايقاً. ثقته بنفسه لم تكن لتهتز.

«إنك رجل عملاق، وأنا رجل صغير. إنني أسرد لك جميع أسراري، ولكن لا تحتاج إلى أن تفعل الشيء ذاته. لا أسألك عن نفسك شيئاً، ماهو أهم يا سيد ميناميمورا هل تعتقد أن اليابان في حالة فوضى؟»

«أعتقد ذلك». ذكرى الحمام العمومي؛ تلك اليد التي تشبه يد البزاقة الزاحفة على ظهره، لاتزال عالقة في ذهنه.

«لقد آن الوقت لكي تخرج من تقهقرك». قال كجيكي ملمحاً إلى ذاك الرجل الاستراتيجي العظيم للصين القديمة عندما أغري ليخرج من حالة تقاعده في كتاب رومانسيات الممالك الثلاث.

«أعتقد أننا قد أظهرنا لك كثيراً من اللطف حتى الآن».

«إنني أوافق على أن حالة البلاد مميتة، ولكنني لست على قدر كاف من الطموح كي أحاول فعل شيء حول ذلك. لا أمل في أن أعمل وأنا كسول، ولا فائدة ترتجى مني. كما اعتادت زوجتي أن تذكرني طوال الوقت».

«هذا لا يهم. هذا ما يعجبني بك. لا حاجة لك إلى الانغماس في عمل حقيقي. إننا نحتاج إليك فقط حضوراً هادئاً ضخماً في الخلف، وعندما نريد منك فعل شيء، فإننا سنخبرك. ستكون رئيسنا ورمزاً لنا».

إذا كان الأمر كله هكذا فهو يبدو سهلاً، فكر إيوسوكي. ولكنه شعر بأنه ينبغي له أن يستبين الأمر أكثر قبل إعطائه موافقته.

«إذاً ما هو عملكم؟» خافضاً صوته، «تهريب الخمر والسجائر؟»

«من الأفضل لو لم تعلم في الوقت الحاضر. ستسمع عنه في المستقبل أكثر مما تريد سماعه. إنه في مصلحة أمتنا لو كان قائدنا ليس في خطر. كل ما ينبغي لك معرفته هو أن هدفنا إدخال المال الأجنبي إلى بلادنا. مهما كانت تجارة الخمر والسجائر والسوق السوداء مربحة، فإن تلك النقود لا تدور إلا في اليابان فقط، ولا تجعل الأمة أكثر غنى. إلا أن هذا كاف في الوقت الحاضر، وكل ما أتوقعه منك هي كلمة واحدة ... نعم». مد كجيكي يده في الظلام، وضغط على يد إيوسوكي. لم يرد إيوسوكي بضغطة مماثلة، وعلى الرغم من ذلك، فإن كجيكي كان شديد الابتهاج.

«شكراً جزيلاً».

في اليوم التالي، تغير تعامل كجيكي مع إيوسوكي تماماً، وكان ذلك التغير لطيفاً بقدر كاف، فهو لم يدع إيوسوكي يشرب من حليب العنزة كما شاء فحسب، بل راح يعطيه سجائر حقيقية أيضاً– ليست من أعقاب السجائر الملتقطة من الشوارع– وعلاوة على ذلك، فقد قدم له رزمة عشرة قطع ذات المئة ين، ودعاها عوناً سرياً. لم يعرف إيوسوكي لماذا هو بحاجة

إلى عون سري، ولكن تلك النقود قد حررته من عبء العمل، وعدم القيام بشيء كان لا يرحب به على الدوام. منظر إيوسوكي وهو يقضي وقته عاطلاً من العمل سيطلق العنان للألسنة كي تنال منه لو كان في مكان آخر، ولكن في هذا المكان لم يثر أي تعليق. هذا المكان يشبه الفردوس الشخصي.

لقد افترض كينجي المسن ببساطة أن إيوسوكي قد عثر على محفظة مليئة بالنقود، وظل يعامله بذات الطريقة.

أصبح إيوسوكي متحرراً منذ الصباح، فغدا باستطاعته أن يزور كجيكي متى شاء، ولكن الرجل كان يقضي معظم وقته في الخارج. لم يعلم إيوسوكي أين كان كجيكي يقضي وقته، ولكن غدا من المقبول أن يأتي إيوسوكي متى شاء، ويستطيع كذلك أن ينام في الكوخ ويعتبره منزله الثاني. كان إيوسوكي يحب الحيوانات، فراح في بعض الأوقات يطعم العنزة من العلف المحتفظ به في الكوخ.

كان إيوسوكي يرعى العنزة في أحد الأيام عندما راح المطر ينهمر، ولأنه لم يدعها تحت المطر، أدخلها الكوخ و ربطها تحت السقيفة حيث كان كجيكي يجعلها تقضي الليل. ولما أراد إيوسوكي أن يقي نفسه من المطر الشديد دخل الكوخ. كان لكوخ كينجي المسن والأكواخ المجاورة حماية مزدوجة نتيجة أسقفها الخاصة، وكذلك الجسر الذي يمر فوقها. ولكن نتيجة هذا ما كانوا يسمعون صوت المطر عندما ينهمر فوق الأسقف. بينما كان إيوسوكي يصغي بحنين إلى صوت انهمار قطرات المطر فوق السقف، وجد نفسه يفكر بكوماكو. أتساءل إن كانت تقضي وقتها بلا صعاب. أم ....

لقد ومضت في ذهنه صورة مثيرة جداً لكوماكو وهي تمتع نفسها. افترض لو أنها أقامت علاقة مع رجل! لقد أصبح اتخاذ صاحب في هذه الأيام أمراً عصرياً.

لم يخطر لإيوسوكي من قبل أن تكون كوماكو غير مخلصة له. كانت كوماكو دائما هي الطرف الغيور، لذلك شكل هذا الشعور الباعث للاضطراب تجربته الأولى. فقد منح الدستور الجديد الزوجات حرية الوقوع بالحب، قبل ذلك لم يكن باستطاعة إيوسوكي أن يشتكي. اشتعلت نار الغيرة في داخله، ولكنها ما لبثت أن خبت، وراح يئن. عندها تماماً ثغت العنزة، الماعز حيوانات ذكية، وكلما رأت العنزة إيوسوكي أو كجيكي راحت تطلق ثغاءها بود، إذ

كانت تميزهما. إلا أن هذه المرة كان ثغاؤها يشبه صيحة إنذار كما لو أنها أحست بقدوم رجل غريب. بعد لحظة، سمع إيوسوكي شيئاً يضرب الأرض خلف الكوخ. غير آبه بالمطر، خرج إيوسوكي ليستطلع الأمر. لم ير أي شيء غريب باستثناء علبة رصاصية اللون تشبه علبة الشاي وجدها ملقاة على العشب. غالباً ما كان الناس يلقون نفاياتهم من على الرصيف، فافترض ذلك. إلا أن تلك العلبة كانت جديدة، لأنه تعود التقاط أي شيء ربما يكون مفيداً، أخذ تلك العلبة وأدخلها كوخ كجيكي.

بعد أن راح يتمطى، كأفعى متوعكة عاد تفكيره إلى كوماكو، مما جعله يطلق بعض الأنين بين الفينة والأخرى. أخيراً سها نائماً، تعلو وجهه تعابير بائسة، وكما لو كان طفلاً ظل يبكي حتى نام.

لم يدرك كم قضى من الوقت وهو نائم، ولكنه استيقظ على صوت كجيكي.

«آسف لأنني تركتك تنتظر طويلاً».

لم يبد على ملابس كجيكي القذرة أي بلل، لذلك لابد أن يكون المطر قد توقف.

«لم تكن هنا، فاستغرقت في النوم».

«لا مشكلة في هذا. إن ذلك تأكيد آخر على أن تبقى موجوداً هنا عندما أكون في الخارج».

«بالمناسبة هل لديك زوجة؟» فجأة سأل إيوسوكي. لقد أثار حلمه بكوماكو ذلك السؤال.

«لم أهتم بذلك». كان الجواب الفوري.

«إذاً، مطلق!»

«لم تكن لي زوجة أبداً. كنت أعمل في القوات البحرية، وفي أثناء الحرب كان العمل في الجيش أمراً شائعاً، وكثير من الرجال اغتنموا فرصة التطوع في الجيش ليندفعوا مسرعين نحو الزواج قبل ذهابهم إلى الجبهة، ولكنني لم أفعل ذلك. من الأفضل لك أن تكون غير متزوج عندما تعيش تحت الأرض. علاوة على ذلك، فإنني لا أكترث بالنساء».

«تفضل أولئك الذين كانوا في الحمام ذلك اليوم؟»

شعر إيوسوكي بعلاقة طيبة مع كجيكي تأذن له بالمزاح. احمر وجه كجيكي، «ما هذا

الهراء الذي يصدر عنك؟!» ثم وقع نظره على العلبة المعدنية في زاوية الكوخ.

«ماهذه؟»

أخبره إيوسوكي بأنه وجدها على العشب.

«حسناً إذ كنت هنا». كما لو كان يتحدث مع نفسه، أضاف، « تعين عليه أن يتبين إذا كنت بالكوخ قبل أن يتركها. هذا إهمال».

بعد أن أزاح الورق اللاصق، رفع كجيكي غطاء العلبة، وأخرج ورقة مطوية، ما استطاع إيوسوكي رؤيته رسالة خطت بقلم رصاص على شكل نقود. نظر كجيكي إلى ساعته، ثم استدار نحو إيوسوكي، «يا سيد ميناميمورا. أريدك أن ترتدي أفضل ثيابك هذه الليلة. هل لديك ثياب أفضل من بزتك تلك؟»

بدا كجيكي فجأة بلا صبر.

«كلا. إنها كل ما أملك».

«يجب أن تكون مقبولة. غير ثيابك، وسآخذك إلى الحلاق».

انطلقا وقت الفجر مثل زوج من الخفافيش، صعد الاثنان الدرجات الحجرية التي تقود إلى نيكولاي كاثيدرال بريدج.

كان كجيكي محترساً كعادته ينظر مرة أمامه ومرة أخرى خلفه، وعندما اقتنع أشار إلى سيارة أجرة بتلويحة كان قد اعتاد عليها.

«أوكاجيماتشي». قال للسائق، دلت طريقته في فتح باب السيارة وطريقة دخوله إليها على أن ركوب السيارة لم يكن أمراً غريباً عليه. حتى قبل أن يترك إيوسوكي منزله كان ينفق المال على تناول الخمر أكثر من إنفاقه على استئجار السيارات.

كانت شخصية كجيكي شخصية حذرة، فهو لم يخبر إيوسوكي بما ينويان فعله. أما الثاني فقد شعر بأنه ليس من اللائق أن يسأل، لاسيما أنه هو القائد.

أوقف كجيكي السائق في شارع مزدحم بالقرب من محطة أوكاجيماتشي، ثم سار تحت خط السكة الحديدية، ثم انعطف ثانية كي يمر تحت السكة الحديدية ليخرج من الجهة الغربية. بعد تجاوزهما عدة طرق فرعية ضيقة وملتوية ومظلمة، وصل إلى منزل عادي المظهر مؤلف من طابقين. لو جاءا مباشرة إلى هذه النقطة، لوصلا بسرعة أكبر.

استعمل الطابق الأول محل خردوات. في الطريق الجانبي الضيق كان له باب ثبت عليه لوحة كتب عليها (داشوغي للنشر). تعني كلمة شوغي الولاء الجلي.

فتح كجيكي الباب، وصعد إلى الطابق العلوي، إذ صدر عن خشب السلالم صوت صرير تحت ثقل إيوسوكي وهو يتبع كجيكي.

نادى كجيكي محيياً، ثم فتح أحدهم الأبواب متبعاً صوت رد تحيته. كانت الغرفة التي سعتها مساحة ثماني سجادات تامي، مملوءة بطاولات مكاتب وببعض الكراسي. استدار رجل، كان يرفع كمّي قميصه الأبيض إلى الأعلى نحوهما.

«كل شيء على ما يرام».

«كل شيء على ما يرام». رد عليه كجيكي قبل أن يقدم له إيوسوكي.

«هذا هياشي أحد شركائي، اعتبره مثلي تماماً».

كان هياشي قد عرف مسبقاً بأمر إيوسوكي. «إنني أتطلع إلى إرشادتك الحكيمة». وهو يقف متيقظاً ويتحدث بأسلوب عسكري.

«من جلب الرسالة هذا اليوم؟ لابد أن يكون تكاشي. إنه لمن الخطر أن تترك رسالة في وقت لا أكون فيه هناك. لحسن الحظ التقطها هذا الأدميرال، لذلك مر الأمر بسلام». من الواضح أن إيوسوكي كان الأدميرال.

«ربما أمره الأدميرال كي يكون أكثر حذراً».

كان هذا مقر كجيكي ورفاقه. تدل اللوحة في الخارج على أن هذا المكان دار نشر، ولكن مثل كثير من هذه الشركات في هذه الأيام،لا تنشر شيئاً.

«بالمناسبة..؟» سأل كجيكي هياشي، «هل تعرف خياطاً جيدا؟ يجب أن نحصل على بزة أفضل للأدميرال».

خجل إيوسوكي عندما راح الاثنان يحدقان فيه من الأعلى إلى الأسفل وهما يقيمان مظهره ببقع عرقه. بعدها فتحا خزانة، وأخرجا حقائب ثياب، ثم غيروا جميعهم ثيابهم. ظهر كجيكي بمظهر عصري، وهو يرتدي طقماً بني اللون وربطة عنق خمرية اللون، مما جعل مظهر إيوسوكي يبدو رثاً أكثر.

«سأرتب للحصول على بعض الثياب الجديدة، ولكن لا يوجد وقت هذه الليلة. نستطيع

أن نحسن مظهره بربطة عنق وجوارب وحذاء جديد، إلى آخره. سيكون مظهره معقولاً».

ما أثار دهشة إيوسوكي هو ما تحتويه تلك الخزانة من ثياب وتوابعها الكثيرة جدا، ثياب ثمينة ورخيصة، إذ كانت تشبه إحدى خزائن ثياب المسرح. قاما بكيّ قميصه وبزته، ثم أعطياه ربطة عنق جديدة مع منديل بلون يناسبها ليضعه في جيب صدره. بدا إيوسوكي كما لو أنه رجل محترم تماماً، ويرجع ذلك في أغلبه لحجمه الضخم.

أحضرت ثلاثة أطباق من الأرز تعلوها قطع من لحم الخنزير. اعتبر إيوسوكي أن هناك أمراً متناقضاً حول الرجال الثلاثة المتأنقين. بدوا وكأنهم سيقضون ليلتهم في ملهى ليلي، وفي الوقت ذاته يجلسون لتناول وجبة عمال فقراء. التهم كل من كجيكي وهياشي الطعام باستمتاع وشهية، يشبه استمتاع المراهقين اليافعين. كانت طريقة تناولهما الطعام قد برهنت على أنه وجبة فاخرة لهما. أيضا أكل إيوسوكي بنهم، لأن اللحم كان شهياً وكذلك الأرز الأبيض، فقد شكلا سبباً وجيهاً ليستمتعا بهما. كان إيوسوكي قد فرغ من طعامه وبدا منظره وهو يمضغ المخلل مضحكاً. «إننا ذاهبون لنقابل وسيطاً له علاقات مع الخارج، ونريدك أن تتظاهر بامتلاكك مادة محددة، لن تحدث لك أية مشاكل لأننا نحن من يملك تلك المادة، لذلك لا تحتاج إلى قول أي شيء. في حقيقة الأمر، كلما قل كلامك، كان ذلك أفضل. نريد منك الجلوس هناك فقط، والايماءة برأسك عندما نعطيك الإشارة. ستقدم لبلادك خدمة عظيمة».

شرح كجيكي. على الرغم من تساهله، إلا أن إيوسوكي قد انتابه بعض الخوف.

«ولكن إذا كنتما مالكي تلك المادة، فلم لا تقومان بكل شيء بنفسيكما؟»

«هناك مشكلة؟» قال هياشي. شرح كجيكي، «أنا وهياشي وتكاباشي، كنا نعمل في الجيش لسنين طويلة، ويبدو على مظهرنا أننا ضباط ذوو رتب صغيرة، وهذا دائماً ضدنا. في هذه المرة هناك صفقة كبيرة، ولا توجد طريقة يصدقنا من خلالها العميل إذا قلنا إننا المالكون».

«حسناً، إذا لم يترتب علي قوله».

أخيرا وافق إيوسوكي على التظاهر بأنه يملك مادة غير محددة، ولكن بسبب قلة الخبرة تمنى تجنب أي نقاش. سرعان ما انتهى ذاك اليوم الصيفي. وهبط الظلام. قضى الرجال وقتهم بسرد الحكايات والنوادر حتى التاسعة والنصف، عندما وقف أخيراً كجيكي وهياشي.

«يا سيد ميناميمورا». قال كجيكي، «سنشير لك كما أخبرتك لتقول نعم أو لا، لذلك اتبع ذلك الشيء فقط. إذا سئلت عن شيء صعبت عليك الإجابة عنه بنعم أو لا، فلا تقل شيئاً محدداً. عندها لن نعطيك أي إشارة، ولكن ينبغي لك أن تقول شيئاً مثل: سنعلمك فيما بعد. حسناً؟»

سار كجيكي في المقدمة لينزل السلم نحو الطابق السفلي، حمل الثلاثة أحذيتهم، ثم ارتدوها عند مدخل البناء. كان حذاء إيوسوكي جديداً و ذا جودة فاخرة. خرجوا إلى شارع هيروكوجي. كانت نوافذ المتجر الضخم مظلمة، ولم يكن في الشارع سوى قليل من الأضواء. كان المارون في الشارع يظهرون فجأة من تحت الظلال المعتمة كما يظهر الفطر بعد المطر، ولكن كان كجيكي يسير مسرعاً متجاهلاً إياهم. بعد أن أيده إيوسوكي في ما يتعلق بحالة البلاد، فلم يعد يأبه لهم. بحث كجيكي عن سيارة أجرة، ثم طلب من السائق الذهاب إلى جينزا، وقال قال بصوت مرتفع لإيوسوكي وتكاباشي، «فلنذهب! لايزال الليل في أوله».

«إنني مستعد لمشاهدة موقعين آخرين». أجاب هياشي وهو من الواضح يتحدث لمصلحة السائق. لقد أرادوا أن يعطوا انطباعاً أنهم قد خرجوا للاستمتاع ببعض الخمر في جينزا. من خلال ملابسهم، قد استطاعوا أن يظهروا أنفسهم رجال أعمال ناجحين يقصدون الاستمتاع بأوقاتهم.

تركوا سيارة الأجرة في مكان مضيء واتجهوا نحو شوارع معتمة. مشوا في طريق جعلت الأمر يختلط على إيوسوكي، ثم أخيراً وصلوا شارعاً لا يوجد فيه ضوء واحد.

«في هذه المنطقة توجد أكثر الملاهي والحانات غلاء». همس كجيكي.

وقف الرجال وانتظروا وكأنهم يقفون في طابور. خرج رجل من تحت الظلام، «كل شيء على ما يرام». سأل الرجل بصوت منخفض، فأجاب كجيكي بالعبارة نفسها.

«هذا هو شريكنا تكاهاشي». قال كجيكي لإيوسوكي. مثل شريكيه الاثنين، كان الرجل قصير القامة وغير جذاب. اقتاده تكاهاشي إلى مبنى صغير يبعد عنهم عدة مبانٍ. كانت البوابات الخارجية مغلقة وكذلك الباب الجانبي الصغير. قرع تكاهاشي الباب، ففتح بضعة إنشات فقط، إذ كان مثبتاً بسلسلة.

«نحن الذين أتينا مع السيد موجي منذ عدة أيام». قال تكاهاشي بهدوء. نظرت إليهم امرأة بمنتصف عمرها ترتدي صدرية من خلال فتحة الباب. بعد أن فتحت الباب اختفت

دون أن تقول كلمة واحدة مفترضة أنه إذا دخل أحد هذا المكان، فإنه يعرف أين يذهب.

كان مبنى صغيراً لذا لم يكن فيه مصعد. صعد تكاهاشي سلماً إسمنتياً نظيفاً. لم يكن هناك أي أثر على وجود أحد ما في أي من الطوابق، وعلى الرغم من عدم مقدرة أحد على التنبؤ بما يوجد خلف هذه الأبواب المغلقة. عندما وصلوا الطابق الثالث، قرع تكاهاشي باباً، ظهر رجل يرتدي ملابس رئيس خدم، وراح يتفحصهم بريبة وشك.

عندما قال تكاهاشي، «لدينا موعد مع السيد موجي. أجاب الرجل بفظاظة في الطابق العلوي». ثم أغلق الباب بقوة. تلك اللمحة الموجزة تبين أن عدة نواد سرية تشغل هذا البناء.

وهم يصعدون إلى الطابق الرابع، بدأ على تكاهاشي أنه قد تذكر زيارته السابقة، فذهب مباشرة نحو أحد الأبواب. في هذه المرة واجهه خادم سمين يرتدي ثياباً بيضاء وربطة عنق بابيون.

«أهلاً وسهلاً» قال كما لو كان ينتظرهم، ثم أدخلهم.

لم تكن الغرفة كبيرة جداً. قد جهزت مكاناً لشرب الخمر، إذ كان فيها خزانة كحول وطاولة كما كان هناك أرائك جلدية وأريكة طويلة بثلاثة مقاعد.

«سيأتي حالاً. هل ترغبون في تناول أي شيء؟» سأل النادل وهو يتقدم نحو طاولتهم.

بينما ظل كل من تكاهاشي وكجيكي يتبادلان الإشارات، إذ لم يتعودا أمكنة كهذه. فهم إيوسوكي ما عرض النادل لهم. بثقة تشبه ثقة شخص يجلس في بيته قال إيوسوكي: «هايبولز من فضلك». سرعان ما عادت لإيوسوكي عادات اقتبسها في حانات الفنادق والنوادي الليلية منذ أيام ما قبل الحرب. انسحب النادل باحترام إلى خلف طاولة تقديم المشروبات ليعد لهم شرابهم.

باستثناء نادل ونادلة محتشمة، لم يكن في الغرفة أحد سواهما، ولكن من خلال ستائر شفافة كانت مسدلة أمام نافذة أحد الجدران استطاعوا رؤية غرفة مضيئة جداً، حيث كانت مجموعتان من الرجال الذين يلعبون لعبة الورق.

«يلعبون البوكر، الرهان هناك بعشرات الألوف من الينات». همس تكاهاشي. كان مذاق شراب الهايبولز مثل مذاق شراب الويسكي الأسكتلندي الأصلي. بعد خمس دقائق

واحد، وازداد احترام كجيكي له.

«حسناً، أريد أن تسلم المواد هنا غداً في الساعة التاسعة مساء. تجلبونها معاً، وأنا سأحضر لكم نصف المبلغ نقداً، وسأسلمكم قوائم بالبضائع التي ستختارون منها مقابل النصف الآخر. أهذا مقبول؟»

«مقبول». تصافح موجي وإيوسوكي. قدم الشراب مع الكافيار الأسود وبعض المأكولات الخفيفة الأخرى الغالية الثمن. تابعوا تناولهم لشراب الهايبولز.

«يبدو أنك قد سافرت إلى الخارج».

من الواضح أن موجي قد بالغ في تقييمه لإيوسوكي. كان إيوسوكي مبتهجاً جداً نتيجة للشراب الذي تناوله، وراح يضحك من وقت إلى آخر، فتهتز بطنه الكبيرة.

«ما رأيك أن نلعب البوكر؟ إننا نلعب في الغرفة المجاورة. هناك مجموعة من الأصدقاء سيشعرون بالسعادة، إذا قابلوا سيداً يابانياً لطيفاً مثلك».

الفصل الثاني عشر
التفكير بالمنزل

عندما بدأت رياح الخريف تهب في شوارع طوكيو، راحت أزهار حظ إيوسوكي تتفتح بحيوية تشبه حيوية الربيع.

لقد زودت جماعة مسؤولية الحرب إيوسوكي بيزتين عصريتي الطراز، فبدا جذاباً تماماً، وقدم له كجيكي نقوداً تفوق ما ينفقه بشهر بأكمله، لذلك لم يكن بحاجة إلى النقود.

«إنك وشركاؤك لا تتقاضون أي منفعة» احتج إيوسوكي، «يجب ألا أكون الوحيد الذي يتقاضى المال».

كان إيوسوكي قد رفضه بالبداية. بموجب ما قاله كجيكي، فإن الثلاثة كانوا يتقاضون نفقات معيشتهم فقط. كان هدفهم جمع مال يكفي لإنشاء شركة تجارية متكاملة حالما توقع اتفاقية السلام مع الحلفاء. انتاب إيوسوكي الاستياء نتيجة كونه المستفيد الوحيد من نشاطاتهم، ولكن كجيكي أصر على ألا يسترد النقود.

«كلا، كلا، إنك أهم منا. الفضل يرجع لك، فالصفقة قد تمت من خلالك. كان الأمر يشبه الطلب من الأدميرال قائد السفينة أن يطلق نار سفينته بنفسه، فدعنا نعبر عن شكرنا بهذه الطريقة البسيطة».

سأل إيوسوكي عن اسم الدواء الذي باعوه، ولكن كجيكي لم يخبره.

«لا أريدك أن تنغمس في الأمر أكثر من هذا. إنها مادة خطيرة، وأردنا إخراجها من اليابان. بعد حل الجيش، ثمة مواد كثيرة لا تحتاج إليها اليابان بعد اليوم. يجب علينا أن نبيعها بأسرع وقت ممكن، ونستبدلها بالنقود».

ما هو سيئ لليابانيين، فهو سيئ لغيرهم أيضا، ولكن لم يبد كجيكي أدنى شعور بوخز الضمير، إذ لم تغير الحرب منه شيئاً. في حقيقة الأمر، لم يحتج إيوسوكي إلى مال من كجيكي، ففي ليلة بيع العقاقير عاد إلى كوخه تحت الجسر، مليء الجيب بما ربحه من لعبة البوكر– إذ حوت أكثر من خمسين ألف ين.

كان لدى إيوسوكي موهبة لعب الورق. لم تكن مهارته هي التي تناسب لعب القمار، بل شخصيته. فطبيعته الهادئة تسمح له بخداع جريء. علاوة على ذلك، فإن حجمه المروع يجعله يربح الكثير ولا يخسر إلا القليل. يتقن، على وجه الخصوص، لعبة البوكر التي تعتبر بشكل رئيسي لعبة الأعصاب. إن حالته الجسدية وردود فعله البطيئة قد منحاه فرصة جيدة، لاسيما في أثناء لعبه لأول مرة مع أناس مثل موجي. ولكن إذا ما قورن ربحه في تلك الليلة من بداية لعبه حتى النهاية، بطرد كوماكو له من منزلها، فإنه ينطبق عليه القول: من هو محظوظ بلعب الورق غير محظوظ بالحب.

باختصار، إن متاعب إيوسوكي المالية قد تلاشت، وجاء ذلك برهانا على أن قدر الإنسان يمكن أن يتحول بسرعة كبيرة. الآن أصبح باستطاعته أن يدعو جيرانه إلى حفلة متى شاء أو يعطي نقودا لكينجي المسن دون أن ينقص المبلغ الذي يملكه. بالطبع لابد أن يكون لهذا تأثير في سلوك إيوسوكي، فراح كسله ينمو بسرعة نمو الخيزران في شهر أيار.

وبما أنه رجل كسول ومتراخ، فلا شيء أسوأ من ألا يكون لديه أحد مثل كوماكو يستطيع أن يقوم سلوكه. عندما كان ينام حتى وقت متأخر من كل صباح، أو يأتي البيت متأخراً ثملاً في كل ليلة، لم ينتقده جيرانه ولكنهم راحوا يحترمونه أكثر، لأن امتلاكه لمال كثير دون الحاجة إلى عمل قد أثبت أنه إنسان غير عادي، فازدادت شعبيته. اغتنم إيوسوكي هذه الفرصة ليجعل اليتيم الصغير يصبغ حذاءه، ويجعل ابنة السيدة تكاسوغي تدلك كتفيه.

لقد أصبحت الحياة مريحة جدا لدرجة أن إيوسوكي لم يعد يرغب في مغادرة ذلك المكان على الرغم من امتلاكه مالاً كثيراً. لقد ضحك له حظه: كما يقال، حتى إنه لم يعد يتصور حياة أفضل. وراح يستمتع بحرية أكثر من تلك التي كان يستمتع بها اليابانيون في ذلك الوقت نتيجة قدرته على تجنب كل ما هو مزعج. لو كانت لديه أية رغبة لكانت رغبته في أن تتغير كوماكو فتصبح زوجة مطيعة، وتلحق به هنا.

منذ مغادرته منزله، كان القدر دائماً بجانب إيوسوكي، فلم يعان أية متاعب مثل تلك التي تخيلتها كوماكو. ربما بدا على مظهره الخارجي بعض البؤس، ولكنه كان في أعلى درجات الرضا. استعاد، مؤخراً، أسلوب حياته الذي تعوده قبل الحرب، إذ بوسعه أن يفعل ما يشاء.

كان يقضي كل أيامه في جينزا وجيبه مليء بالنقود، فراح يتردد إلى الأماكن التي تعودها

قديماً، إذ كانت أفضل ما تناسبه. لقد تغيرت المنطقة كثيراً في الحرب، ولكن الشراب والطعام هناك كانا أفضل من الطعام والشراب في سوق محطة كاندا، أو في الشوراع الخلفية في شونجوكو. ربما فقدت جينزا بعض بهائها الذي كساها قبل الحرب، ولكنها مازالت تتمتع بهالة ثقافية، فراح إيوسوكي يقضي أيامه يتناول العشاء في مطاعم كرنيشا وما يشابهها ويستعرض محلات المجوهرات مثل محل أكوو. وبما أنه رجل ينتمي إلى حقبة ما بعد الحرب، ويحب متع الحياة، فكانت ثيابه فاتحة الألوان وعلى أحدث طراز وأحذيته من الجلد المدبوغ، وكان قد اشترى لنفسه أيضا قبعة يمكن أن تراها على رؤوس شبان هاواي. لقد أصبح يظهر تماماً كأنه أمريكي من أصول يابانية يقضي رحلة في طوكيو.

لقد وصل هذا اليوم أيضاً إلى جينزا في الساعة الرابعة، تتنازعه الرغبة بين تناول الطعام في مطعم فرنسي ساحر يمكن أن يصيب بطنه بانتفاخ، وأخرى بتناول الطعام على طريقة كانسي التي لا يمكن الاستمتاع به إلا مع بعض الأصحاب. تناول إيوسوكي كأسين من الويسكي مع الصودا في إحدى الحانات كي يتخذ قراره باختيار أحد هذين الخيارين.

في المساء، غدا ثملاً قليلاً. وبينما كان يشق طريقه بين الزحام من سوكيوباشي إلى جينزا، سمع بعض الضجيج يأتي من خلفه، فلم يعره اهتماما حتى ركضت من جانبه فتاتان أو ثلاث – كان من الواضح له أنهن كن مومسات – واختفين في أحد الشوارع الفرعية، فظن أن الشرطة لابد أن تكون تطارد المومسات. لم يكن هناك شيء غير اعتيادي، فتابع سيره.

اندست فجأة يد تحت ذراعه، وأمسكت به.

«تابع سيرك من فضلك!» لم يستطع إيوسوكي فعل أي شيء سوى أن يحدق بالمخلوق الذي كان بجانبه.

كانت فتاة يافعة ترتدي ثياباً غربية مبهرجة. كان فستانها قرمزي اللون بأطراف بيضاء مزركشة، وكانت ذراعاها عاريتين. تحمل حقيبة يد بيضاء. وكانت ملاصقة له حتى إنه لم يستطع رؤية وجهها، وما رأى منها إلا شعرها الذي صفف في صالون رخيص الأجرة، وكان مسدلا على صدرها.

تابعت الفتاة سيرها دون أن تقول كلمة محاولة أن تلحق بخطى إيوسوكي الواسعة.

إنها وقحة تماماً! فلطالما اقتربت الفتيات من مثلها منه، ولكن غالباً ما كن يتركنه بعد بضع

خطوات، إلا أنه لم يتعرض لمثل هذا التعمد المقصود. كانت الأوقات عصيبة لذلك ربما كن مجبرات على بذل أقصى جهودهن.

لم يكن من اللائق أن يسير في شوارع جينزا وفتاة مثل هذه تحبك يدها بيده، ولكن لم يكن إيوسوكي شجاعاً أو ذا قلب قاس كي ينفصل عنها ويهرب.

ما دمت لا أشتري شيئاً، فكل شيء مقبول، هكذا قرر.

هكذا تابع سيره حتى وصلا تقاطع جينزا. هناك فجأة اقتادته الفتاة إلى شارع فرعي على الجهة اليسرى. إلى أين تأخذني؟ لا توجد فنادق هنا. كانت المنطقة مليئة بالمقاهي والمطاعم الصغيرة، ولكن الفتاة تابعت سيرها السريع دون أن تتحدث أو تنظر إلى اليمين أو اليسار. بعد سيرهما في ذلك الشارع كله، وقبل أن يصلا شارعاً رئيسياً، اختلست أخيراً النظر خلفها، وأطلقت تنهيدة ارتياح، مرخية قبضتها على إيوسوكي.

«شكراً جزيلاً. لقد أنقذت حياتي!» بدت صريحة جداً مما دل على أنها ربما كانت حديثة العهد في المهنة.

«ليس هناك مشكلة. إلا أنك قد فاجأتني عندما أمسكت بذراعي بتلك الطريقة».

«آسفة. لو لم أفعل ذلك، لقبضت علي الشرطة. عندما تكون الواحدة بصحبة رجل فإنهم يدعونها تذهب. إنني لست من صنف تلك الفتيات، لكن رجال الشرطة قد رأوا أجنبيا يتحدث إلي، لذلك رأيت أن أكون حريصة جداً. لقد سمعت أنهم يأخذون الواحدة قسراً إلى مشفى يوشيوارا ليخضعوها إلى فحص السفلس».

«يسرني أنك على ما يرام، لذلك إذا ما سمحت لي.»..

مشى إيوسوكي بضع خطوات قبل أن تلحق به الفتاة.

«انتظر! اعذرني لو كنت مخطئة، ولكن ألست السيد ميناميمورا؟»

سبب هذا لإيوسوكي دهشة فاقت دهشته لدى إمساكها بذراعه.

«حسنا. نعم، ولكن من أنت؟»

«ألا تتذكرني؟ أنا فوجيمورا يوريكو». قالت الفتاة مقهقهة.

أنعم إيوسوكي النظر في وجهها للمرة الأولى ومن وراء مساحيق التجميل الكثيفة استطاع أن يميز وجهها المستدير، عندما كانت ترتدي الزي المدرسي، إذ التقى بها قبل ثلاثة أعوام.

«يوري؟» انطبعت على ملامح وجهه صدمة، «ماهذا الذي ترتدينه بحق السماء؟»

«إنك ذاتك مدهش! إنك ترتدي ثياباً عصرية جداً! تلك القبعة وذاك الحذاء!»

يا لها من صفاقة! تتفحصه بنظراتها الحادة من رأسه إلى أخمص قدميه كمومس شابة خرجت تقتنص زبوناً ثرياً. «إنك عصري جداً، ولا عجب أنني لم أعرفك. ماذا تفعل الآن؟» تجنب إيوسوكي الإجابة، «إنك شخص مهم، لقد عرفت ذلك! إن أبي وأمي مقتنعان بأنك تمر بأوقات عصيبة، ولكنني كنت متأكدة أنك تستطيع أن تهتم بنفسك بعد أن طردت من منزلك. إنني أعلم أنك رجل تتمتع بثقة عالية».

«كيف عرفت ذلك؟» كبح إيوسوكي في داخله رغبة تدفعه إلى حك رأسه خجلاً.

«إنني أعرف كل شيء. أعرف حتى ما لا تعرفه». قالت الفتاة مقترحة.

حاول إيوسوكي تغيير الموضوع، «لقد كبرت بسرعة. هل تتحول الفتيات إلى نساء بهذه السرعة؟ ولكن يجب ألا تتسكعي في شوارع جينزا. ربما يقبض عليك بسهولة كما يحدث هناك».

«هذا لا شيء. إنني آتي إلى هنا كل يوم، لذلك لا أعلم لماذا لم أجر وراءك من قبل. هل من عادتك أن ترتدي ثياباً جميلة مثل هذه، وتأتي إلى جينزا لتقضي وقتاً ممتعاً؟» كانت يوري تنظر إلى إيوسوكي باحترام شديد.

«حسناً، لقد أتيت فقط للأكل، سأمكث هنا وقتاً أطول، ولكن يجب عليك أن تذهبي إلى أهلك. سأوقف لك سيارة أجرة».

أراد إيوسوكي الهروب من الفتاة بسرعة حتى لا يعرف عمه عن حاله شيئاً.

على أية حال، وقفت يوري في مكانها هازة رأسها كطفلة عنيدة.

«كلا، دعنا ندخل مكاناً لنأكل. لدي خطة جيدة أريد أن أخبرك بها».

أخذ إيوسوكي يوري إلى أحد مطاعم كنساي ستايل في جينزا، ربما نكون أكثر دقة لو قلنا إن الشابة قد أخذته هناك.

«إن سمك البريم البحري المطهي على البخار جيد هناك».

لقد كان من المدهش أن تكون فتاة في التاسعة عشرة من عمرها خبيرة بأصناف الطعام في مطاعم جينزا.

كان البناء قد نجا من الحرب، وكانت جدرانه بنية اللون وسقفه قديماً متهالكاً. اقتيدا إلى غرفة صغيرة تقع في الجزء الخلفي من الطابق العلوي، ربما بدا وكأنهما عاشقان في موعد غرام. بعد سكب شراب الساكي الكحولي الياباني لإيوسوكي، انصرفت النادلة.

«لا تعاملني كما تعامل طفلة!» حدقت يوري بإيوسوكي دافعة بكأس الصودا الذي طلبه لها، بعيداً عنها. كان إيوسوكي قد بدأ شرب الساكي وتناول بعض المأكولات الخفيفة التي تقدم عادة مع الساكي.

«آه. هل تشربين؟»

«قليلاً من الساكي على الأقل». أفرغت كأس الصودا في وعاء غسل أكواب الساكي، ثم رفعت كأسها، «إنك مدهشة! إذا ثملت، فلا تلوميني».

ما كانت لترتدع، لذلك سكب لها قليلاً من الساكي، فشربته دفعة واحدة. بدأت عيناها تلمعان، وانحنت إلى الأمام مبتسمة ابتسامة مغرية. فتعجب إيوسوكي لما آل إليه العالم.

«دعني الآن أسكب لك بعض الساكي. دعنا نشرب كثيراً هذه الليلة».

«يوري. أين تعلمت كل هذا؟ إن أباك رجل جاد لا يلمس الكحول. أليس كذلك؟ هل يعلم والداك بأنك دائما تتسكعين هنا؟»

بدت يوري عنيدة جدا حتى إن إيوسوكي، على غير طبيعته، قد وجد نفسه يلعب دور الأب.

«لا حاجة إلى إخبارهما. لو أعطياني نقوداً كافية، لما اضطررت للعمل في بعض الأوقات».

«هل تعنين أنك تأتين إلى جينزا لتعملي؟»

«ليس لدي عمل هذا الشهر، ولكنني عملت في الشهر الماضي في مقهى، حيث يدفعون النقود مقابل التحدث مع الزبائن. لقد كان ذلك ممتعاً، إذ تتعلم كثيراً عن نقاط ضعف الرجال، ويدفع لك النقود مقابل ذلك».

«إذن، والداك لا يعلمان. إنني مندهش لأنهما لم يكتشفا ذلك!»

«لا أمل بالوالدين حتى لو اكتشفا ذلك، فأنا من يعمل بطوع إرادتها، لذلك هذا حقي».

عند هذا صمت إيوسوكي تماماً. لاحظ كأس يوري فارغة، فكيف لها أن تشرب بهذه السرعة. من الواضح أنها لم تكن تعرف كيف تستمتع بشرب الساكي.

«لقد شربت ما فيه الكفاية، وإذا أردت أن تشربي الساكي، فاستخدمي قدح الساكي وليس الكأس. بالمناسبة أليس لديك خطيب؟»

«نعم، إنني مازلت آراه. إنه شاب غندور. لايهتم إلا بشعره وثيابه، ولكنني أعرف حكاية حوله، وتتعلق بك أيضاً، لذلك ما رأيك أن تسكب لي كأساً أخرى؟»

هكذا عرف إيوسوكي بحال كوماكو. لقد كانت هذه أول الأخبار التي تصله عنها منذ مغادرته المنزل، لذلك انحنى فوق طاولة منخفضة بترقب وتوق كي يسمع القصة بأكملها. راحت يوري تسرد أحداثاً كثيرة مضحكة وقعت بين كوماكو وتكابومي، وهي تتحدث بعفوية غير اعتيادية لدى أحد في مثل هذا العمر اليافع في وقت تظهر عليه تعابير تنم عن خبرة في شؤون الناس. أسند إيوسوكي ظهره إلى الوراء مندهشاً بما سمع، وهو يلف ذراعيه أمام صدره.

مادام الأمر يتعلق بتكابومي، فلم يشعر إيوسوكي بأدنى درجات الغيرة. إن تكابومي هو من أفتتن. أما كوماكو، فقد كانت تلعب بالنار لتقضي الوقت. على أية حال، بعثت معرفته أن كوماكو في مأمن وحالها جيدة الراحة في نفسه.

«أليس ذلك ممتعاً؟ كما لو كانت رواية حديثة».

«لا يمكن ذلك أن يكون ممتعاً بالنسبة لك». تعاطف إيوسوكي مع يوري التي خدعها خطيبها حتى إن إيوسوكي أحس بضرورة الاعتذار لها بالنيابة عن كوماكو.

«لم لا؟ لقد طلبت منها حتى إن تكون عشيقة تكابومي!»

«أنت ماذا فعلت؟»

«لقد كرهت الصبيان. أنا أصبو إلى رجل». استخدمت يوري كلمتي رجل وصبيان باللغة الإنجليزية». الرجل بحق، المقتدر جسدياً وفكرياً ومادياً، هو القادر على أن يؤثر في أعماق المرأة. في آخر الأمر، أنا أيضاً امرأة ناضجة».

إن فهم يوري ليفوق قدرات إيوسوكي، إنه لم يقرأ –عشيق السيدة شاترلي– لذلك لا علم له بما يتطلب التأثير في أعماق المرأة، ولم يستطع الاعتراف بذلك، وعلى أية حال، فقد قال

بساطة إنه من الأسلم ألا يتأثر أكثر مما ينبغي. لقد كانت لديه المزيد من الأسئلة. «كيف حال كوماكو؟ هل وافقت على طلبك بما يتعلق بتكابومي؟ عهدي بها أنها ليست من النوع الذي يفعل ما يطلب منه».

«أنت على حق! وتكابومي أصبح في حالة جعلته يأتي إلي متوسلاً بطلب المساعدة. إنني لا أعرف ماذا أفعل به، ولكنني لا ألومه، لقد ظهر منافس له».

«هل تعنين صبياً آخر؟»

«كلا، رجل هذه المرة». رجل مثالي مادياً على الأقل. إنك تعرفه، فقد كان ضمن جمعية غوشوكاي، وهو ابن السيد هنمي؛ مدير المشفى الذي توفي».

«آه، هو؟»

«حسناً لقد كان متيماً بكوماكو. لديه زوجة، ولكن رئتيها ضعيفتان، لذلك كان عليها البقاء في مصح لبعض الوقت. لم تكن بداية زواجهما جيدة، وكانت الأمور هكذا عندما ظهرت زوجتك في المشهد. إن السيد هنمي ليس مخنثا كتكابومي، إنه مثقف وذكي، وعلاوة على ذلك لم تكن أنت هناك». انتهت قصة يوري فجأة.

«لا تتوقفي عند هذا!» لقد تغير مزاج إيوسوكي.

«أترى؟ إنني أعرف كل شيء. إنني أستحق أن أصطحب للعشاء».

بدت يوري مغرورة وواثقة بنفسها، ولكن كل شيء أخبرت إيوسوكي به كانت قد عرفته من تكابومي. نتيجة غيرة شبابه وطبيعة شخصيته الأنثوية، كان تكابومي قد تجسس على كوماكو في جميع حركاتها.

«هكذا قررت زوجتك الذهاب إلى نهر تاما مع السيد هنمي. لقد كانت رحلة طويلة بالسيارة، إذ استغرقت من قبل الظهيرة حتى السابعة مساء، لذلك كان لديهما وقت طويل لأجل الراحة». لقد ذكر هذا إيوسوكي بالشوارع التي جال بها مع كجيكي في أساكوزا، حيث تنتشر لافتات الينابيع الساخنة في جميع أرجائها. راح يشعر بينبوع غيرة ساخن يغلي داخله ما منع يده من الوصول إلى كأس الساكي الذي كان أمامه».

«وماذا حدث؟»

«حسناً، لابد أن يكون قد حدث شيء خطأ، لأنه بعد تلك الرحلة، قررت زوجتك فجأة

أن تجعل السيد هنمي يمشي».

«ماذا فعلت؟ من فضلك استخدمي اللغة اليابانية».

«أنت تعرف لعبة البيسبول اليابانية! يتحدثون عن (waste ball)، عندما يجعل اللعب الرامي، عن قصد، اللاعب الضارب يمشي. وهذا حقاً هو المقصود بجعله يمشي.

كان من الممكن أن يكون السيد هنمي صيداً سميناً، ولكن لم يبد على زوجتك الاكتراث».

«لابد أن شيئا آخر كان في ذهنها». تنفس إيوسوكي الصعداء.

«لقد علمت أن السيد هنمي قد كسر قلبه، ولم يعد يلتقي بجمعية غوشوكاي. لابد أن كوماكو قد آذته كثيراً».

«إن هذا من طبيعتها. تحب كوماكو أن تخنق الرجل من رقبته. إذن، لقد تخلصت من هنمي وتكابومي في آن واحد. إذن، هل جبهة كوماكو هادئة الآن؟» أطلق إيوسوكي ضحكة مليئة بالأمل.

«كلا، لقد ظهر لها تهديد أكبر. رجل بحق».

«إنك تبالغين! هل ذهبت كوماكو إلى ذلك النموذج من الأثرياء الجدد».

«كلا، بل هو من منطقتنا. كان جندياً عائداً من الخدمة، وهو مسؤول عن مكتب المؤن الغذائية في محلتكم. لقد قابله تكابومي أيضاً. هو ليس ضخماً مثلك، ولكن يقول تكابومي إنه قوي جداً. لقد حدث ذلك عندما هاجم أحد السارقين كوماكو، فتدخل وألقى بالحقير إلى حقل على بعد عشر ياردات. إنه نموذج الرجل القوي البنية».

«ولكن كوماكو لا تقع بحب رجل فقط بسبب قوته».

«إنك لا تجاري العصر. القوة وحدها لا تفي بشيء، ولكن إذا كانت هناك روح وعواطف، فستثير رغبة جنسية قوية مما يمكن الرجل من الدخول في لب المرأة. لا يمكن لأرستقراطي أو ذكي، مهما كانت ثروته، أن يجذب امرأة كما يمكن لأحد ربما قابلته في غابة». وجد إيوسوكي صعوبة في متابعة يوري، لاسيما أن نفسية نساء مرحلة ما بعد الحرب كانت أكثر تعقيداً وصعوبة من الرياضيات الحديثة، ولم يستطع أن يفهم لماذا راحت يوري تتحدث بهذه الطريقة. بعد نهاية الحرب، كأن الرجال ولدوا من جديد، فأصبحوا يتكلمون في أشياء مثل

حبهم واحترامهم للنساء، ولكن إيوسوكي لم يكن متيقناً من صدقهم. «موظف المؤن هذا لابد أن يكون جميل المظهر». قال هذا ليس فقط معبراً عن موقفه التقليدي بل عن استيعابه البطيء للموقف.

«قيل لي إن له وجهاً يشبه سمكة الرنكة».

«لقد أضعتني تماماً!» عاد إيوسوكي إلى طعامه ليتناول الوجبة الخريفية المؤلفة من سورماسوتاغي وسمك الأنكليس المطهي على البخار، ولكنه أخفق في الاستمتاع بها.

«أترى؟ تنتمي كوماكو إلى جيل يختلف عن جيلي أنا وتكابومي. إنها امرأة تنتمي إلى حقبة ما بعد الحرب بالاسم، فحالما بدأت تأسف لما فعلت كان الأمر قد انقضى بالنسبة لها. لقد ألقت بذلك الرجل أيضاً كما تلقي بكرة **waste ball**».

«أليس هذا آخر شيء؟»

«هناك ما هو أكثر بكثير. هذا الرجل، ليس كالسيد هنمي، لا ينصرف بهدوء بعد أن يلقى به كالنفايات. لقد أصبح عدائياً وراح يطارد كوماكو. إنه من صنف يشبه طرزان؛ عندما تثار عواطفه لا يمكن إيقافه، لذلك كوماكو الآن خائفة ولا تجرؤ على البقاء وحدها في المنزل في الليل، فطلبت من مالكة المنزل أن تقيم معها».

«هل هذا صحيح؟»

«إذا كنت لا تصدقني، فاسأل تكابومي. إن تكابومي والسيد هنمي قلقان على حالتها، ولقد التقيا مرة ليناقشا كيف يمكنهما حمايتها».

«هذا يبدو غريباً!»

«لماذا؟ لا يقوى تكابومي على القتال البتة، لذلك من الطبيعي بالنسبة له أن يطلب مساعدة السيد هنمي».

«أعتقد ذلك، ولكن كوماكو.»..

بدأ إيوسوكي حديثه، ولكن لم يعرف ماذا يقول. إن فكرة مطاردة زوجتك لرجل آخر ليست بجيدة، ولكن لم تكن لديه الرغبة في منع ذلك. على أية حال، فإن نبأ تهديد ذلك الرجل إياها جاء مفاجئاً بالنسبة له، ولكنه لم يكن مستعداً للدفاع عنها. لو تطلب الأمر القتال، لما كان لديه خيار، ولكن لم يكن يثق بذلك كثيراً. أنهى العراك الذي وقع قرب الجسر،

ولكن جاء ذلك مجرد مصادفة. إذا اندفع دون تفكير لينقذ امرأة في كرب، فربما وبخته تلك المرأة بلسانها السليط. ما كان هناك دليل على أن غضبها تبدد. لذلك ماذا كان عليه أن يفعل؟ لاسيما أن التفكير بذلك يكدر مزاجه. وقف إيوسوكي فجأة، «يوري. الساكي هنا ليس جيداً. لنذهب إلى مكان آخر».

خارج المطعم لفت يوري ذراعها بذراع إيوسوكي كما فعلت من قبل. ولكن الآن قد حل الظلام، وأضاءت المصابيح الشوارع.

«مارأيك بذهابنا للرقص؟» سألت يوري. لأنها كانت شابة يافعة، فإنها استخدمت أعذب نبرات صوتها المثيرة.

«أنا أكره الرقص». لقد كان جوابه فظاً، وليس كعادته.

«حسناً، دعنا نرتاح في مكان ما، لدي شيء آخر أقوله لك».

«هل عن كوماكو؟» سأل بلباقة.

«كلا، عني».

«في هذه الحال». قال إيوسوكي، «ليس هذه الليلة، إذ يجب علي أن أذهب، وأنتِ سيفوتك آخر قطار إذا لم تنتبهي».

«هذا ليس جميلاً! ألم تقل بأننا سنذهب لتناول الشراب في مكان آخر؟»

شعر إيوسوكي بالتعاسة. أراد، حقاً، أن يتناول الخمر، ولكن ليس مع يوري. أراد التخلص منها، ولكن لأنها كانت شديدة الإلحاح لم يستطع إيجاد طريقة للتخلص منها.

بينما كانا يسيران بالشارع المرصوف بالأشجار مرا من أمام حانة إسبانية اسمها مدريد، فكاد إيوسوكي ألا يقاوم إغواء الدخول إليها، ولكن بالنسبة له لم يكن تذوق شراب الساكي بصحبة شابة يافعة أمراً محبباً له. لقد كان رجلاً ذا ذوق طبيعي، ولم يكن اهتمامه بإيقاع فتاة يافعة أقوى من اهتمامه بالارتباط بامرأة أكبر سناً.

عندما لم يكن أمامه حل آخر، قال بحزم، «أنا ذاهب الليلة إلى المنزل».

«إذاً، وأنا سأذهب إلى المنزل أيضا. سآخذ القطار من محطة شيمباشي». قالت يوري بتذمر غير متوقع، «كيف ستذهب؟»

«سآخذ القطار».

«أين تعيش؟ أخبرني من فضلك». وقع إيوسوكي في ورطة؛ فهو لم يستطع أن يقول إنه كان يعيش تحت جسر أوكنناميزو، فكذب وقال «قرب كانادا، في شقة»، وراح يحث الخطى محاولاً تجنب أسئلة أخرى. كان هناك قليل من المصابيح في الشارع فسار الاثنان بصمت.

«حسناً، ربما كان الشارع المظلم أفضل لطرح السؤال». قالت يوري، وقد أصبح صوتها أكثر نعومة، «مارأيك بالزواج مني؟»

«ماذا قلت؟» كاد إيوسوكي أن يقع من على الرصيف بسبب الدهشة التي أصابته.

«أريد أن أتزوج بأسرع وقت ممكن. لقد قرفت معاملة الناس لي معاملة الأطفال. أريد الإبحار في عالم الكبار».

«ولكن لديك تكابومي».

«إنه ليس مناسباً، لا يستطيع حتى إن يكسب قوت عيشه. علاوة على ذلك، أكره الزواج التقليدي. أريد واحداً مثلك؛ رجلاً ناضجاً وكبيراً وقوياً، ويعرف كيف يجلب المال».

«ولكنني متزوج من كوماكو».

هذا التصريح المفاجئ قد فاجأ إيوسوكي ذاته.

«هذا لايهمني. تستطيع أن تتابع حبك لكوماكو على ماهي عليه، فقط افتح لي منزلاً».

في الصباح التالي، استيقظ إيوسوكي في وقت متأخر على غير عادته وكانت الساعة قد بلغت العاشرة عندما ذهب ليغسل وجهه. في البداية، صعب عليه أن ينام. كانت حشرات الخريف عنيفة، وكذلك خيمت على تفكيره حال كوماكو. ذكرياته في المنزل التي كان قد تخلى عنها، عادت لتنهمر في ذاكرته، استطاع أن يتخيل الرجل الذي لم يقابله من قبل، وهو يجلس في شرفة منزله يهدد كوماكو.

ربما علي العودة لألقي نظرة. كان القطار المتجه نحو محطة كاتشيكاوا يسير على الضفة الأخرى من النهر. لم يردعه شيء سوى كوماكو- إنها لم تكن امرأة عادية، بل كانت أكثر استقلالية من معظمهن. كان هناك احتمال كبير أنها ستواجهه بهذه الكلمات: «من طلب منك القدوم كي تنقذني؟ لم آذن لك بالعودة». حتى لو كانت واقعة في معضلة، لربما قالت شيئاً يشبه هذا. لو كانت بحاجة ماسة إلى عودته، لوضعت إعلاناً يتضمن فقدان شخص في الجريدة. إنها بالتأكيد على قدر كاف من الجرأة على فعل ذلك.

لقد خطر لإيوسوكي أن ينسى كوماكو كلياً وإلى الأبد، ولكن لم يكن من السهل عليه أن يكبح الشوق إلى العودةِ الذي أثارته قصة يوري. يملك جميع الرجال غريزة تقودهم إلى الصيد. إنها صفة تسم إنسان العصر الحجري، ولكنهم أيضا يملكون غريزة الحنين إلى موطنهم التي تجبرهم على الرجوع إليه بعد غيابهم عنه. لم يكن إيوسوكي حالة استثنائية.

ما كان ينبغي لي أن أفترق عن يوري بهذه الطريقة. هكذا اعتقد مع بعض الأسى. يوري تعرف جميع تفاصيل حياة كوماكو، ومن الآن فصاعداً، يرغب في الاطلاع على كل ما يحدث. فقط يوري تستطيع تزويده بالمعلومات، ولكن عندما طلبت منه فجأة في الشارع أن يتزوجها، أصيب بصدمة عنيفة، وانطلق مندفعاً إلى محطة شمباشي.

ربما كان مزاحاً. إن فكرة جعلها زوجة رسمية له، مع إبقائه كوماكو صديقة له فكرة عبثية. لو كانت جادة، لاقترحت العكس.

لقد كانت نفسية فتيات فترة ما بعد الحرب أكثر تعقيداً من أن يدركها إيوسوكي، كما أنه لم يكن لديه اهتمام بذلك. حتى لو كان مزاحاً فقد أخذه بجد، فهرب مسرعاً دون أن يستوضح كيف ومتى يمكن له أن يقابل يوري ثانية، الآن قد أسف لذلك.

من النادر أن يتوتر إيوسوكي هكذا ويخرج عن طبيعته. ليس لديه شهية لتناول الإفطار، فراح يذرع ضفة النهر جيئة وذهاباً. أراد أن ينعم النظر في الأشياء، ولكن سرعان ما رآه كجيكي.

«كنت أنتظرك كي تستيقظ. أخبار سارة جداً. لقد ربحنا مالاً كثيراً من الصفقة التي أجريناها ذاك اليوم، لذلك اشترينا سفينة. سنحملها بالقرطاسيات والأدوات اليدوية وسلع كهربائية لتبحر قريباً جداً بقيادة تكاهاشي». بسبب ما كان يشعر به إيوسوكي، لم يستطع أن يهتم بالعملات الأجنبية ولا بعظمة الأمة. كل ما أراده هو أن ينصرف عنه كجيكي ويدعه بصحبة أفكاره.

«هل أنت مصاب بحمى؟ لا تبدو على ما يرام». بدا القلق على كجيكي، «اهتم بنفسك» قال قبل أن يعود إلى كوخه.

لما أصابه ارتياح نتيجة تركه وحيداً، ذهب إيوسوكي وجلس تحت شجرة الصفصاف، ولكن عندها جاء كينجي المسن يسير تقريباً على رؤوس أصابعه.

«إيوسوكي، لم أستطع التحدث في المنزل، فالجدران ليست سميكة». بدأ، فكانت الحكاية التي سردها غير متوقعة البتة. كانت زوجة كينجي قد حصلت على عمل يؤمن لها مكان معيشة في هونغو، إذ كانت تعمل في مصنع للأدوات الطبية، ولكن سرعان ما تبين لها أن المجتمع محافظ جداً. أرادت العودة إلى الكوخ؛ بمعنى آخر ستعود زوجة لكينجي وتعيش معه. وبما أن إيوسوكي كان قد دفع نصف النقود، فهي مستعدة أن تعيد خمسمئة ين، إذا سمح لها بالعودة.

«ولكن لم نفكر قط بإبعادك خارج الكوخ. يسعدنا أن تعيش معنا لو أردت ذلك. هناك اقتراح آخر وهو أن تصبح أنت مالكاً. إن هذا يستحق منك التفكير، ربما هذا أفضل الاختيارات».

كان اقتراح كينجي أيضا غير متوقع تماماً. «أنت تعرف السيدة تكاسوغي التي تعيش في الجانب الشرقي؟ إن ابنتها قد وجدت عملاً يوفر لها مكان إقامة، فهي ستترك أمها تعيش وحدها. ربما تبدو منهكة قليلاً ولكن عمرها ستة وثلاثون عاماً فقط، فهي تكبرك بعام واحد. ما رأيك بالزواج منها بدلاً من أن تعيش وحدك؟ إنها امرأة ناضجة، فهي ستهتم بك. علاوة على ذلك، فمنزلها هو الأحدث، ولا يوجد فيه كثير من البراغيث».

«كينجي توقف من فضلك! إن هذا غير قابل للتفكير».

لقد ازداد غضب إيوسوكي جداً حتى جعله يرفع صوته. لقد جاء الرجل المسن في أسوأ الأوقات. لو كان إيوسوكي في حالته الطبيعية لأصغى بتقبل.

«أنا آسف! لا تغضب». بهذا انسحب كينجي والانكسار ظاهر على وجهه. شعر إيوسوكي باستياء من نفسه، لم يعد هذا المكان مأوى هادئاً ومريحاً. مازال يرتدي ملابس عمله، ولكنه أراد الذهاب إلى البلدة لتناول بعض الخمر. صعد السلم، وكاد يخطو إلى الشارع عندما لفتت نظره تنورة حمراء.

«أنت تعيش هنا. أليس كذلك؟ لقد تتبعتك في الليلة الماضية. أي حياة مثيرة تلك التي تعيشها!» بدت يوري مذهولة!

الفصل الثالث عشر
الرجل المتوحش

وجدت كوماكو نفسها في مأزق، وكان ذلك نتيجة غلطتها. لم تحلم بحياتها أنه يمكن لها أن تتسبب بمثل هذه الكارثة، إن اهتمامها بموظف المؤن هيجي لم يكن نابعاً من فضول تافه كما يحدث لأرستقراطي اعتاد تناول سمك الأسبور البحري، فتنتابه رغبة في تجريب السمك الصوري العادي. كما أن اهتمامها هذا لم ينشأ عن إعجاب بدائي بمخلوق يشبه إله الغابات بان ذا الساقين المكسوتين بالشعر، كما صورت ذلك يوري. لقد كانت مثل مهاجرة تسير في طريقها نحو الأنوثة، فتعثرت بهذا الصنف من الرجال. بما أن رأيها بهذا الطريق مختلف بعض الشيء عن رأي المفكرين الكونفوشيسيين القدماء في نموذج الإخلاص والطاعة. ولو كان هيجي أول رجل بعد مغادرة زوجها، لربما ما كانت لتلاحظه. لا يمكن لربة منزل تهوى الأدب الإنجليزي أن تنسجم مع أعزب كثير الصمت يعيش في مكتب المؤونة.

على أية حال، كانت كوماكو قد قطعت مسافة في رحلتها. لقد بدأت زواجها بإيوسوكي ثم تحولت إلى تكابومي، الذي كان مغامراً، ولكنه طيع كقنديل البحر. ثم جلبتها رحلتها إلى هنمي؛ المحافظ والمهذب والذي يشبه الموزة. له رائحة مميزة، ولكن تنقصه قسوة تغري الأسنان كي تقضمه. كلاهما لديه نقاط ضعف وقوة، ولكن لم ينجح أي منهما بالفوز بتفكيرها أو جسدها. في واقع الأمر، شعرت كوماكو بالإنهاك الذي قد انتابها لما مرت به من تجارب. لم يبعث فيها المشهد أي إلهام، إذ لم يظهر لها في الأفق حتى منظر واحد منها. لقد بدأت تشعر بالقنوط من قلة صنف الرجال الحقيقيين بعد هزيمة الأمة، قبل أن يبرز في حياتها موظف المؤونة الغذائية. لقد رأت في هيجي ما لم تره في إيوسوكي أو تكابومي أو حتى هنمي. أو ربما هكذا اعتقدت كوماكو. لقد كانت طبيعتها من النوع العاصف، ففي هذا الوقت الذي اهتزت فيه أركان استقرارها النفسي والفكري، كان انطباعها عن هيجي مشوهاً في البداية.

كان قد تولع اهتمامها بهيجي عندما ذهبت إلى مكتب المؤونة تشكره على إنقاذها من

اللص. لقد تجاهل السجائر التي قدمتها له. حقاً، لقد اشتكى من نصيب إيوسوكي من مؤونة الأرز. في الحال العادية، لا تستسلم كوماكو بسهولة أمام مثل هذا الشجار، ولم يكن غريباً أن تقبل بالهزيمة.

«آسفة لذلك». سمعت نفسها تقول وانتابها شعور حسن. لقد اعتقدت أنها رأت قوة شخصية هيجي.

بعد عودتها إلى المنزل وسماع حديث مالكة المنزل حول شخصية هيجي وماضيه غير المحظوظ، ازداد اهتمامها به وبدأت تفكر به بوصفه رجلاً وليس موظف مكتب المؤن. ربما يفترض أحدنا أن هذا كان نتيجة ديموقراطية ما بعد الحرب، ولكنه كان نتيجة تأثير علاقاتها السابقة بتكابومي وهنمي.

لم تقع كوماكو بحب هيجي، فربة منزل عصرية ناهز عمرها الثلاثين لا تقع بالحب بهذه السهولة. ولكن يمكن أن يتفتح في نفسها إعجاب وانجذاب لرجل مرات أكثر مما يمكن لفتاة بريئة أن تتصور، وإذا راحت براعم الحب تتفتح، فغالباً ما تقطفها المرأة أو تتركها تذبل ثم تموت.

ربما ما كان لعلاقتهما أن تتطور أكثر من ذلك، على الرغم من إعجاب كوماكو بشخصية هيجي الغريبة وقوته الإنسانية الخارقة. لكن وجد هيجي ضرورة لزيارتها في منزلها في أحد الأيام.

«ياسيدة ميناميمورا، لقد أخطأت في ذلك اليوم. ما دمت لا تتلقين إيصالات لتناول الطعام في المطاعم، فنصيب زوجك من المؤن يمكن أن يصرف هنا. هذا ما يقوله مديري». كان هيجي قد جلب معه كيساً صغيراً من الأرز. منذ زيارتها إلى مكتب المؤن، لم تستلم كوماكو نصيب إيوسوكي من المؤونة.

«هذا لايهم. في آخر الأمر، أعيش وحدي، ولا أستطيع أن آكل هذا كله». قالت الحقيقة، ولكن هيجي ألح، لذلك قبلت في النهاية أن تأخذ الأرز. دفعت ثمنه وقدمت له الشاي، وأعطته قطعاً من الكعك ليأخذه معه إلى منزله.

«أنت تعيش في مكتب المؤن على ما أعلم. لابد أن يكون ذلك غير مريح». تلك الملاحظة التي أبدتها عندما كان هيجي يجلس في الشرفة كانت بداية لحديث عرفت من خلاله الكثير عنه.

لم يكن هيجي كثير الحديث. كانت أجوبته مختصرة تتمثل بنعم أو لا، ولكن كان يتمتع بوقار لطيف نتيجة ذلك، هذا ما جعل كوماكو تتودد له. ربما لم يكن من الأدب، ولكنها وجدت نفسها تقدم تعليقات ودية حول خيانة زوجته.

«كيف لها أن تفعل ذلك، بعد تجاوزك مرحلة الخطر وقدرتك على العودة إلى منزلك!»

«يا سيدتي كل ما أستطيع أن أقول هو أن النساء جميعهن قاطعات طريق». تحدث هيجي بهدوء، ولكن ارتسم على وجهه ألم. هذا الرجل ذو المظهر البسيط يبدو محاطاً بهالة من الكآبة، واعتقدت كوماكو أنها قد كشفت منشأ تلك الكآبة.

«لا تقل هذا. سأظل أبحث عن امرأة تكون زوجة صالحة لك».

«لا حاجة إلى إتعاب نفسك».

كل شيء كان مقبولاً طالما بقيا يتبادلان المزاح اللطيف، ولكن لاحظت كوماكو أن خياطة قفا سترته العسكرية كانت مفكوكة، فأسفت لذلك.

«اخلع سترتك، فسأخيطها لك على آلة الخياطة». كان طلبها مهذباً، إلا أنه كشف عن خجل هيجي التلقائي؛ فهو لم يكن يرتدي قميصاً داخلياً لذلك لم يرغب في خلع سترته. عندما فعل ذلك أخيراً وأصبح نصفه العلوي عارياً أعجبت كوماكو بعضلاته البارزة، وبشرته التي لم تكن مسمرة كوجهه.

عندما فرغت كوماكو من خياطة الفتق بمهارة، وأعادت السترة له، تجاوز هيجي تحفظه المعتاد ليقول بإخلاص بالغ.

«شكراً يا سيدة ميناميمورا. إنك لطيفة جداً».

بعد تلك الحادثة، قدمت له معروفاً أو اثنين؛ إذ أخذت له مرة طعاماً فائضاً. لقد تغير تعامل هيجي مع كوماكو تدريجياً. على الرغم من أنه لم يكن دائماً على ذات الوتيرة، كان في بعض الأوقات مفرط الخجل، وفي أوقات أخرى فظاً. لم ينظر في وجه كوماكو البتة، وعلى الرغم من تجاوزه الثلاثين من عمره، كان يخجل منها كما لو كان طفلاً. لقد استنتجت أنه شخص ذو قلب طيب وبسيط.

لقد وجدت كوماكو هذه الخصلة جذابة. بالطبع كانت تدرك المشاعر التي أثارتها في داخله. النساء في جميع أعمارهن شابات كن أم كبيرات يملكن مجسات دقيقة جداً يلتقطن

بها الذبذبات العاطفية، وإذا استخدمت على نحو مبالغ به، يمكن أن ينجم عن ذلك ثقة مبالغ بها كذلك.

لقد رحبت كوماكو باهتمام هيجي بها. المرأة التي تجعل الرجل، الذي عرف بلعنته النساء عامة، يقع في حبها لتستحق التباهي بنفسها. منذ أن غادر إيوسوكي، لم يطلب ودها واحد فقط بل اثنان، وقد وجدت كوماكو ذلك أمراً غريباً. الآن رجل ثالث قد أعجب بها مسبباً لها بعض الإرباك. تساءلت إذا كانت تملك جاذبية لا تقاوم وهي لم تكن تعيها، وإلا لم وقع ثلاثة رجال في غرامها في خلال أشهر قليلة.

لم تكن طريقة هيجي بإظهار مشاعره غير مقبولة. لم يكن مبهرجاً بإسراف، ولا متملقاً مثل تكابومي، وليس متقد الفكر ومتردداً مثل هنمي. على الرغم من ارتسام مظاهر الحب عليه، إلا أنه لم يقل شيئاً. ربما اشتعلت نار مشاعره عميقاً في نفسه حتى كان اتقادها أكثر توهجاً من نار الآخرين. هناك شيء أقلق كوماكو هو أن هيجي لم يتحدث لغة طبقتها الاجتماعية، ولم يكن على دراية بعادات ذلك العالم. وبالرغم من رؤيتها لهذه الحقيقة، إلا أنها ربما قد ضاعفت مشاعرها. في آخر المطاف، إن الاختلافات بين الطبقات الاجتماعية أو الثقافة لا يفترض لها أن تظل مشكلة.

ماهو أكثر أهمية قيمته كإنسان! قالت لنفسها.

لا تريد كوماكو أن تقولب نفسها ضمن نطاق نموذج نساء ما قبل الحرب اللاتي يقسن كل شيء بمعيار المظهر والتقاليد. لقد أرادت أن تختبر جولات أكثر أهمية في مجال الحرية من خلال عواطفها وأفعالها.

تماماً كما تحفظ النسوة العصريات أثواب الكيمنو التي يملكنها في الخزائن بدلاً من أن يرتدينها، يمكن القول إن كوماكو تتوق إلى الحرية لما لها من حظوظ، ولكن على الصعيد العملي كانت راضية لو أنها حظيت بشيء من تلك الحرية فقط. هذا ما قد حمى امرأة في منتصف عمرها من الخطر. مهما كان اهتمامها بالغاً في هيجي، لم يخطر لها البتة أن تبدأ بمفاتحته.

كان هيجي رجلاً صبوراً، ولأنه كان مقتنعاً بأسلوب التدرج بالعواطف، احتفظت كوماكو بثوب ياباني (كيمنو) آخر في خزانتها. في إحدى الليالي العاصفة، تغير الحال بسرعة فائقة.

تنبأ تقرير الطقس بوقوع إعصار في تلك الليلة، لذلك أغلقت كوماكو أبواب العواصف المحيطة بمنزلها، وكانت تقرأ عندما سمعت هيجي ينادي:

«عمت مساء». حتى كوماكو شعرت بالخوف.

ربما لن يقع الإعصار كما كان متوقعاً، ولكن بما أنها وحيدة في المنزل في تلك الليلة والريح الشديدة تعصف بالأشجار، لم ترحب بزيارة هيجي لها.

«ياللسماء! ما الذي أتى بك هنا في هذه الليلة؟» حاولت أن تبدو لطيفة، ولكنها فتحت أحد الأبواب قليلاً فقط.

«لدي شيء أريد أن أخبرك إياه». قال هيجي. عندما حدقت في الظلام، استطاعت كوماكو أن ترى هطول مطر خفيف. كان هيجي الكئيب يحمل مظلة ورقية تقليدية مطلية بالزيت. في بعض الأحيان، وجود ردهة المنزل ضروري. وبما أن المطر كان يهطل بالشرفة، فما استطاع الجلوس في مكانه المعتاد.

«أدخل، ولكن فقط لعشر دقائق، فأنا لدي عمل يجب أن أنهيه هذه الليلة».

على أمل أن يكون لهذا تأثير عليه، سمحت له بالدخول. لم تغلق الباب عن قصد.

«آسف لقدومي في مثل هذا الوقت المتأخر».

كان هيجي متوتراً على نحو غير طبيعي، وانحنى لكوماكو. بدلاً من ثيابه العسكرية، كان يرتدي ثوب الكيمنو الياباني محاولاً أن يظهر بمظهر رسمي، ولكن القماش الرمادي بخطوطه المتناسقة كان رخيص الثمن وقروي المظهر، ما جعله يبدو رث المظهر.

«أهو حول المؤن؟»

لم تقدم كوماكو له الشاي ولا الحلوى. علاوة على ذلك، فإن صوتها كان جافاً على غير عادتها. بدا هيجي منكمشاً، وهو جالس هناك متوتراً.

«كلا إنه ليس حول هذا. انخفض صوته، وراح يتململ، وهو يثبت نظره على السجادة.

هذه المرة الأولى التي ترى فيها كوماكو هيجي مروعاً. بدأ خوفها يخبو، إن كان نمراً دون أسنان فلا حاجة إلى أن تقلق. إلا أنها شعرت في الوقت ذاته، بأنها قد أصيبت بخيبة أمل، لأنها فقدت فيه نصفه المعتاد.

انتظرت كوماكو هيجي ليقول شيئاً، ثم بعد أن نفد صبرها، بدأت الحديث.

«لا أعرف ما الذي أتى بك هنا هذه الليلة، ولكن قل لي من فضلك؟»

«حسناً، بدأ بتردد. ولكنه صمت ثانية دقيقتين أو ثلاث دقائق قبل أن يتابع بصوت خافت،

«لا أريدك أن تفعلي ما ذكرت في ذلك اليوم».

«ماذا كان ذلك؟»

«لقد قلت إنك ستبحثين لي عن زوجة».

«آه... تعني ذلك!»

كادت كوماكو تضحك. كان ذلك مجرد حديث، وقد نسيت كل ما يتعلق به.

«لاأستطيع أن أرى أية امرأة أخرى زوجة لي».. همهم بتنهيدة.

«هل كانت زوجتك الأولى امرأة جيدة جداً؟» كانت كوماكو فضولية.

«يمكنك أن تخمني أي صنف من النساء كانت، فقد هربت مع رجل آخر عندما كان زوجها يخدم في الجيش». راح هيجي يحملق بالأفق وظهر العنف على تقاطيع وجهه، «لو أمسكت بها لجعلتها تدفع الثمن!»

عكست نبرة صوته نيته على خنقها لو التقى بها. لم تقلع أسنان الوحش، أدركت كوماكو، فعاد لها خوفها.

«يجب أن تجد شابة لطيفة جداً، وهكذا تنتقم منها». قالت كوماكو محاولة طمأنته. أدركت أنه ربما يصبح أكثر خطورة لو أثير أكثر من ذلك.

إلا أن الجمر الكامن في هيجي يبدو أنه راح يشتعل، فرفض اقتراحها بعنف.

«لا أبداً! لن آخذ شابة أبداً. ما فائدة ذلك!»

«كم هذا غريب! ولكن من ستتزوج، إن لم تكن امرأة شابة؟»

قالت كوماكو هذا بمزاح كي تبدد غضب هيجي.

حدق هيجي أمامه ثم استدار نحو كوماكو ليحدق في وجهها لأول مرة. كان من الصعب معرفة إذا كانت نظرته تنم عن توق شديد أو امتعاض عميق، ولكنها كانت تحمل حدة وحشية.

«من سأتزوج؟ سأتزوج زوجة رجل آخر». تحدث بهدوء، ولكن بثقة.

ارتجفت كوماكو. اختفى اهتمامها بهيجي. كانت خائفة عشرة أضعاف خوفها عندما هاجمها ذلك اللص. لم تكن في حالة تمكنها من الإجابة، وراحت تتساءل كيف تستطيع أن تدافع عن نفسها.

ظل هيجي يحدق في كوماكو. زال تكتمه الذي لم يكن ادعائياً، ولكنه عبر عن شخصية قد تحولت من أقصى جانب إلى عكسه. شعرت كوماكو بخوف أكبر.

مازالت الرياح تعصف بقوة خارج المنزل. كان الضوء يخف تارة، ثم يقوى تارة أخرى. تابع هيجي...

«إنك تفهمين؟ أحدهم أخذ زوجتي، لذلك أستطيع أن آخذ زوجة آخر».

اشتد رعب كوماكو حتى لم تعد تستطيع الإصغاء إليه. نهضت، ثم اندفعت نحو الباب. «المعذرة، ولكنني قد تذكرت شيئاً ينبغي لي أخباره لمالكة المنزل». قالت بصوت يشبه الصراخ. اندفعت عبر الباب المفتوح، وهي حافية نحو الحديقة، ثم ركضت نحو منزل مالكة منزلها بهدف حماية نفسها.

طلبت كوماكو من مالكة المنزل كي تأذن لها بالبقاء عندها في تلك الليلة. معتقدة أنها لو ذكرت اسم هيجي لسبب ذلك مشكلة فيما بعد، قالت لمالكة المنزل إن أصواتاً غريبة قد أخافتها، فكان ذلك كافياً.

في الصباح التالي، وعندما عادت إلى منزلها، وجدت المكان مبعثراً.

بالطبع لم يكن هيجي هناك، ولكن المنزل بدا وكأن زلزالا قد ضربه؛ إذ ألقيت اللوحات المعلقة على الجدران أرضاً، وقلبت رفوف الكتب، كما قلبت آلة الخياطة رأساً على عقب، وقلعت أحد أرجلها المعدنية.

كان المشهد مرعباً، عندما نظرت كوماكو إلى الحديقة، وجدت أنها أيضا قد خربت– إذ قلعت إحدى الأشجار وألقيت أيضاً، كما سويت الشجيرات الصغيرة من حولها بالأرض حتى ظهرت أصلاب فروعها.

لقد فعلها! من المؤكد هو من فعل ذلك! لقد فقد هذا الرجل ذو القوى الخارقة سيطرته على نفسه. بغضب، أطلق هيجي العنان لقوته العمياء.

تمثل أول رد فعل صدر عن كوماكو بامتعاظها– في آخر الأمر، لم تكن الزوجة الخائنة– ولكن كان هناك عنصر هزلي أيضا. لم تبد ثورته وكأنها من فعل إنسان، ولكنها من فعل آلة– قد بدا المشهد وكأن جرافة قد مرت في المنزل. تحول رأي كوماكو بهيجي من كونه شبيهاً بإله الغابات بان إلى كونه مجرد جرافة. لم يخطر لها البتة أن الحال ستؤول إلى هذا. ربما شكل نزوة عابرة بالنسبة لها، ولكن حقيقة ظهور طبيعته بهذه الطريقة كانت محبطة.

ألا يستطيع هيجي أن يميز بيني وبين زوجته الخائنة؟ أم إنه مر بنوبة غضب لأنني غضبت؟ لقد تأملت في هذا مطولاً، ولكنها لم تصل إلى إجابة، ربما كان كلاهما صحيحاً.

على أية حال، جاء في الليلة السابقة ليصب جام غضبه الخفي في الحديقة. إذا كان ناجماً عن قوة عواطفه أو عن انتقام، فلا يهم ذلك كثيراً، لأنه جاء على عكس جميع غرائزها وسبب لها متاعب كثيرة. كان بريئاً وليس شريراً، ولكنه مازال مخيفاً مثل أولئك الطيارين اليابانيين السابقين الذين تحولوا إلى الجريمة. كلا، فحتى اللص العادي أقل خطرا لأنه لا يؤذي أحداً مالم يجبر على ذلك.

نعم، إنني خائفة منه لأنه يشبه الجرافة!

آثار الكارثة تذكرها بهيجي. لم يكن فيها ما يبعث الضحك. عندما تذكرت كيف شاركته طعامها وخاطت له ثيابه، أدركت أنها كانت تضع رأسها في فم النمر، فسبب تذكرها هذا ارتجافاً شديداً في جسدها. شرعت بترتيب منزلها مدركة أنها قد تعلمت درساً جيداً.

لن أستطيع القيام بأي عمل خياطة حتى أصلح آلة خياطتي، هذا ما أدركته.

في ذلك المساء وفي أقل الأوقات مناسبة ظهر تكابومي، «ماذا حدث؟ يبدو وكأن الإعصار قد ضرب في هذا المكان مباشرة». لو شاهد أحد حالة الحديقة، لفكر في الطريقة ذاتها.

«لا تأبه. تعال وساعدني!»

بسخط والعرق يتصبب منها، كانت كوماكو تحاول رفع قاعدة حوض الغسيل الصخرية، ولكنها كانت أثقل من قدرتها.

بالطبع! خلع تكابومي سترته ولدى وصوله عند رقم ثلاثة حاول جاهداً مع كوماكو، ولكن قوة الشاب كانت تافهة.

«ماهي مشكلتك؟» صرخت كوماكو، «أنت رجل. أليس كذلك؟ حاول جاهداً أكثر!»

على الرغم من تثبيت قدميه جيداً ومحاولته جاهداً بكل قدرته، فقد كانت النتيجة الوحيدة هو أن تصفيفة شعره الحديثة الطراز قد خربت. أقلع عن ذلك منهكاً. الشبان من جيله لم يجبروا على العمل في مصانع الأسلحة في أثناء الحرب، كما أن نقص الطعام الجيد في أثناء فترة نموهم قد جعلهم ضعفاء البنية. إنهم يشكلون جيلاً واعداً ببلد قد جنح للسلم، ولكن عندما يتعلق الأمر بتنظيم المنزل أو الانتقال منه، فهم عديمو الجدوى تماماً.

«انظر إلى نفسك! حتى أنا أقوى منك». تابعت كوماكو عملها وحدها. صورة إيوسوكي مرت بمخيلتها. أدركت أنه يشكل مصدر مساعدة هائلة في مثل هذه الأوقات.

هذه حقيقة راسخة بالطبع كان عليها أن تحثه كثيراً كي تجبره على العمل، ولكن حالما يبدأ، يكون أشد قوة من هيجي. هذه المرة الأولى منذ أن غادر إيوسوكي المنزل التي تعترف فيها كوماكو بحاجتها إلى زوجها حتى في هذه الطريقة غير الأساسية.

«هذه ليست كارثة طبيعية. أليس كذلك؟» سأل تكابومي، «أستطيع رؤية آثار أقدام كبيرة في كل مكان».

كانت الأرض هشة بسبب المطر، فوجد تكابومي آثار قبقاب هيجي. لقد كان شديد الانتباه. «أنا أعرف! لابد أن يكون ذلك الرجل. أخبريني ماذا حدث! سأعمل على حمايتك».

كان تكابومي يعي قوة هيجي نتيجة حادثة اللص، وكان غيوراً من اهتمام كوماكو بموظف مكتب المؤن.

«لا أعرف عما تتحدث! يا تكابومي كيف تستطيع قول ذلك في وقت لا جدوى ترتجى فيه منك!» كانت كوماكو غاضبة، «وعلى أية حال، ماذا تفعل أنت هنا، لتسأل كل هذه الأسئلة؟ أنت تعلم أنه منذ أن أتت إلى هنا أمك المعتدة بنفسها أكثر مما ينبغي وأهانتني، أصبح من غير المسموح لك بالدخول إلى منزلي!»

أصبحت اليوم مليئة بالغضب نتيجة عدم جدوى الرجال. كان الوقت من السنة ذلك الذي يحل في المساء مبكراً. أفرغت كوماكو غضبها في الأشياء المحيطة بها،

وكذلك على تكابومي، ولكن عندما حل الظلام كان قد تغير مزاجها، وحل الإحساس بالوحدة في داخلها. لقد شعرت بوحشة عارمة تنتابها حتى إنها كادت تندم لإبعادها تكابومي.

حالما خيم الظلام على المنزل راحت موجات من الخوف تجتاحها.

كان الإعصار قد زال، لذلك كانت الليلة مزدهرة بالنجوم، والقمر ساطعاً، كما أن الرياح قد هدأت. إلا أن أعصاب كوماكو متوترة جداً حتى إنها راحت تحسب صوت هبوب أية نسمة كأنه صوت خطوات تقترب في الخارج. لم يكن من المؤكد أن هيجي لن يعود ثانية. هناك معضلة أخرى هي أنها لم تعد ترغب في الذهاب إلى مكتب المؤن ثانية، إذ أصبحت بالنسبة لها فكرة النظر إلى هيجي وجهاً لوجه مرعبة جداً. افترضت أنها تستطيع العيش على الخبز فترة من الزمن، ولكنها لم تستطع تخيل نفسها دون الحصول على نصيبها من الأرز مدة طويلة.

لا أريد العيش هنا أكثر من هذا. يجب أن أنتقل.

حدثت قرقعة في المطبخ، فقفزت كوماكو على قدميها، وراحت تجول في الغرفة متساءلة إلى أين يمكنها أن تهرب. لو ركضت إلى الخارج، لربما ألقى القبض عليها، ولكن لو بقيت في المنزل، لربما اقتحمه. اختفى الصوت، لذلك لابد أن يكون فأراً.

اعتقدت كوماكو أنها ستصاب بالجنون لو بقيت هناك. يعذبها كل صوت تسمعه. أخذت ثياب نومها وغطاء فراشها من الخزانة، ثم حزمتهما بقطعة قماش، وانطلقت راكضة إلى بيت مالكة المنزل، كما تنطلق خادمة المنزل إلى عملها.

«مساء الخير. آسف لإزعاجكما، ولكن هل لكما أن تأذنا لي بالبقاء هنا هذه الليلة أيضاً؟» توسلت إلى مالكة المنزل التي كانت تخيط فوق الأرض المرتفعة عند مدخل البيت.

«هذا سهل جداً». أجابت السيدة، ولكن ظهر على وجهها نظرة انزعاج.

كان مالك المنزل جالساً عند موقد النار يدخن الغليون. نظر بتساؤل إلى كوماكو «إذا لم تعيدي زوجك ذاك إليك، فإنك لن تحصلي على نتيجة». قال مشيراً. كانت كوماكو قد أخبرتهما أن إيوسوكي قد ذهب في رحلة عمل، ولكن كلما مر الوقت، راح جيرانها يقتربون من الحقيقة.

بينما حاولت كوماكو النوم في تلك الليلة وهي مغطاة بلحاف غير نظيف تماماً وتحدق في السخام الذي يغطي عوارض سقف المنزل نزلت على وجنتيها دموع الإحباط والشفقة على نفسها.

لو يعود فقط إلى المنزل، لحلت جميع هذه المشاكل. ما يتعلق بخلافها معه، لابد لها أن تضحي دون شك.

مع اقتراب فصل الخريف صار بوسعها أن تسمع أصوات أناس يتدربون على عزف موسيقى موسم الحصاد. ذكرها ذلك فجأة بخال إيوسوكي في أويسو. يجب أن أذهب وأتحدث إليه ثانية. هذا ما قررت.

الفصل الرابع عشر
الخروج عن اللحن

«ماذا بوسع إيوسوكي أن يفعل الآن؟»

أثارت هنيدا جينكو انتباه زوجها لهذا الموضوع عندما كانت تنظف الطاولة بعد الغداء، وتضع الأطباق على الصينية، في حين كان هنيدا يشرب الشاي، متخذاً كعادته وضعية رسمية ثانياً ساقيه تحته، محافظاً على استقامة ظهره وتقوس كتفيه تحت ثوب الكيمنو الياباني الباهت اللون. يعرف عنه كثرة حديثه مع رفاقه، إلا أنه يميل إلى الصمت عندما يكون في منزله، منشغلاً بأفكاره الشخصية. حتى في وقت تناوله الطعام، كان يتجنب الجلوس في وضعية الاسترخاء على سجادة التامي. لم يكن كثير التباهي؛ إذ كان بشكل رئيسي شخصاً جدياً مثل كثيرين من غريبي الأطوار.

«هذه الأسنان الاصطناعية». كان يحرك فكه من جانب إلى آخر نتيجة عدم ارتياحه لها، «ما يقولونه حول حصول الأمريكيين على طقم أسنان جديد كل ثلاثة أعوام، لابد له أن يكون صحيحاً».

لأنها تعودت عادة زوجها في تجاهله لها، أصبحت جينكو تعرف كيف تمنعه من تغيير الموضوع.

قالت، «ربما احتاجت أسنانك الاصطناعية إلى بعض الاهتمام، ولكنني قلقة حول إيوسوكي».

«نعم، إن ذلك الشاب مشكلة، يجب أن يعود إلى منزله في أي يوم من هذه الأيام». بدا هنيدا غير مكترث، ولكن زوجته التي مر عليها قرابة أربعة عقود، قد عرفت أن هذه ليست حقيقته. بينما كان يتظاهر بعدم الاكتراث بأفراد أسرته، كان بالمقابل يأبه لأفراد أسرتها. هكذا أصبحت تعرف أكثر من أن تصدق برودة تظاهره؛ على وجه الخصوص ما كان يتعلق بابن أخته الوحيد إيوسوكي.

«بما أننا نعرف كسل إيوسوكي الجلي، فمن الأرجح أنه لن يذهب أبعد من هوكايدو أو كيوشو». قالت جينكو، «لابد أنه مازال في طوكيو. هل توجد طريقة ما نستطيع من خلالها أن نجده؟»

«حتى لو وجدناه، فإن ذلك لن يحل المشكلة. إنه ليس طفلاً وربما لا يريد العودة، لذلك لن يكون ذلك مجدياً».

«ربما، ولكن فكر بالمسكينة كوماكو، إنها تنتظره ... وتنتظره.»..

«لابد أن تكون حال كوماكو جيدة. إنها قادرة على العيش وحدها على الصعيدين الشخصي والاجتماعي. إن حالها لايقلقني كثيراً».

«ولكن في آخر الأمر امرأة. مهما غيرت المرأة ثيابها، تظل الشخص ذاته داخل تلك الثياب. حتى فوجيمورا تلك التي تتصرف بإفراط هذه الأيام، سيستقر حالها، في فترة ما، وستصبح زوجة صالحة لرجل ما حتى لو بقيت مفرطة الحيوية. لذلك لا تتوقع من كوماكو أن تتغير كثيراً».

«كيف يمكنك أن تكوني متيقنة هكذا؟ إن النساء يتغيرن هذه الأيام. بعد معاناة هزيمة كتلك التي مررنا بها، لا يستطيع الناس إلا أن يتغيروا. إنه زمن الثورة للنساء والرجال. الوحيدون الذين لم يتغيروا هم أولئك الناس الذين مثلي ومثلك».

أشعل هنيدا سيجارة، وراح ينظر إلى الحديقة المشمسة حيث مجموعات من أزهار الرجلة الملونة المتأخرة التفتح قد أعطت رونقاً لمنظر أشجار الصنوبر الخمس أو الست البسيط تحت ضوء الظهيرة.

«حسناً»، ضحكت جينكو، «إنني لا أعلم حول الرجال، ولكن النساء لن يتغيرن فقط بسبب هزيمة البلاد، فلديهن ثبات أعظم من ذلك! عندما يتعلق الأمر بالنساء، ولأنك لا تدرك شيئاً على الإطلاق. إنه غريب ألا يعرف الرجال إلا القليل حول النساء، في حين تفهم النساء النساء الأخريات بوضوح يشبه وضوح النهار. من الصعب أن أصدق أن الرجال لا يستطيعون فهم طبيعة النساء!»

لما لم يكن لديهما خادمة، فليس في المنزل سواهما، لذلك كان باستطاعتهما التحدث بعد تناولهما الطعام بدلاً من إزاحة الأطباق من على الطاولة مباشرة.

«ربما تقولين هذا، ولكن النساء أيضاً لايفهمن طبيعة الرجال». رد زوجها.

«آه.. ولكنهن يفعلن ذلك». قالت جينكو، «تدرس المرأة طباع زوجها بدقة شديدة. إن معرفتها زوجها يشكل جزءاً من مهنتها».

«لذلك ينبغي لي الحذر. كنت أعتقد دائما أنه لا يوجد امرأة تستطيع فهمي».

«أنت! واحد من الذين يمكن فهمهم بسهولة، إلا أن إيوسوكي أكثر صعوبة».

«إيوسوكي؟! إنه لا يشكل صعوبة بالنسبة لي. ولكن بصراحة لا أعرف عن كوماكو. إنها بالتأكيد ذكية ولكن هل هي مخلصة أم أنها على علاقة بأحد أولئك الرجال؟»

«أظن أنها ليست هذا ولا ذاك. فقط الرجل هو من يفكر بهذه التعابير البسيطة».

«إذاً أنت تعتقدين أن الرجال يفكرون في العموميات، في حين تدخل النساء في التفاصيل؟»

«لا أعرف ذلك، ولكن كوماكو امرأة. ربما كانت أكثر النساء أنوثة. إلا أنها بسبب تعليمها كانت قد طورت طموحاً في داخلها».

«هذا ليس هدف التعليم!»

«ربما ليس لدى الرجال، ولكن التعليم يجعل النساء راغبات في تقليد الرجال. هذا ما يتطلعن إليه بعد ذلك».

«هذا يبدو نظرية جديدة!»

«ولكن حالما تظهر المرأة طموحها فإنها تخسر. عندما تقلد النساء الرجال، فإنهن لا يحصلن على شيء. هذا لأنهن لا يفهمن الرجال».

«إذاً، لا فائدة من تقليد الرجال».

«حسناً، إذا أرادت امرأة أن تربح المعركة، فينبغي لها استخدام موهبتها الخاصة، وألا تقلد الرجال. في أي حدث، لابد للنساء أن يربحن!»

«إذاً، إن هدفك هو هزيمتي!» ضحك هنيدا.

«اتركنا من هذا الآن». قالت جينكو ضاحكة، «آه.. انظر إلى الساعة. إنها الواحدة. ولكن من فضلك فكر بإيوسوكي. هل ستفعل؟»

بعد أن ذهبت زوجته إلى المطبخ، أخذ هنيدا وسادة إلى الشرفة، كانت الشمس قد

تحركت نحو الجنوب، ولكنه جلس مسنداً ظهره إلى عمود، متجاهلاً أشعة الشمس. الرجال والنساء–يا لها من دوامة! كان زواجه من جينكو زواجاً تقليدياً. لقد مضى عليهما الآن ستة وثلاثون عاماً دون نزاع، ليس بسبب قلة تردده إلى بيوت الطرب والغناء، ولكن عواطفه لم تتحول نحو أية امرأة أخرى، لذلك لم يقعا في نزاعات منزلية. لم يتعرف على جينكو قبل الزواج، وعلى الرغم من ذلك، لم يعد باستطاعته العيش يوماً واحداً دونها، بل راح يعتقد بسذاجة أن هذه طبيعة جميع المتزوجين.

نتيجة تأمله هذا العالم، وبما أن مشكلة إيوسوكي مع كوماكو قائمة في هذا الوقت– فقد أصبحت العلاقات بين الرجال والنساء معقدة على نحو مخيف.

راح يعتقد أن شبان هذه الأيام يستحقون الشفقة. إلى أين يقود كل هذا؟

انتقد هنيدا، بوصفه باحثاً في القانون، معظم مواد الدستور الجديد، إلا أنه وافق على توجهها العام. على أية حال، لم يقتنع بأنها جميعاً ستؤدي إلى سعادة الرجال والنساء في اليابان. وكان يعي تماماً حدود الحرية المنصوص عليها في القانون. كما كان يعي أيضاً من خلال خبرته الطويلة، أنه لا علاقة مباشرة بين الحرية والسعادة. على العكس، كان يأسف لحال الجيل الجديد، الذي جاءته الحرية عند بابه دون عناء.

شكلت مشكلة إيوسوكي وكوماكو صعوبة خاصة بالنسبة له، لأنه كان محباً لهما على حد سواء. وبما أنه لم يكن له أبناء، فقد انتابه شعور قوي نحو ابن أخته، ولكنه لم يكن أقل درجة نحو كوماكو. يحنو عليها كحنوه على إيوسوكي، على الرغم من علاقتها به فقط من خلال الزواج. لو كان بمقدوره تفضيل أحد على الآخر لكانت الحال أسهل بكثير، ولكنه صمم على إيجاد حل يجعل كلاً منهما سعيداً. إن لم يستطع، فسيقتنع بأن المشكلة لن تحل.

لقد أدرك أن إيجاد حل لهو أمر صعب، لأن الوقوف إلى جانب أحدهما يعني الوقوف ضد الآخر. لم يكن بحاجة إلى ضغط زوجته عليه كي يصلح بينهما، ولكن في الوقت الحاضر لم تتوافر له أية وسيلة كي يشرع في ذلك مما ترك له خياراً وحيداً، وهو أن يلف ذراعيه أمامه ويجلس منتظراً. على الرغم من ذلك، لم يرغب في استمرار الحال هذه إلى الأبد. كما قالت زوجته: إن الشيء الأول الذي ينبغي لهما فعله هو إيجاد إيوسوكي. لأجل هذا فكر باللجوء إلى أحد تلاميذه السابقين، الذي يعمل الآن ضابطاً في شرطة طوكيو، كي يبحث له عن أية معلومات.

ينبغي أن أستشير كوماكو أيضاً، ولكن ما عساها تفعل الآن؟ لم تأت هنا منذ وقت طويل. بينما كان يفكر بهذا، فتحت البوابة. سمع خطوات شخصين وأصوات رجال، لذلك لم تكن كوماكو.

«أهلاً.. أهلاً.. أدخلا!»

بعد أن ذهب إلى البوابة بنفسه، ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه هنيدا، إذ كان الواقفان هناك صديقيه في جمعية غوشوكاي، هيشكاري أوتومارو و فوجيمورا كويتشي، وهما أفضل ضيفين يستطيع ارتقابهما.

«لقد أتينا لنسألك عن طاقم المجموعة»، قال فوجيمورا وتعابيره الحزينة المعتادة تغطي وجهه.

«كنت أشعر ببعض الكآبة هذا اليوم، لذلك توقيت زيارتكما رائع. ادخلا من فضلكما».

عندما يصل أحد إلى عمر هنيدا وزوجته، فليس من السهل عليه أن يكون له أصدقاء جدد. لهذا كان هنيدا مبتهجاً جداً لرؤية هيشكاري وفوجيمورا. حقاً، سر بذلك كما لو أنه طفل، وهو يصطحب صديقيه إلى داخل المنزل. كما هو متوقع، فقد اختفى من تفكيره كل ما يتعلق بكوماكو وإيوسوكي.

لقد كان كل من هيشكاري وفوجيمورا– والد يوري– تقليدياً جداً، وكانت تحيتهما حتى لصديق قديم دمثة ورسمية في آن واحد. كان ينحنيان عندما يصل حديثهما إلى موضوع الاجتماعات الموسيقية.

«حقاً!» بدأ هنيدا، «كنت أفكر بالقضية مؤخراً، كما كنت أفكر بزيارتكما لأناقشها معكما. آسف لقدومكما من مكان بعيد، ولكن أدخلا لنتحدث حول المجموعة، ولنقص الحكايات.. إلى آخره. عندما أرغب في التحدث إلى أحد في هذه الأيام، فلا أجد فرصة للذهاب إلى المدينة، وهكذا أفقد فرصة الاستمتاع إلى الحديث. وبما أنه ليس من أحد يصغي إلي إلا العجوز، فحتى إذا وصلت عبارة ظريفة إلى طرف لساني، فإنها لا تجد طريقاً سوى العودة إلى داخلي! هاه هاه!»

بحضور الضيوف سرعان ما راح هنيدا يتحدث بسرور، فأصبحت حاله مختلفة تماماً عن

حاله لما كان مع زوجته. ظهرت هنيدا جينكو تحمل الشاي. قبل رؤيتها للزائرين، كانت قد بدأت تخطط لما ستحضره لهما في العشاء، إذ لم تعتبرهما مصدر إزعاج لها. حقاً.. إن هنيدا وزوجته شخصان اجتماعيان و منفتحان- إذ تستطيع القول إنهما ينتميان إلى نفس الفصيل.

«أشعر أن الوقت قد مر على نحو خاطئ»، قال هيشكاري. «أعتقد أنه لا ينبغي لي أن أشتكي، ولكن الأشياء كانت في وضع أفضل بكثير في الأيام السالفة. كانت اجتماعات فرقة غوشوكاي ودية جداً قبل الحرب». مسح الأرستقراطي السابق جبهته العريضة وهو يطلق احتجاجه الفاتر. لم يكن مرتدياً ثوب الكيمنو الياباني الاعتيادي، ولكنه كان يرتدي بزة ذات طراز قديم بصفين من الأزرار.

«لقد كانوا».. أضاف هنيدا مطلقا تنهيدة عميقة، «كان الدكتور هنمي بصحبتنا في تلك الأيام وكذلك هوري. حقاً، كانت أوتار القانون الخمسة في مكانها».

لم يكن أي منهم راضياً عن الوضع الراهن لجمعية غوشوكاي.

«ما الحال هنا في أويسو؟ ألا يوجد أحد مناسب لديه وقت فراغ؟» سأل هيشكاري هنيدا، «هناك أناس كثيرون لديهم وقت فراغ طويل، ولكن معظم الذين يعيشون هنا يطمحون إلى الذوق الارستقراطي على الرغم من أنهم ليسوا أرستقراطيين. إنهم على العكس من وضعك، فأنت أرستقراطي حقيقي تفضل الفنون العامية، وهم يفضلون أناشيد النوه الأرستقراطية وما شابهها».

إذن، قرقعتنا الكسلى لا تناسب ذوقهم»، قال فوجيمورا مبتسماً ابتسامة ساخرة.

«مازلنا نحتاج إلى فعل شيء كي نلم شمل أصحابنا». قال هنيدا، «لقد انتظرنا بصبر كي تنتهي الحرب، فكوفئنا أخيراً بأن حالفنا الحظ لنبدأ ثانية في هذا العام، ولكن بعد اجتماعين أو ثلاثة، قد وصلنا إلى هذه الحال المثيرة للشفقة. إذا استمر الوضع هكذا، فعلينا ألا نبدأ ثانية». أظهر هنيدا فظاظه رجل مسن.

«إذاً، لماذا توقف هنمي الابن عن الحضور؟» سأل هيشكاري.

«هذا ليس واضحاً تماماً». رد عليه هنيدا بسخط، «إذا سألتني، فإن دافع الرجل إلى الاندماج معنا لم يكن مناسباً. ينقصه الاحترام وحب الموسيقى الاحتفالية، وربما ينظر إليها

على أنها هواية غير اعتيادية– كما لو كانت ارتداء ربطة عنق مبهرجة– هذا متوقع منه لأنه شاب، ولكن في هذه الحال، إنه ليس مؤهلاً ليلتحق بالمجموعة. لقد كرسنا أنفسنا لأجلها، ونحن مصممون على أن نكرس طاقاتنا في السنين الباقية من أعمارنا لأجل هذا الهدف».

«بالضبط!» قال هيشكاري، «وعندما نفكر كيف ساعدنا ذلك، على نحو عجيب، في نسياننا سهام التوبيخ التي رمانا بها مجتمعنا الشنيع.»..

«وكي نحصل على الاستقلالية وحرية الروح بطريقة غير فضولية». لقد كان الرجلان المسنان، هنيدا وهيشكاري منسجمين انسجاماً تاماً. عززت كلماتهم صداقتهم المشتركة– فهما يذكران بأناشيد الكورس في أكثر المسرحيات يسارية.

«حقاً، لقد كانت السنوات العشر التي لحقت الانقلاب الفاشل الذي حدث في السادس والعشرين من شباط 1936، والتي ربما كانت حقبة غير سعيدة في اليابان، ربما كانت أكثر حقبة سعادة بالنسبة لجمعية غوشوكاي على الرغم من عدم مناسبة الاعتراف بهذا».

«ما دمنا نتحدث عن متع رجال الفضيلة يجب ألا ندع ذلك يقلقنا. لقد متعنا أنفسنا، ولكن صحب ذلك تردد شديد».

«ولكن حالما انطلقنا، لم نعد مترددين».

«هيا.. هيا، يجب على رجال الفضيلة ألا يحاسبوا أنفسهم على نحو مبالغ فيه. علاوة على ذلك، إذا أخذنا بعين الاعتبار حال البلاد، فلربما تحتم علينا العودة إلى مجموعتنا ثانية».

«هذا صحيح. عندما تصبح غوشوكاي ذات أهمية حقيقية، سيصبح غياب القرص الضخم وآلة الفلوت عائقا حقيقيا».

عاد النقاش إلى نقطة البداية.

«ربما فسر فهم هنيدا غياب هنمي، ولكن ما يبعث الغرابة هو سبب عدم إتقان السيدة هوري عزف آلة الفلوت. اعتقدت أنها تدربت على يد زوجها المتوفى، لذلك توقعنا منها إبداء حماس أكبر». قال هيشكاري موضحاً عدم رضاه بهدوء.

«أرسل هنمي رسالة يقول فيها إنه سيغيب، لذلك عذرناه، ولكن تلك المرأة قد غابت مرتين دون أن تخبرنا ما يجعل ذلك غير مقبول. هل يتضمن هذا رسالة ضمنية؟ هل فقط تعبت من العزف على الآلة على الرغم من أنني أستطيع القول إن عزفها كان أكثر بدائية من

أن يتعبها». توقف هنيدا عن استخدام الكلمات الرقيقة.

« تصلح كلمة «بدائية» أيضاً لوصف عزف هنمي على القرص المعدني (الغونغ). لم يتمتع أبوه بموهبة أكبر، ولكن إحساسه بالإيقاع كان أفضل».

«إنها مسألة روح، كما تعلم؟ في آخر الأمر، كان الدكتور هنمي ينتمي إلى جيلنا. إن دم جميع من عاشوا العقود الخمسة الممتدة بين دستور ميجي والدستور الحالي، ليجعلهم يعبرون عن كم هائل من عواطفهم عن طريق الموسيقى التي يعزفونها. لا أستطيع قول الشيء ذاته حول الأعضاء الجدد في فرقتنا».

«على الرغم من ذلك، نادراً ما عزفنا بانسجام». قال هيشكاري ضاحكاً.

«ربما كان الأمر هكذا، ولكن ربما كان ما يدعى بالانسجام دون توافق أعمى. يعكس طبيعة رجل الفضيلة واحترام الرجل النبيل للآخرين. إنه أيضا سر العزف مع فرقة». قال هنيدا، «إن العضوين الجديدين في فرقتنا لا يدركان المعنى الحقيقي للانسجام، وهما لا يقومان إلا باتباعنا. إنهما لا يستطيعان التمييز بين الحرية التي ينبغي لك البحث عنها، وتلك التي لا ينبغي طلبها. ربما يعتقدان أن غيابهما دون إرسال ملاحظة نوع من حقوق الإنسان. إن أخلاق مرحلة ما بعد الحرب مغيظة». كان هنيدا ينفس عن كربه، ولكن لو سمع يوري وتكابومي أنه قد اعتبر السيدة هوري وهنمي ينتميان إلى جيل مرحلة ما بعد الحرب، لانفجرا ضاحكين دون أدنى شك. كما يفهم القارئ فإن اجتماعات جمعية غوشوكاي كانت قد ألغيت لشهرين متتالين نظراً لغياب العضوين. ليس كما يحدث لأية مجموعة أخرى، فغياب عضو واحد يعني أنه لا يمكن للفرقة أن تجتمع. إن غياب عازف قرص الغونغ ليس بالأمر البالغ الأهمية، ولكن دون آلة الفلوت تصبح الطبول غير فعالة. ربما اعتقد العازفان الغائبان أنها موسيقى للحمقى وليست ذات أهمية، ولكن غيابهما يفسد إحدى متع حياة أولئك الثلاثة. لقد شكل هذا سبباً لنقد هؤلاء الثلاثة لعدم الوثوق بجدارة العضوين الجديدين، ولأهمية النظر في مستقبل المجموعة.

«ربما يترتب علينا طرد هذين العضوين وبدلاً منهما نعين عازفين حقيقيين كي نستطيع الاستمرار». قال هنيدا. عندها هز هيشكاري رأسه رافضاً.

«إن طردهما أمر مبالغ به، كما أن ضم عازفين محترفين أمر يتعارض مع هدفنا».

«ماذا ينبغي لنا أن نفعل؟»

أخيرا تحدث فوجيموزرا، الذي ظل صامتاً طوال النقاش.

«كنت متردداً في قول أي شيء لأنه لا ينبغي لي الحديث حول ذلك، ولكنني رأيت السيدة هوري مؤخرا وسمعت منها رأيها».

«وماذا كان؟»

راح هنيدا وهيشكاري يصغيان إلى فوجيمورا بانتباه شديد.

كانت خطبة يوري وتكابومي قد رتب لها منذ زمن، كما كانت الأسرتان قريبتين من بعضهما، لذلك لم يكن من الغريب لقاء فوجيمورا بهوران. على أية حال، نبرة صوته قد أشارت إلى وجود شيء ما.

«كما تعلمان، يمكن أن تكون تلك المرأة عنيدة جداً». علق فوجيمورا عند المقدمات، لأن ما أراد قوله قد كان صعباً.

«إنها ليست عنيدة فقط». صرح هنيدا دون تردد، «إن عنادها مستعص جداً. بينما يبدو عليها أنها تعرف جميع طرق العالم، إلا أنها تفقد كل ما له علاقة بالانسجام عندما يتعلق الأمر بابنها».

«بكلمات أخرى، إنها غير متعلمة». قال هنيدا، مازال غضبه يتفاعل بسبب غيابها غير المتوقع. «مهما تعلم الإنسان من فنون النوه والرسم بالحبر، يظل ما يمكن تحقيقه قليل جداً، وخصوصاً إذا كان من منبت دنيء. كل ما تستطيع أن تتمنى فعله هو أن تصبح مرشدة في إحدى مدارس الفنون المحلية الصغيرة جدا».

«فلتكن ما تكن». قال هيشكاري محاولاً إعادة الحديث إلى مجراه، «هل هناك أية علاقة بين غيابها وابنها؟»

«نعم، هناك علاقة. إن ابنها هو السبب. لقد أصبح تكابومي متورطاً بعلاقة، دعنا نقول مع أحد أقرباء عضو من أعضاء جمعيتنا». تجنب فوجيمورا النظر إلى هنيدا، «يصعب جداً علي قول هذا».

«لا ينبغي لك إخفاء أي شيء. هل تقول تلك المرأة إن رؤية أحدنا تضايقها بسبب ابنها». قال هنيدا بريبة.

«إنها ليست مضايقة فحسب. إنها تشعر بالنفور، أو ربما يمكنني القول إنها غاضبة».

«أحقاً؟ ومن هو سبب غضبها؟»

«حسناً، إنه أنت ياسيدي!»

«هي غاضبة مني؟ يا له من أمر غير متوقع! لا أتذكر البتة أنني أغضبتها». بدا هنيدا مذهولاً كما لو أن جميع طلابه قد قرروا الإضراب.

«أتفهم حيرتك تماماً، لقد قلتها مراراً، لا يمكن لك أن تكون على علم بالمسألة، ولكن غريزة الأمومة قد أفقدتها صوابها وتوازن شخصيتها».

تابع فوجيمورا ساردا حكاية تكابومي وكوماكو. وما دام قد سمعها من هوران، فإن القصة يقيناً تصب في صالح تكابومي. بدا وكأن كوماكو قد أغوت الشاب، لأنها كانت غير سعيدة بسبب غياب زوجها.

«يا للعار!» اشتعل هنيدا، «إذا كان هذا قد حدث حقاً؟»

خطة هنيدا في استمتاعه بقية النهار بصحبة صديقيه المسنين من خلال تجاذبهم أطراف الحديث قد أفسدت تماماً.

«إذاً حقاً هذا قد حدث». قال هنيدا، وقد علا صوته»، لابد لي أن أعتذر إليك أولاً يا سيد فوجيمورا، ما دام الأمر يلقي بظلاله على مستقبل علاقة ابنتك بتكابومي».

ربما اعتبر هنيدا نفسه متحرراً، ولكن عندما يشمل الأمر الأخلاق المتعلقة به أو بمن حوله، فهو تقليدي متشدد.

«أنا متيقن من أنكم جميعاً تعرفون ابنتي تلك؛ يمكنني القول إنها ذات طبيعة صبيانية. لا تأبه لذلك أبداً». أفصح فوجيمورا عن أنه أيضاً يهتم كثيراً بذريته.

«ليس بوسعك أن تتيقن من ذلك». قال هيشكاري، «من الأرجح أن الفتاة لا تفصح عما تشعر به. ربما تكون أكثر خجلاً». إن تفكيره أيضاً قديم جداً.

«مهما كانت طريقة تفكير ابنتك يوري، يجب ألا يسمح لكوماكو بالتغلب عليها. إلا أن شيئاً ما مازال يجعلني أشك بنيتها فعل شيء من هذا القبيل».

بعد انفجاره الأول بدأ هنيدا يشعر بالشك، «لقد كونت انطباعاً عن السيدة ميناميمورا أنها امرأة محترمة، ولكن بعدها قد سمعت إشاعات عن علاقة أخرى مع هنمي». تعمد

فوجيمورا على ألا يذكر شيئاً حول الإشاعة الأخرى التي سمعها من هوران.

«ماذا تعني؟ هل لكوماكو علاقة أخرى مع هنمي أيضاً؟»

عاد غضب هنيدا. «حسناً، إن الأمر ليس جدياً تماماً، ولكن يبدو أن هناك شيئاً ما بينهما، وأن غياب هنمي عن اجتماعاتنا له علاقة بذلك».

«أهذا صحيح؟» طفح وجه هنيدا بالغضب.

«ربما كان خطأ. لا يستطيع أحدنا تصديق ذلك». قال هيشكاري الذي كان دائماً يأخذ الخط المعتدل.

«من المحتمل. إلا أنهما، في واقع الأمر، قد ذهبا في رحلة بالسيارة إلى مكان ما».

يبدو أن فوجيمورا– والد يوري– قد فقد كل المشاعر الجيدة التي كان يحملها نحو كوماكو.

«هذا أسوأ. لم تكتف بخلق مشكلة مع تكابومي، ولكن الآن تقول إنها تسلط عينيها على هنمي، فهو رجل متزوج». قال هنيدا.

«مهما يقال عن انحدار الأخلاق منذ نهاية الحرب، يظل الصفح عن هذا غير ممكن بالتأكيد. وإذا كان هذا السبب وراء خسارة جمعية غوشوكاي عازفي آلة الفلوت وقرص الغونغ، فإن كوماكو مسؤولة عن متاعبنا. إن هذا أمر شائن! سأسألها وأضع يدي على الحقيقة».

كان هنيدا غاضباً سلفاً بسبب الصعوبات التي تمر بها الفرقة، أما الآن فراح يصب مقته على سوء الأخلاق.

«هنا..هنا».. صرخ هنيدا مصفقاً بكفيه بذات الوقت. هذه الطريقة التقليدية في استدعاء أحد لزوجته لم تعد مقبولة في منازل جيل مرحلة ما بعد الحرب.

«ما الأمر؟» ظهرت جينكو بسرعة وهي تمسح يديها بصدريتها البيضاء.

«لقد حدث شيء سيئ للغاية». قال هنيدا بسرعة، «لقد أغوت كوماكو هوري تكابومي، ويحتمل أنها أوقعت بهنمي الشاب أيضاً. إنها تظهر شخصيتها الحقيقية. إن لم نفعل شيئاً، فلن يعلم أحد كم من الرجال سيقعون في شركها السام». وبسبب من إثارته الشديدة، بدأت لغة هنيدا تتخذ ألواناً مختلفة.

ضحكت جينكو ضحكة ناعمة وهي تضع يديها على شفتيها.

«إنها ليست مسألة مضحكة!»

«ألهذا ناديتني؟ إن هذا كله هراء. دعني الآن أقول لكم. لقد استطعت الحصول على سمك أصفر الذيل وسمك الكراكي البحري. سأقدمه لكم فوراً». كانت تهم بالعودة إلى المطبخ عندما ناداها زوجها.

«انتظري. يبدو طعام الساشيمي جيداً، ولكننا نحتاج إليك كي تساعدينا في حل مشكلة كوماكو هذه».

«هل حقاً تصدقون تلك الحكاية؟» نظرت جينكو إلى زوجها، وكأن خيبة أمل قد أصابتها.

«حتى وإن لم أصدقها كاملة، ما دام هناك إشاعات مثل هذه تدور، فلا يسعني الجلوس دون فعل شيء. أليس كذلك؟»

«حسناً، ماذا قلت لك من قبل؟ الشيء الأول هو أن نجد إيوسوكي بأسرع وقت ممكن».

«ليس هناك من يقول إن إيوسوكي قد قام بشيء خطأ. وإن فعل شيئاً مثل هذا، فإنه لم يتسبب بأية مشكلة. الشخص الذي تسبب بمشكلة هي كوماكو».

«كلا، إنه إيوسوكي. لو كان إيوسوكي في منزله، لما ذاعت أي من تلك الإشاعات».

«ربما تكونين على حق».

انصاع هنيدا بسرعة لمنطق زوجته الصحيح.

«لو بقي الزوجان سوية، لما كانت هناك مشاكل. ألا تعتقدان هذا أيها السيدان؟» نظرت جينكو إلى الضيفين، «أوافقك الرأي تماماً». أكد هيشكاري، في حين قال فوجيمورا، مقدماً إجابة تتطلبها خلفيته بوصفه مهندساً، «نعم، مبدئيا».

«في حقيقة الأمر، لا نستطيع تجاهل تصرف كوماكو المدعى به. إنه يؤثر سلباً على غوشوكاي. وحتى نعيد إلينا عازفي الفلوت وقرص الغونغ، أعتقد أنني ساذهب لأراها غداً». قال هنيدا ناظراً إلى زوجته.

«لا تفعل ذلك. يا لها من مسكينة! لم ترتكب أية حماقة. إذا كنت لا تثق بها، فسأذهب لرؤيتها بنفسي. ينبغي لهذا النوع من النقاش أن يدور بين النساء».

«نعم، سيكون من الأفضل لو ذهبت. إن كان هذا سينهي المشكلة، فسأكون مرتاحاً تماماً. نعم، وسنكون شاكرين جداً لتناول وجبة الساشيمي التي أعددتها».

قدمت وجبة السمك وشراب كحول الساكي قبل غروب الشمس، فبددت الكآبة التي سادت الاجتماع.

ظل هنيدا، في معظم الوقت، يضع كأسه بالقرب من شفتيه، غير أنه تحدث أكثر مما كان يشرب، «لقد بدأت أفكر في أن التعامل مع جيل مرحلة ما بعد الحرب يشكل ضغطاً شديداً علي، لذا لا أرغب في زيارة طوكيو كثيراً. إلا أنني أريد لهذه الفرقة أن تستمر. لا أستطيع تصور نفسي متقاعداً دونها».

«وفضلاً عن ذلك، ليست لمتعتنا فقط. إنها ستساهم بالإبقاء على موسيقى احتفالات الكندا. لا يبدو أن هناك أحداً آخر يهتم بها». قال فوجيمورا، «الطبقة الإمبراطورية ستظل متمسكة بموسيقى الغاكاو، أما الطبقة الوسطى فستدعم موسيقى النوه، ولكن لا يوجد سوى هذه الفرقة الصغيرة التي تعزف الموسيقى الاحتفالية، لذلك تقع علينا مسؤولية الإبقاء عليها». لقد نسي تماماً كل ما يتعلق بالموضوع المزعج الذي تحدثوا عنه قبل ساعة، وراح يستمتع كثيراً، فتوردت وجنتاه بعد تناوله بضعة أقداح من الساكي.

لقد تناول الفيكونت السابق شريحة من السمك، ثم أبدى رأيه فيها.

«حقاً، بالطبع لسنا جيدين تماماً، ولكن يمكننا التفاخر بحقيقة تعلمنا المبادئ الأساسية من أستاذنا الراحل أسيكاوا كنتارو. وعلى الرغم من عدم نضوجنا، نستطيع التحدث إلى المحترفين، لأننا نتبع التقاليد الصحيحة. إن هذه إشارة أخرى على انهيار التقاليد». عندها وجه عيدانه نحو السمك.

«تماماً، كم نحن إلى الأيام التي درسنا فيها تحت إشراف كنتارو! لقد كنت موهوباً تماماً يا سيد هيشكاري، لذلك حققت تقدماً سريعاً، ولكنني لم أستطع التحكم بالطبل الصغير، فظل يوبخني على ذلك». قال هنيدا.

«كلا، بل كان الدكتور هنمي أسوأ عازف على قرص الغونغ. لم يتقن العزف عليه تماماً».

«لقد كان فلوت هوري المسن دائماً متأخراً عن الجميع، فكلما أردنا أن نسرع، كان الفلوت يتباطأ وراء الطبول».

«ولكنهما كانا متحمسين جداً، وكانا رجلين جيدين».

«لا شيء يحزننا أكثر من فقدانهما. في الحقيقة، هنمي الشاب والسيدة هوري بديلان فقط».

«نعم أوافقك الرأي. لما كان الأول ابن أحدهما، والثانية أرملة الآخر، اعتقدنا أن انسجام المجموعة سيظل قائماً، فجعلتهما ينضمان، إلا أن المناخ القديم قد ولى».

«ربما ينبغي لنا نحن الثلاثة، الاستمرار وحدنا. سأعزف على آلة الفلوت، وأنت يا بروفسور هنيدا ستعزف على الطبل الصغير، والسيد فوجيمورا يستطيع العزف على الطبل الكبير». اقترح هيشكاري

«بدون قرص الغونغ؟ ستكون الحال بائسة».

«إنه مجرد اقتراح، إذا لم نستطع إيجاد شخص مناسب، فهذا ما ينبغي لنا فعله. إنه أفضل من عدم العزف». ختم هنيدا.

«نعم لا نستطيع التوقف عن الاجتماع. هذا سيكون أسهل شيء».

رد ضيفاه بصوت واحد، «تقريباً».

سمع هنيدا صوت الباب الأمامي يفتح، وصوت شخص ينادي، «مساء الخير».

لم يلاحظ أي من ضيفيه ذلك، ولكن استطاع هنيدا تمييز صوت كوماكو.

متابعاً حديثه قال: «أفضل شيء هو أن نجد اثنين أو ثلاثة من أعمارنا. لابد أن يكون هنا أناس مثل السيد كي– الكونت السابق الذي التقينا به في منزلك. يبدو أنه رجل صاحب ذوق».

«كلا، لن يكون الرجل المناسب. إنه منغمس في السياسة، وهو ينتظر فصل الأعضاء ليتوقف، لذلك هو لا يعمل في الوقت الحاضر فقط». قال هيشكاري، «هذا مؤسف. إذن، ينبغي أن يكون شخصاهوايته حضور حفلات الشاي أو لعب الغولف».

«حسناً، إن كي يشارك بحفلات الشاي. كل من له اهتمام بموسيقانا، لابد أن يكون قد مر بحفلات الشاي وغناء النوه».

«علاوة على ذلك، من هم مثلك يا سيد هيشكاري قد تخرجوا في جامعات شيمباشي وأكساكا».

قال هنيدا نكتة حول منح رتبة أكاديمية لمنطقة الملاهي في طوكيو، ولكنه شغل عن ذلك بإدراكه أن القادم الجديد لابد أن يكون كوماكو. كان تفكيره منشغلاً أكثر في ما سيقولون في توبيخها، فأتى مزاحه ضعيفاً.

«في أيامنا» قال فوجيمورا المحترم، «كنا نستمتع بصحبة الراقصات، ولكن إلى أين يذهب الشبان في هذه الأيام؟»

«آوه، إلى قاعات الرقص والملاهي الليلية». بدأ هيشكاري. ثم تذكر شيئاً، فاستدار نحو هنيدا، «ربما يكون سؤالاً غريباً، ولكن هل سمعت شيئاً عن ابن أختك إيوسوكي بعد لقائنا الأخير؟»

«إنه متملص كالريح». أجاب هنيدا مبدياً سخطه على وجهه. «ربما أكون مخطئاً، ولكنني رأيت أحداً يشبهه في جينزا الأسبوع الماضي».

اقترب منه هنيدا وسأله «هل تحدثت إليه؟»

«كلا، لو فعلت لتأكدت، ولكنني رأيت ظهره فقط».

«كيف بدا؟»

«حسناً، كان يرتدي بزة ثمينة، وكانت تمسك بذراعه امرأة أنيقة».

«لابد أن يكون شخصاً آخر. فهو لا يملك كثيراًمن النقود».

«لا يوجد كثيرون في ضخامته. المرأة كانت شابة تماماً، وبالنظر إلى ثيابها، كانت إما راقصة أو مومساً من الطبقة الراقية».

«لو أنك فقط واجهته».

«لقد اختفيا عند دخولهما أحد المطاعم في شارع خلفي».

دخلت جينكو الغرفة، وهي تحمل المزيد من شراب الساكي. لدى اقترابها من زوجها، طلبت منه أن يعتذر ليخرج معها مدة دقيقة.

«كنا نتحدث حول شيء مهم».

«ولكنها كوماكو، وهي تطلب أن نبقيها معنا هذه الليلة».

الفصل الخامس عشر
النساء معاً

أمضت كوماكو تلك الليلة في منزل هنيدا وزوجته. لم تفعل ذلك إلا مرة واحدة بعد زواجها من إيوسوكي بفترة قصيرة. منذ ذلك الوقت، ومهما كان الوقت متأخراً، كانا دائماً يأخذان القطار ليعودا إلى منزلهما. لم يكن بوسع كوماكو أن تشعر بالراحة التامة هناك كما تشعر بها في منزل والديها.

نتيجة ذلك، قد أثير فضول هنيدا كي يعرف سبب طلب كوماكو البقاء عندهم في تلك الليلة.

«لابد أن يكون ثمة شيء ما قد حدث». أخبر زوجته.

«ربما تكون محقاً، ولكن تصرف وكأنك لا تعرف شيئاً. مهما يكن الأمر، سأحاول معرفته منها غداً».

حدث هذا التداول بينهما في الليل قبل ذهابهما للنوم.

حقاً لقد جاءت كوماكو إلى أويسو لتستشير في أمر إيوسوكي، ولكن السبب الرئيسي لطلبها البقاء كان خوفها من هيجي. فهي لم تستطع مواصلة إزعاج مالكة المنزل، ولكن ربما كان بقاؤها في منزلها خطراً، فأرادت أن تستمتع، ولو لليلة واحدة، بنوم عميق في مكان آمن. على الرغم من ترددها بفرض نفسها على أسرة هنيدا، إلا أنه كان أفضل من البقاء في بيت مالكة المنزل.

في الصباح التالي، استيقظت كوماكو في ذات الوقت الذي استيقظت به جينكو، ومباشرة انطلقت لتساعدها في أعمال المنزل. كان هنيدا من المستيقظين باكراً، كما أنه تعود المشي يومياً على شاطئ البحر عند طلوع النهار. بعد مغادرته وهو يهز عصاه كعادته، تحدثت جينكو إلى كوماكو، وهي توقد نار الموقد تحت الأواني.

«كوماكو، إنك لا تأتين كثيراً، لذلك من فضلك لا تشعري بوجوب أن تعملي كثيراً.

نستطيع أن ننظف أواني ليلة البارحة بعد تناولنا الإفطار، لذلك اتركي الآن... أخبريني، هل سمعت أية أخبار عن إيوسوكي منذ أن رأيناك آخر مرة؟»

«كلا، وأنا لا أعرف ماذا أفعل». ارتعش صوت كوماكو وهي تقف عند حوض غسيل الأطباق المليء بأواني الليلة الماضية. استطاعت جينكو أن تفهم من خلال نبرة صوتها أن كوماكو، كانت حقاً في حالة ضياع.

«البارحة، قال أحد الضيوف إنه شاهد شخصاً يشبه إيوسوكي في جينزا مؤخراً. قال إن إيوسوكي كان يرتدي بزة جميلة، ورآه يدخل مطعماً شهيراً». اعتقدت جينكو أنه من الأفضل عدم ذكر الفتاة الشابة التي كانت تمسك بذراع إيوسوكي.

«لابد أن يكون شخصاً آخر. من الأرجح، أن إيوسوكي لا يستطيع دفع ثمن ذلك».

شاب رفضها تلك الفكرة خيبة أمل.

«أين يختبئ، في رأيك؟ لقد حان وقت عودته إلى المنزل. أليس كذلك؟»

«نعم، اعتقدت أنه سيعود بعد يومين أو ثلاثة، لذلك تابعت، و»..

«تابعت ماذا؟»

«لقد قلت له: اخرج، فقط هكذا».

بدا صوت كوماكو مكبوتاً على نحو غريب، فأدركت جينكو أنها اللحظة الأنسب لتكتشف ماذا يدور في ذهن المرأة الشابة، ولكن لسوء الحظ في تلك اللحظة قد عاد هنيدا.

بينما تناول الثلاثة إفطارهم، أقلق كوماكو مزاج هنيدا السيئ. بعد مغادرة الضيوف في الليلة السابقة، ذهبت لتقدم له تحيتها، ولكنه لم يعاملها بأي من طرقه الذكية، فهي لم تره من قبل في مثل هذا المزاج السيئ.

تساءلت إن ظهرت مقالة تنتقده في إحدى المجلات. في أثناء الحرب، كان هنيدا تحت المراقبة من قبل الشرطة السرية، وبعد الهزيمة أيضاً أصبح هدفاً لسخرية العديد من أساتذة الجامعة، لذلك لم تكن حياته سهلة.

دون أن تدرك أنها كانت سبباً في مضايقة الخال، حاولت أن تثير نقاشاً.

«يا خال لقد لاحظت أنكم لم تعزفوا الموسيقى في الليلة الماضية. أسبب هذا أنكم لاتستطيعون العزف مالم تكونوا خمسة؟»

لم يكن أكثر الأسئلة دبلوماسية.

«إذا كان هناك من يسبب المتاعب، فإننا لا نستطيع العزف مهما كان عدد الحاضرين». قال هنيدا ذلك حانقاً. عندما رأت أن الأرز قد انتهى في طبقه، قربت كوماكو وعاء الأرز من طبقه لتسكب له، ولكنه تجاهلها وقدم طبقه لزوجته. مررته جينكو إلى كوماكو بصمت.

حتى هذا التصرف فشل في لفت انتباه كوماكو إلى أنها كانت سبب امتعاض هنيدا، لذلك سألت سؤالاً متبلداً أكثر، «يا خال، أفكر في هذه الأيام كثيرا في معنى حرية المرأة و».. ؟

«حرية المرأة؟» إذا كنت تعنين الحرية التي لا تعتبر الخيانة الزوجية جريمة، فأنا لا أريد التحدث فيها». خاطب بحدة وعنف شديدين حتى شعرت كوماكو وكأنها قد لطمت. ثمة شيء خطأ. في الحال الاعتيادية، عندما كانت تطلق مثل هذا التعليق الساذج، كان يمتعها بمحاضرة تطول ثلاثين دقيقة مزينة بمزاحه الساخر.

بعد الإفطار، انسحب هنيدا إلى مكتبه دون أن يقول كلمة واحدة.

«لا يبدو أن الخال على ما يرام. لقد أتيت، لأنني أريد أن أناقشه بشيء؟» توسلت لزوجة الخال كي تدعمها.

«حسناً، ربما ليس اليوم». قالت جينكو مبتسمة ابتسامة دافئة، «لماذا لا تبقين يومين أو ثلاثة، ثم تثيرين المسألة في الوقت المناسب».

«سأتعبكما، ولكن ربما كنت على حق. غير أنني غير متيقنة من أنه بوسعي الابتعاد عن المنزل مدة طويلة».

«ولكن ألا تطلبين دائماً من صاحبة المنزل مراقبة منزلك؟»

«نعم. على أية حال، لا يوجد شيء ذو قيمة ثمينة».

«إذن، ماذا يقلقك؟»

«ربما يبدو غريباً، ولكن ماذا سيحدث إن حدث وعاد إلى المنزل وقت غيابي؟»

قبل الظهيرة بوقت قصير، ذهبت جينكو إلى مكتب زوجها.

«أود أن أطلب منك أن تتناول غداءك وحدك هذا اليوم». قالت.

«لماذا؟» سأل هنيدا، وهو ينزع نظارتيه، ويضعهما على مكتبه الكبير المصنوع من خشب الصندل.

«سآخذ كوماكو إلى مطعم شوكينتي لتناول الغداء».

«هذا تبذير بالغ!» علق.

«هناك الكثير نود ناقشه، وهي تجد صعوبة في التحدث بحرية هنا. عندما نكون وحدنا، سيصبح باستطاعتي أن أعرف ما يجري».

«هل تعتقدين أنها ستخبرك؟»

«آه، نعم! لقد أخبرتني أنها قلقة بخصوص احتمال عودة زوجها وهي هنا».

«لا تكوني حمقاء ولا تخدعي بما ستقوله لك؟»

«فقط دع الأمر لي. كل ما أطلبه منك هو ألا تقول شيئاً، وتناول الغداء وحدك. سأضع كل شيء لك على الطاولة».

«هذا حسن بالنسبة لي. هل لديك نقود كافية؟ لا يوجد الكثير منها في محفظتي».

«لا تقلق، أستطيع سداد ثمن الغداء في مطعم شوكينتي، عندما تقتضي الضرورة».

«آه؟ لقد فقست بيضة العش؟» كانت هذه أول نكات هنيدا في ذلك اليوم.

عادت جينكو لتتحدث مع كوماكو، «كوماكو إننا ذاهبتان لتناول الغداء، سأدفع أناالحساب. لذلك استعدي، سيكون بوسعنا المغادرة».

«لا أريد أن أسبب لك مثل هذه المتاعب».

«هذا هراء. في بعض الأوقات نحتاج ،نحن النساء، إلى استراحة».

«إذن، الخال لن يأتي معنا؟»

«كيف لنا أن نرتاح بصحبة رجل! علاوة على ذلك، إنها فرصة جيدة له كي يحرس المنزل ويتناول الغداء وحده من وقت إلى آخر».

ذهبت جينكو لتغير ثيابها. ارتدت ثوب الكيمنو الياباني الفضفاض المصنوع من قماش أوشيما، ولكنها قررت ارتداء جوارب التابي. كانت كوماكو ترتدي الفستان الذي جاءت به، لذلك احتاجت فقط إلى تعديل زينتها. عندما هما بمغادرة المنزل، استدارت جينكو نحو غرفة المكتب معلنة بصوت مرتفع، «إننا ذاهبتان الآن!»

جاء الجواب على شكل زئير، «اسمعي ذلك! هو كصراخ النمر في قفصه!» أطلقت جينكو نكتة لتهدأ كوماكو. سارتا أمام فيلات محاطة بالشجيرات وأسوار صنعت من خشب

البامبو، وصعدتا الهضبة بمحاذاة سكة القطار، ثم دخلتا المنطقة المفتوحة أمام المحطة. بعد انقضاء فصل الصيف، أصبح الشاطئ مهجوراً.

«أهذه المرة الأولى لك في مطعم شوكينتي؟ إنه يقع عند قمة الهضبة»، قالت جينكو. اجتازتا بوابة مفتوحة ثم سارتا عبر ممر محفوف بالأشجار.

بناء الشزكينتي هو أحد فيلات أويسو، التي حولت إلى نزل بعد الحرب. يقع عند أعلى الهضبة ويحاط بكثير من أشجار الصنوبر الكثيفة. بني على الطراز الغربي منذ عهد ميجي وحوله مبان أخرى صغيرة تستعمل غرف طعام ملحقة به. دخلت جينكو الردهة الفارغة، ثم نادت ولكن مر وقت طويل حتى جاء أحد ليحييهما.

«لقد اتصلت هاتفياً آنفاً. هل لديكم أحد الأماكن الصغيرة لتناول الغداء؟»

«نعم من هنا، من فضلكما».

أدخلتهما النادلة غرفة بحجم ثماني سجادات تتامي تمثل صالة لشرب الشاي محاطة بكثير من الأشجار. «هذا المنظر جميل! من هنا يكاد البحر لا يبدو كما يشاهد من أويسو».

بينما كانتا تقفان بالشرفة، راحت كوماكو تنظر إلى المحيط الذي كان يمكن رؤيته من خلال سيقان أشجار الصنوبر الضخمة. كان يوم خريف جميلاً، فكانت ترى شبه جزيرة ميورا وجزيرة إنوشيما الصغيرة بعيداً في عرض البحر الأزرق، كما كانت تظهر الموجات القادمة نحو الشاطئ كأنها زركشة بريم كتان أبيض اللون دون أن يسمع صوتها.

«كوماكو. أنت ضيفتي اليوم». قالت جينكو مشيرة إلى كوماكو كي تجلس على كرسي ضيف الشرف أمام طاولة توكونوما.

«عندما كنت آتي إلى أويسو وأنا طفلة، كانت هذه الفيلا فخمة جداً وفائقة الجمال، لم نحلم قط بأنها ستتحول إلى نزل». قالت كوماكو معتبرة انحدار حال هذه الفيلا يعكس تقهقر حياتها الشخصية.

«ربما تخلطين بيه هذه الفيلا وفيلا إيواي القريبة من هنا. لقد تحولت تلك الفيلا إلى ملجأ أيتام غريب».

«بالتأكيد لقد تغيرت أويسو. أليس كذلك؟»

«وليس أويسو فقط!»

دخلت الخادمة تحمل الشاي، «ما الذي ترغبان فيه على الغداء؟» سألت الخادمة. «كوماكو دعينا نستمتع بطعام خاص. أهذا حسن؟»

«آه. ليس بالنسبة لي، من فضلك؟»

«ولم لا. أحضري لنا من فضلك طبق مطعم سوميوشي الشهير؛ سمك الأنقليس المشوي بالإضافة إلى الغداء».

«بالتأكيد يا مدام».

«وزجاجة من شراب الساكي الدافئ».

«ياللسماء! هل سنشرب؟»

«مالخطأ في تناول النساء الشراب؟ إنه لا يتعارض مع القانون. إذا نحن النساء لا نمتع أنفسنا بين الفينة والأخرى، حتى نواصل الحياة». ضحكت جينكو. إنها تتصرف على غير طبيعتها هذا اليوم. ماذا يحدث؟ تساءلت كوماكو.

كوماكو على درجة كافية من الذكاء كي تدرك أن جينكو ما كانت لتفعل ذلك في الحالات الاعتيادية. أسرة هنيدا ليست غنية، لذلك كان غريباً أن تأخذها خالتها إلى مطعم باهض التكلفة وتعاملها معاملة ضيفة شرف.

«آسفة على التأخير». أعلنت الخادمة وهي تجلب شراب الساكي والمقبلات.

«المحبون يفضلون هذا المطعم، وأعتقد أنهم يشربون الساكي هكذا. لذلك دعينا نتظاهر بأننا زوج من أولئك العشاق، امرأتان تستطيعان بالتأكيد أن تشعرا بالحرية». بعد تناولها قدحا أو قدحين من شراب الساكي، راحت جفون عيني جينكو تحمر، ولكنها ظلت تصب لكوماكو. كان الحديث حول الشراب معقولاً بالنسبة لها، ولكنها لم تحتمل تناول الكثير منه. في المقابل، ظلت كوماكو متماسكة بعد تناولها عدة أقداح. نوبة الإغماء التي أصابتها مع هنمي كانت نتيجة تفاعل الكحول مع دخان السجائر.

«في هذه الحال، يمكنك أن تكوني الرجل وأنا الفتاة التي أغويت». قالت كوماكو متابعة المزاح.

«هذا صحيح؟ اعتبريني مديراً أصلع. إلا أنني أسمع أن فتيات هذه الأيام لا يأبهن لعمر الرجل ما دام ثرياً. أهذا صحيح؟»

«يبدو أن هذه هي الموضة. ولكن على عكس راقصات الأيام القديمة، إنهن لا يسعين فقط وراء المال، إنهن يبحثن عن الرجل المرموق اجتماعياً ومهنياً. يثقن بالرجل الذي يملك القدرة على كسب العيش والتفوق وهذا ما ينقص شبان هذه الأيام».

«لماذا؟»

«الوقت صعب بالنسبة للرجال وهم في الثلاثينيات من أعمارهم. لقد أنهكتهم الحرب وشتتت تفكيرهم، لذلك يبدو الوقوع بحب امرأة أو أن يصبحوا رجالاً تعتمد عليهم النساء أبعد مايكون عن تفكيرهم».

«هذا سيئ جداً. وماذا عن الرجال الأصغر عمراً؟»

«تعنين الأولاد الذين نشأوا في أثناء الحرب؟ هم جيل فترة ما بعد الحرب بحق– لا يهتمون إلا بأنفسهم، وغير قادرين على التفكير بأي شيء سوى رغباتهم الشخصية المحدودة. لا يعرفون كيف يحبون امرأة بالطريقة الصحيحة، وحتى هم لا يريدون ذلك. عندما تثار عواطفهم، يتحولون إلى أطفال. يتصرفون بطيش، وهم أنانيون، لهذا خاب أمل الفتيات بأبناء جيلهن، فرحن ينظرن إلى من هم أكبر منهن سناً وأكثر جدارة بالاعتماد عليهم».

«حقاً؟ هذا ما يجعل الرجال يائسين، وهم في العشرينيات والثلاثينيات من أعمارهم. أليست هذه أخبار سيئة بالنسبة للنساء؟ عندما كنت شابة كان هناك كثير من الرجال الجذابين. كنت أشعر وكأنني طفلة داخل محل حلوى».

«سمعت أن الخال كان وسيماً وذكياً في تلك الأيام. لقد تخرج بمرتبة شرف في جامعة طوكيو إمبريال، وكان يبدو كممثل الكابوكي، أونوي إسابورو!»

«هيا الآن يجب ألا تضايقي عجوزاً. إلا أنه يقلقني كيف تشعر النساء الشابات في هذه الأيام. إنهن على عكس بنات جيلي متقدمات ويملكن إرادة قوية. وبالطبع، إن العالم مختلف أيضاً. لقد تحررت النساء وأصبح الرجال والنساء متساوين في حقوقهم. كل شيء يتغير، مما يعني أنه لا يمكن للشبان العاجزين ولا للرجال التقليديين أن يرضوا نساء هذه الأيام. أليس كذلك؟»

«هذا صحيح، ولكن في نهاية الأمر، إذا أرادت المرأة أن تحب رجلاً، وتخفق في إيجاده، فستسعى وراء شخص تستطيع أن تثق به على الأقل».

وجدت كوماكو نفسها، دون أن تدرك، تفضي أسرارها لجينكو. كي تخفي موجة عواطفها، التقطت عيدانها كي تأكل من سمك الأموداي المطبوخ بصوص الترياكي.

«إذاً هن لسن مختلفات عن نساء الماضي، ولكن هذا لا ينطبق عليك، أليس كذلك يا كوماكو؟»

كانت جينكو تستمتع بتناول طبقها المكون من الكستناء المطهي وهي تصغي إلى ما تقوله كوماكو بانتباه شديد».

«مؤخراً، دهشت لحاجتي إلى الثقة بالنفس. تمر بنات جيلي بأسوأ حالاتهن؛ فنحن لا ننتمي إلى جيل مرحلة ما بعد الحرب، ولكننا لسنا نساء تقليديات أيضاً».

«إنك تعيشين في أفضل حقبة؛ الأغنى على جميع الأصعدة، ولكنها أكثر إرباكاً».

«نعم ليس هناك أي شيء واضح البتة. أشعر بالضجر من نفسي. لا أعرف كيف أفكر بايوسوكي، ولا ما ينبغي لي فعله. لقد استنفدت جميع قواي الذهنية».

«أستطيع تفهم ذلك، وألومك عليه. لقد غادر زوجك، ولم يرجع منذ ستة أشهر تقريباً».

«ولكنني أنا من طرده».

«لا فرق في ذلك. من الغريب على زوج يغادر منزله هكذا دون أن يقول شيئاً، حتى لو غادر، فلابد له أن يعود في الوقت المناسب».

«لا أعتقد أنه قادر على إدراك ذلك، ولكن إلى أين ذهب، في رأيك؟ إنني قلقة حوله في هذه الأيام».

«ولكن أليس عدم وجوده أسهل لك؟ إن ذلك يمنحك الفرصة كي تعيشي بالطريقة التي ترغبين فيها».

«لقد فعلت ذلك».

«وكيف كانت؟»

«مخيبة للأمل؟» أجابت كوماكو بصدق، وهي ترفع عينيها الواسعتين لتنظر إلى الأعلى.

«هذا سيئ للغاية». واستها جينكو، «وما الذي كان مخيباً للأمل؟»

«لم أجد رجلاً واحداً محتشماً في أي مكان».

تحدثت كوماكو بهدوء، ولكن جينكو قد ظهر عليها أثر الذهول. ياللسماء! هل فعلت هذه الفتاة شيئاً مشيناً؟ تساءلت.

«اعذريني لصراحتي» تابعت كوماكو، «ولكن منذ تزوجت، ألم تمري بوقت أعجبت فيه برجل غير زوجك؟»

كانت كوماكو تحدق بجينكو. ربما كان للكحول تأثير فيها.

«حسناً، لو قلت لك لم يكن هناك إعجاب، لكنت كاذبة».

«وهل مررت بأوقات لم تستطيعي احتمال الخال فيها؟»

«أوقات كثيرة!»

«حتى أنت؟»

«هذا طبيعي. هل التقيت برجل مشاكس وناقد ومغرور أكثر من زوجي؟ لا تستطيعين تخيل كم مرة فكرت بتركه. ثم عندما بلغت الأربعين من عمري بدأت طريقة تفكيري تتغير. لقد أدركت حتى لو تركت هنيدا في سبيل رجل آخر لما انتهيت بأحد أفضل منه».

«إذن، بقيت على تحملك له. أليس كذلك؟ بنات جيلي قادرات على فعل ذلك».

«تمهلي قليلاً. حتى المرأة التقليدية لا تستطيع تحمل المستحيل. أليس كذلك؟ أنت تتحملين ما تستطيعين تحمله، وإذا لم تستطيعي، فهذا سيئ للغاية. على أية حال، لقد توقفت عن الشكوى حول هنيدا عندما رأيت طبيعة الرجال على حقيقتها. لقد حملت طويلاً أفكاراً سامية حول الرجال، ولكن شيئاً غير متوقع جعلني أفهمهم».

«ماذا حدث؟»

«حدث ذلك عندما كنا نعيش في أوياما. كان خالك قد أصبح للتو عميد كلية الحقوق في الجامعة ومن الطبيعي أن يكون لذلك مكانة مرموقة. وكما أرى، عندما يحتل الرجل مكانة اجتماعية مرموقة، ويبدأ الناس يتوددون له، يصبح هذا الوقت أسوأ الأوقات بالنسبة لزوجته، وعلاوة على ذلك يبدأ هو يتكبر عليها».

«لم أمر بمثل تلك التجربة».

«لذلك أنت محظوظة جداً. في تلك الأيام، كان هنيدا متكبراً جداً، ولما يكون الزوج موقراً أكثر مما ينبغي، تؤخذ الزوجة بهذا أيضاً. بموجب تفكيري السيئ حاولت أن أبعده بكل

الطرق، ولكن بعد ذلك خرج الأمر كله من يدي. لقد أفسد تماماً؛ فبدأ يفعل ما يشاء. أخيراً وفي صباح أحد الأيام تشاجرنا».

«تبدو لي حقيقة أنكما تستطيعان الشجار حسن حظ. مع إيوسوكي، أنا فقط من يفقد صوابه دائماً».

«دعيني أكمل. كنت غاضبة جداً حتى إنني فكرت في قتله، ثم أنتحر. لقد كانت الحال في تلك الدرجة من السوء، ثم دخل خالك الغرفة وهو يحمل سكين حلاقة ذقنه الحاد، وبدأ يحلق ذقنه».

«يبدو ذلك خطراً».

«لقد كانت عادته أن يحلق هناك. كنت عادة أضع له صابون الحلاقة على وجهه، ولكن في ذلك اليوم اكتفيت بالجلوس تاركة إياه يفعل ذلك بنفسه، كنت أراقبه، وبدأ يحلق ذقنه محاولاً التظاهر بالوقار. يرفع وجهه إلى الأعلى ثم ينزله إلى الأسفل، ثم يُميل أنفه هنا وهناك، ثم يجر بشرته إلى الوراء، فيصنع وجوهاً مضحكة وهو يزم شفتيه كما يفعل المهرج؛ تعرفين الوجوه التي يصنعها الرجل وهو يحلق ذقنه! لقد كان عرضاً لطيفاً جداً. أخيراً كدت أنفجر ضاحكة. إلا أن ذلك لم يكن بسبب مظهر وجهه المضحك، بل بسبب اكتشافي كم أن الرجال مضحكون. إنهم حمقى– سخفاء ومشوشو الذهن وغير صبورين ومتكبرون وتافهون ومزهوون بأنفسهم، وفوق كل هذا بخلاء وجبناء ومولوعون بـ ...، تعلمين بماذا. لقد كان اكتشافاً أظهر عيوب الرجال في وقت واحد».

«يا لها من طريقة مضحكة يرى بها الرجال!»

«على أية حال، إن جميع العيوب التي وجدتها في الرجال وأخفيتها في داخلي قد برقت في ذهني. ومنذ ذلك الوقت، لم أعد أغضب من خالك مهما قال ومهما فعل بل على العكس وجدت ذلك محبباً لدي. أعتقد أن النساء الشابات هذه الأيام يفكرن بالرجال بطريقة مثالية. لا يقنعن حتى يصدقن أن لأزواجهن أهمية بالغة. أليس كذلك؟»

«إنني مختلفة قليلاً».

«كلا، أعتقد أنك مثلهن. ألست تعيسة مع إيوسوكي لأنك تعتقدين ببساطة أن الرجل

ينبغي أن يكون شخصاً عجيباً تستطيعين أن تضعي جميع ثقتك به؟»

«ولكن أليس من الممكن أن ثمة رجلاً بالمعنى الحقيقي في مكان ما، رجلاً تستطيع المرأة أن تكرس نفسها لأجله دون أن تأسف البتة؟»

«إن وُجِدَ، فسيكون وحشاً».

«كيف يمكنك أن تكوني متيقنة هكذا؟»

«كوماكو، تحلي بالصبر ودعي السنين تمر. هل بين النساء زوجة مثالية أو يتجسد فيها الجمال المثالي؟ بالطبع لا! ولكن أغلبية الرجال يتمنون واحدة مثل تلك. لن يجدوها، وأنت تحاولين أن تفعلي الشيء ذاته».

«ما تقولينه يسبب الكآبة».

«ربما يكون مسبباً للكآبة، ولكن هذه هي الحقيقة. انظري إلى الدليل. ألم تقولي إنك لم تجدي رجلاً واحداً محتشماً».

«نعم!»

«حسناً، ومادمنا في الموضوع ذاته، أخبريني بصراحة إن كنت قد أقمت علاقة كاملة مع واحد أو اثنين منهم».

«كلا. قبل أن يحدث شيء من هذا تبين أنهم مخيبون للأمل».

«إنني سعيدة لسماع ذلك. لو كنت قد وقعت حقاً، لكان من الصعب الخروج من ذلك. إذا كانت الخيانة تحدث في الذهن فقط، فإن هذا لن يسبب أية متاعب. هكذا تكونين في مأمن. تناولي قدحاً آخر».

«هل تعلمين أن حرية النساء محدودة جداً؟»

«أليس الشيء ذاته بالنسبة للرجال؟ في آخر المطاف، هناك عدل إلهي. أليس إيوسوكي في مكان ما يمر بصعوبات لا يعلم بها أحد، ويتوق إلى العودة إلى منزله؟»

«حتى إن عاد إلى المنزل، فسأكون قلقة لأن الشيء ذاته يمكن أن يتكرر ثانية، وهذا ما جعلني آتي إلى هنا كي أطلب مشورتك».

«لقد فهمت. إن كنت تفكرين في الطلاق، فإننا لن نحرمك ذلك، ولكن دعيني أخبرك بشيء آخر. لقد سألتني إن كنت قد أعجبت من قبل برجل آخر غير خالك».

«نعم. أردت أن أعلم من كان».

«لا داعي لإخفاء ذلك الآن. إنه إيوسوكي».

«ماذا؟»

«لا تندهشي هكذا. تستطيعين البحث في جميع أرجاء البلاد، ولكنك لن تجدي أبداً رجلاً آخر يستطيع أن يقدم لزوجته حرية بقدر ما يقدمه لك إيوسوكي. لكنك على علم مسبق بذلك. أليس كذلك؟»

الفصل السادس عشر
عاصفة تحت الجسر

«هل لي أن أدخل؟» كان إيوسوكي في فراشه ورأسه مغطى ببطانية، عندما سمع هذا النداء الذي قيل بأسلوب يشبه أسلوب سيدات الطبقة الوسطى أكثر مما يشبه أسلوب أولئك النسوة اللاتي يعشن تحت الجسر.

آه.. ها هي هنا مرة أخرى!

لقد عرفها، ولكن النعاس مازال يخيم عليه وشعوره بأحلام نصف اليقظة كان ممتعاً بالنسبة له، فكل ما فعله هو أن غير وضعية نومه. كانت الساعة العاشرة، فكينجي المسن مازال يقوم بتجواله المعتاد والقاطنون الآخرون كانوا خارج الأكواخ في أعمالهم، ولم يكن هناك سوى إيوسوكي.

«هل لاتزال نائماً؟» كان صوتها راقياً إلى حد ما.

أجبر إيوسوكي على الاستيقاظ، ولكنه لم يعط جواباً. أصبح الوقت في منتصف وقت الخريف، فكانت أشعة الشمس تمتد من فوق مباني سوروغادي نحو الجنوب لتدخل من نافذة الكوخ، تبعث فيه الدفء. وكان الضوء ساطعاً في الكوخ، فغدا من الصعب على إيوسوكي أن يظل نائماً وقتاً طويلاً، ولكن على الرغم من أنه فتح عينيه، لم ينهض. «آه أنت مستيقظ». قالت أرملة تكاسوغي ضاحكة، ظهر وجهها بعظام وجنتيها البارزتين من خلال النافذة الصغيرة. ما كان لإيوسوكي إلا أن ينهض.

«صباح الخير. إنه يوم جميل. أليس كذلك؟» وقف على قدميه، ثم فتح الباب.

بسرعة وابتهاج وهي ترتدي صدرية بيضاء نظيفة جاءت السيدة تكاسوغي تحمل صينية الشاي. كان شعرها مصففاً كالمعتاد على شكل كعكة عند رقبتها، ولكن ضوء الصباح قد أظهر أنها قد وضعت بعض المساحيق على وجهها ذي البشرة الداكنة.

«لقد جلبت لك بعض الشاي، لماذا لا تذهب لتغسل وجهك». ألحت مستخدمة أسلوب حديث الطبقة الوسطى.

«دون أن يقول شيئاً، أخذ إيوسوكي فوطته وفرشاة أسنانه، ثم سار إلى النبع. الماء أبرد في هذا الوقت، فأصبح غسل وجهه ممتعاً ومنشطاً، ولكن لم يكن ذلك سبب استغراقه وقتاً طويلاً. لقد أصبح لطف السيدة تكاسوغي وتوددها أكثر إرهاقاً بالنسبة له.

بعد اقتراح كينجي المسن أن يذهب إيوسوكي ليعيش معها، قد تغير سلوك الأرملة نحو إيوسوكي بشكل ملحوظ، فأصبحت تحياتها الصباحية والمسائية تحمل في خفاياها مغازلة له، وقد اتخذت لنفسها طريقة حديث لا تنسجم ولغة سكان الأكواخ. كانت أيضاً تلح على غسل ثيابه، وغالباً ما قدمت له المخلل الذي تصنعه. اعتادت مؤخراً على تقديم الشاي في الصباح، لأن منزلها الوحيد الذي تظل النار فيه موقدة في النهار، إلا أن إيوسوكي لم يكن مسروراً بهذه التطورات. على الرغم من فطنته البطيئة، كان دافع الأرملة واضحاً بالنسبة له.

«يا سيد ميناميمورا، لقد نظفت أرض الغرفة». نادت بينما كان إيوسوكي يعود إلى الكوخ. صبت الشاي في قدح خال من الشقوق والكسور قائلة «أنا آسفة، ربما لم يعد الشاي ساخناً». ما كان أي من الذين يعيشون هناك ليرفه نفسه بشرب الشاي في الصباح. وبعد أن تمتم بشكره لها، ثنى ساقيه كي يشرب الشاي كما يفعل الضيف في مراسيم حفلات الشاي.

لقد كانت البيجاما التي ارتداها عوضاً عن ثياب عمله، ضيقة عند فخذيه الضخمتين مما جعل ثنيهما غير مريح. بدا على تعابير وجهه وطريقة جلوسه بوضوح أنه أرادها أن تغادر في أسرع وقت ممكن.

غير آبهة، راحت تتودد له، «هل ترغب في حساء الميسو هذا اليوم، أم تفضل الخبز المحمص؟» مستخدمة الطريقة المجربة عبر الزمن، أي الدخول إلى قلب الرجل من خلال معدته، تجدد الأرملة هجومها عليه كل صباح. منذ أن توقف كينجي وإيوسوكي عن طبخ الأرز، قبل إيوسوكي عرضها مرة أو مرتين، ولكنه مؤخراً بدأ يرفض ذلك.

«شكراً، لكنني لست جائعاً اليوم».

«ها أنت ذا ثانية، ليس من المستحسن أن تذهب دون تناول شيء في الصباح. تناول شيئاً خفيفاً؛ بعض الخبز المحمص، حسناً؟ كان زوجي الراحل يحب الخبز المحمص على الإفطار، وأنا أعرف كيف أحضره جيداً». من خلال تضمين حديثها بعض العبارات المهذبة، أرادت أن تريه أنها قد عاشت يوماً حياة الطبقة المتوسطة.

«ولكن..».

«لا حاجة لكَ إلى الخجل».

بعيداً عن الخجل، أراد إيوسوكي إبعاد نفسه عن تلك التي عينت نفسها ربة لمنزله، ولكن لما قوبل بمثل هذا الإلحاح، لم يطاوعه قلبه كي يرفض كلياً، مما جعله أكثر جاذبية في نظر المرأة المتقدمة سناً. أخذت خبزاً وبعضاً من الزبدة التي كانت لدى إيوسوكي على الرف.

«سأعود فوراً» قالت، بهذا ذهبت إلى كوخها.

منح هذا إيوسوكي فرصة كان ينتظرها، فشرع مباشرة بتجهيز نفسه للذهاب. لم يعرف إلى أين يذهب، ولكن لو استطاع الذهاب قبل أن تعود السيدة تكاسوغي بثرثرتها المستمرة، لبلغ مأربه.

إلا أنه على الرغم من استعجاله، لم يستطع إيوسوكي المتعثر أن يسرع بقدر كاف، تماماً بينما كان يعقد ربطة عنقه سمع صوت خطوات في الخارج، لذلك اعتقد أنها قد سبقته. جلس وظهره نحو الباب ورأسه بين كتفيه.

«هه.. يا دادي أليس اليوم لطيفاً!» نادى صوت بحيوية. إنها يوري قد جاءت لتنقذه.

«إذاً أنت هنا ثانية». قال سعيداً، ولكن ليس كثيراً، لرؤيتها وسيلة دفاع مؤقت ضد إساءة السيدة تكاسوغي.

«هل أنت ذاهب إلى الخارج؟»

لاحظت يوري قميص إيوسوكي وربطة عنقه، ودون أن يضايقها مظهر الكوخ المتهرئ جلست على السجادة متجاهلة قساوتها.

«حسناً، لا يوجد لدي شيء خاص أقوم به، ولكن.».

«هذا عظيم!» قالت مغنية، «لذلك تستطيع أن تقضي اليوم معي. أليس كذلك؟»

أخرجت علبة مساحيق التجميل من حقيبة يدها التي كان قد اشتراها لها إيوسوكي

مؤخراً، وراحت تحمل وجهها.

كانت قد بدأت يوري تزور إيوسوكي مرة أو مرتين في الأسبوع، فأصبحت معروفة جداً لدى الناس هناك، فأطلقوا عليها لقب (الآنسة بان بان). كانت قد حصلت عليه عندما سأل كجيكي إيوسوكي بجدية بالغة، «من تلك؟ أهي فتاة بان بان؟» لقد كان في طوكيو الكثير من أولئك الفتيات، كما كان يعلم كجيكي، حتى اعتبر معظم ساكني الأكواخ يوري مومساً بلا خداع. كم هذا مرعب لو عرفت به أسرة فوجيمورا!

«دعينا نذهب إذاً». قال إيوسوكي. وعندما كان ينتهي من ارتداء حذائه، ظهرت السيدة تكاسوغي ثانية، وهي تحمل صينية، «آسفة للتأخير، ولكن النار قد انطفأت». بالإضافة إلى الخبز المحمص، أحضرت بيضة مسلوقة، ولكن لحظة رؤيتها يوري مرتدية طقماً أخضر فاتح اللون وحديث الطراز، وكذلك إيوسوكي وقد ارتدى ثيابه ليخرجا معاً، تغيرت حالها بشدة فأصبحت تشتعل غضباً. تابعت يوري وضع المساحيق على وجهها دون اكتراث، ولكن إيوسوكي ذا القلب الطيب، لم يستطع إلا أن يقدم اعتذاره شاكرا، «شكراً جزيلاً، إنني ذاهب فوراً، ولكنني سآكل ذلك بسرور قبل ذهابي». واقترب من الصينية.

«لا يجب عليك إجبار نفسك يا سيد ميناميمورا».

«إنني لا أجبر نفسي». قال «لقد بدأت أشعر بالجوع».

«لا تكذب! أنا أعرف أنك لا تحب ما أحضرت لك». بهذا ألقت بالصينية على الأرض، تكسرت الأطباق، وتطاير الخبز، وتهشمت البيضة، وركضت عائدة إلى كوخها والبكاء يخنقها. «كم هو خطأ بالغ! هل يجب علي الذهاب لتقديم الاعتذار لها؟» قال إيوسوكي وهو يلتقط الأطباق المهشمة». «لا داعي للقلق، ينبغي لنا أن نكافح تلك الهستيرية القديمة جدا، إذا أردنا أن نغير شيئا». بدت يوري وكأنها أحد محرري الصحف.

«هذا سهل عليك قوله، ولكنني لا أحب مثل هذا الشيء».

لقد مر عليه بعض الوقت دون أن يعاني القوة المدمرة لأعصار كوماكو، وقد اهتز صميمه من عاصفة قد تجتاح ذلك الهدوء الماثل تحت الجسر.

لماذا النساء عاطفيات هكذا؟ تساءل. لماذا لا يستطعن أن يكن أكثر عقلانية ومسالمات، وينسجمن مع الرجال؟ لماذا النساء، إن كن متعلمات أم لا، دائماً يجنحن إلى استخدام العنف

في لغتهن وتصرفاتهن؟ لقد سمع مرة بامرأة ألقت بحامض الستريك على وجه رجل. كما كان هناك امرأة أخرى قالت لزوجها ببساطة، «اخرج!» ما فعلته السيدة تكاسوغي أقل تطرفاً، ولكنه مازال يعتبر ضرباً من العنف. من السخرية، حقاً، إن إلهة السلم كانت امرأة! جميع النساء هستيريات..فكر، ليس هناك أي نوع من أنواع العسكرية يمكن أن يقارن بلاعقلانية المرأة وأنانيتها وهي تسير في طريق الحرب. ربما يتخلى العالم يوماً عن الحرب، ولكنه يحتاج إلى مليون عام كي يحد من هستيرية النساء.

وجد إيوسوكي أنه من الصعب عليه أن يغادر وهو منغمس في مثل هذه الأفكار.

«دعنا نذهب». ضغطت عليه يوري.

أخيراً وقف إيوسوكي، ولكنه شعر باكتئاب. «يوري أنت امرأة أيضاً. أليس كذلك؟»

«عمّ تتحدث؟ إنك تتصرف على نحو غريب جداً اليوم. هل أنت على ما يرام؟» نظرت إليه بفضول. تواصلت أفكار إيوسوكي الكئيبة.

لم تقع هذه المرأة الشابة بشرك العادة الهستيرية حتى الآن، فكر، ولكن بعد عام أو عامين من زواجها ستكون خبيرة في ذلك. ربما تنتمي إلى جيل مرحلة ما بعد الحرب، ولكن على الأرجح لا يبدو أن هناك استثناءات.

خرج ببطء من الكوخ، ولكن عليهما أن يمرا من أمام كوخ السيدة تكاسوغي ليذهبا إلى مركز المدينة، فتسلل إيوسوكي بهدوء شديد وكأنه يمر من أمام منزل نمر. ربما مازالت تبكي، لأن بابها مازال مغلقاً، ولا يمكن رؤيتها.

لم يعد العيش هناك سهلاً كما كان في السابق. كان قد بدأ كينجي المسن يلقي بتلميحات تنم عن رغبته بمغادرة إيوسوكي، والآن الأرملة تبكي، لذلك ليست الحياة مختلفة عن حياة الناس فوق الجسر. ماذا حدث لمناخ الحرية العجيب في الأيام السابقة؟

أخيراً وصل الاثنان إلى الممر الذي يقود إلى الجرف. وكان العشب الأخضر قد بدأ يتحول إلى عشب خريفي اللون.

في تلك اللحظة جعل صوت الأقدام الراكضة خلفهم إيوسوكي يقف مذهولاً، معتقداً أن السيدة تكاسوغي تلحق به ثانية.

«يا سيد ميناميمورا.. إلى أين أنت ذاهب؟» لقد كان كجيكي.

«مرحبا. لم أرك هنا مدة من الزمن».

سارإيوسوكي نحو كجيكي فرحاً برؤيته. لم يتواجد كجيكي في كوخه في الأيام الأربعة أو الخمسة الماضية، فكان إيوسوكي يطعم عنزته.

«لقد عدت هذا الصباح. ذهبت إلى مكانك، ولكنك كنت نائماً. وعدت بعد قليل، ولكنك كنت قد غادرت، لذلك لحقت بك».

«ماذا كنت تريد أن تقول لي؟»

لاحظ كجيكي ثياب يوري المبهرجة، وهو يرمق بنظره محطة أوكنناميزو، قال إنها تثير انتباهاً شديداً. أنظر، إنهم جميعاً يحدقون بهذا الاتجاه. من الأفضل لك ألا تفعل شيئاً يجعلك محط أنظار الآخرين». جلس كجيكي وسط العشب الطويل كي لا يراه أحد، ففعل إيوسوكي الشيء ذاته. تابعت يوري سيرها نحو السلم لتصعده، ثم تنتظر إيوسوكي في الشارع الرئيسي.

«لم يخطر لي ذلك». قال إيوسوكي.

«لا خطأ في اللعب، ولكنه من الخطر أن تجلبها هنا. هناك أماكن كثيرة تستطيع لقاءها فيها، مثل محطة شونجوكو، أو زاوية هاتوري بي اكس».

على الرغم من مظهره كفلاح، كان كجيكي يعرف جميع الأماكن في طوكيو.

«لا حاجة إلى أن أنبهك، ولكن لا تخبرها بأي شيء يتعلق بمشروعنا ومخبئنا». قال محذراً.

«لن أفعل ذلك».

«إن النساء خطيرات، فلديهن قدرة سحرية تجعلك تتكلم».

«لماذا أنت قلق فجأة هكذا؟»

«الوضع ليس جيداً. هناك مشاكل تتعلق بالشحنة الثانية. إنها جاهزة لتؤخذ في أية لحظة. لقد أغلقنا مخبأنا في شتايا قبل يومين وانتقلنا إلى مكان آخر. من الأفضل ألا تعرف أين هو ذاك المكان. سأنتقل من هنا في وقت قريب جداً أيضاً».

«أنت ستنتقل؟»

«لم يعد المكان آمناً هنا. سيتعين علي قيادة السفينة التالية، لذلك سأكون على متنها. لدي

الكثير ينبغي لي فعله الآن، وربما كان هذا المساء فرصتي الأخيرة لألقاك، لذلك عد مبكراً من فضلك».

«سأفعل».

«إذا سألك أحد أي سؤال، فأقسم أنك لا تعلم شيئاً. في حقيقة الأمر، أنت لا تعلم شيئاً، وليس لك أية علاقة بالأمر. اذهب الآن واقض وقتاً ممتعاً».

كان صوته مشحوناً بالعواطف، وهو يمسك بيد إيوسوكي. وكان تفكير إيوسوكي مشتتاً تماماً، وهو يمشي إلى جانب يوري على طول الطريق النهري المؤدي إلى محطة قطار أوكنناميزو.

إذاً، كجيكي مغادر!

لم يقلقه الخطر الذي حذره منه كجيكي بقدر ما كان حزيناً لفقدان رجل أصبح صديقاً عزيزاً عليه.

من بين الذين يعيشون تحت الجسر، كان كجيكي أكثر من يتحدث إليه، وأصبح أكثر قرباً منه. كما أن إيوسوكي قد أحب كجيكي؛ ربما كان عنيداً، ولكن صراحته ومعتقداته العاطفية، وكذلك إحساسه بالواجب، كلها قد أثرت كثيراً في إيوسوكي. في هذا المضمار، كان كجيكي متفوقاً كثيراً على جميع من كانوا يعملون في وكالة أنباء طوكيو. لسبب ما، احترم كجيكي إيوسوكي؛ فأمام أصحابه راح يناديه الأدميرال، كما كان يعامله بشكل مختلف. ربما كان هذا نتيجة تدريبه العسكري، ولكن إيوسوكي الذي اعتاد على سخرية الناس منه، كان شاكراً له جداً. لقد ذكرت مغادرة كجيكي لإيوسوكي بشعوره وهو صبي عندما ترك الطالب الذي أحبه كثيراً منزل أسرة ميناميمورا، إذ كان ذلك الطالب مقيماً عندهم. لقد ملأه رحيله إحساساً بالضياع.

«ما رأيك برحلة لقضاء هذا اليوم في هاكوني». اقترحت يوري.

همهم إيوسوكي بجواب غامض. وهما ينعطفان نحو جسر أوكنناميزو، سمع تحية ودية.

«هاي يا إيوسوكي!! هل أنت ذاهب؟»

«استدار إيوسوكي، فرأى كينجي المسن يهم بعبور الشارع من جهة مشفى كيتندو. كان

يحمل أكياس تسوق، وتلحق به امرأة ضخمة يقارب عمرها الخمسين.

«لقد خمنت أنك لن تكون في الكوخ اليوم لذلك دعوت زوجتي لتناول الشراب. إنها لا تعمل اليوم».أشار كينجي إلى المرأة بحنكه وهو يتسم. كانت ترتدي ثوب الكيمنو المخطط لف من مكان أخفض من المعتاد، وعقد بشريط قصير كاد يفلت. اقتربت من إيوسوكي وراحت تتحدث إليه.

«هذه أول مرة أقابلك فيها يا سيدي. أليس كذلك؟ هل تعلم أنني قد اشتقت كثيراً إلى المنزل الذي تحت الجسر، لذلك كنت أزور المكان من وقت إلى آخر عندما لا تكون هناك. رجل نبيل مثلك لا ينبغي له العيش في مكان متسخ مثل ذلك الكوخ. ألا تفضل العيش في مكان آخر؟ حتى في عمرينا نرغب في العيش سوية. كن مرناً قليلاً». قالت بضحكة مفعمة بالحيوية كشفت عن لثتيها. لقد بدا منظر كل من الزوجين، إيوسوكي الضخم مع الفتاة ذات الثياب الصارخة، والرجل المسن مع زوجته، غريباً جداً وهم يتحدثون. لقد جعلت نظرات المارين المحدقة حتى يوري تحمر خجلاً.

«دعنا نذهب». ألحت.

إذن، أصبح إيوسوكي حراً كي يذهب حيث يشاء. لن يطلب منه أحد العودة. لقد تعمقت كآبته.

كادت يوري تطير فرحاً وهما يقتربان من محطة القطار، «إذا كنا ذاهبين إلى هاكوني، فهل سنذهب من محطة طوكيو أو نأخذ خط أوداكيو من محطة شونجوكو؟»

حاول إيوسوكي رفض الفكرة، فقال «الوقت متأخر الآن، لذلك ينبغي لنا قضاء الليلة هناك».

إلا أن يوري لم تتراجع، «إذن، دعنا نقضي الليلة. ما الخطأ في ذلك؟»

«يجب عليك الاحتفاظ بقليل من احترام الذات! يستحق جسدك الاعتناء به». زجر قليلاً.

«هل تقول إن جسدي يشكل كنزاً وطنياً؟ لا تقلق إنه لن يحترق فيختفي. إذا كنت لا تريد قضاء الليل، يمكننا البقاء قليلاً في فندق، ثم نعود. إذا كنا ذاهبين فقط إلى يوموتو، باستطاعتنا الرجوع في آخر قطار بسهولة».

«لا نستطيع الذهاب. ليس لدي نقود». كان رفض إيوسوكي قطعياً.

«كم تملك؟»

لم يكن سؤالاً تسأله فتاة غير معتادة على ذلك، «نحو ألف ومئتي ين. لقد عددتها الليلة الماضية».

كان إيوسوكي صادقاً، في الأشهر الثلاثة التي لحقت لعبة البوكر، كان قد أنفق معظم ما ربحه، ومنذ بدأت يوري تطلب منه أن يصحبها معه، راحت نفقات عيشه تزداد على نحو ملحوظ. على أية حال، طالما لا يزال لديه بعض النقود ما كان ليطلب من كجيكي شيئاً، وعلاوة على ذلك، فهو لن يقبل أياً من النقود التي قدمها له كجيكي، لذلك راحت محفظته تفرغ بسرعة.

على الرغم من ذلك، لم يأبه إيوسوكي لذلك. مقارنة بالثلاثمئة ين التي تعطيها له كوماكو، كانت الألف والمئتي ين تشكل ثروة له. علاوة على ذلك ومنذ مغادرته منزله، بدأت النقود تنهمر عليه حتى إنه لم يكن بحاجة إليها، حتى عندما كان بحاجة إليها، شعر بأنها ستأتيه بطريقة أو أخرى. في حقيقة الأمر، كان مقتنعاً بأنه إذا عاد إلى مجموعة كجيكي السرية، فسيربح الكثير جداً من لعبة البوكر.

«لماذا لا نقلع عن فكرة الذهاب إلى هاكوني، ونتناول الغداء هنا. إن الوقت مبكر جداً للذهاب إلى جينزا». بهذا بدأ إيوسوكي يسير في طريق سوروغاداي.

«هذا ليس مرحاً!» قالت يوري بانزعاج.

لم يكن الإقلاع عن الذهاب إلى هاكوني هو عدم المرح، بل اكتشافها أن ما كانت تراه ثروة لا تنفد لدى إيوسوكي قد تضاءلت لتصل إلى مبلغ ألف ومئتي ين.

«حقاً، أهذا كل ما تملك؟»

«في هذه اللحظة».

«ولكن تستطيع الذهاب إلى البنك. أليس كذلك؟ لديك مخزون ضخم هناك. أليس كذلك؟»

«هذا ما لا يمكن حدوثه على الإطلاق».

في الوقت الطويل الذي كان يقضيه بصحبة يوري، يبدو أن إيوسوكي قد اكتسب بعض مفرداتها الجديدة.

تناول الاثنان غداء بسيطاً في مقهى يقدم الوجبات للطلاب في منطقة كاندا.

«مقبلات لحم الخنزير هذه دون المستوى».

ربما تشكو يوري من الطعام، ولكنه كان أكثر شهية لإيوسوكي من إفطار السيدة تكاسوغي المعد بعناية فائقة، فتناول الطعام بشهية.

«أتعلم؟» قالت يوري وهي تضع شوكتها، «أنت أيضاً تبدو دون المستوى».

«بالمقارنة مع المقبلات، أعتقد ذلك».

«أنت رجل فقط عندما تمتلك كثيرا من المال، وإلا، فأنت لا شيء. أنت رجل ضخم، فيجب أن تملك مالاً كثيراً يناسبك».

«أعتقد ذلك أيضاً».

«امتلاكك ألفي ومئتي ين أمر يبعث الكآبة. ذلك يجعلني أشعر أن الخامس عشر من آب- أغسطس، قد أتى ثانية».

بدت يوري حزينة حقاً. ربما تتحدث كمومس، ولكن عواطفها تشبه أي شابة تحطمت أحلامها المادية والرومانسية.

جلس الاثنان صامتين يشربان القهوة المحلاة بالسكرين. كان الوقت مازال مبكراً، فلم يكن المقهى مزدحماً باستثناء مجموعتين أو ثلاث من التلاميذ كانوا يتناولون قهوتهم. راحوا ينظرون بغيرة إلى إيوسوكي، ويرمقون يوري بنظرات خفية. على عكس من كانوا يعيشون تحت الجسر، قد عرفوا أن يوري لم تكن مومساً. حقيقة وجودها مع رجل أكبر منها سناً وغني لم تبد لهم غريبة ولا جديرة بالازدراء. بل على العكس من ذلك، فقد بدوا وكأنهم كانوا ينعون عجزهم. ظلوا يختلسون الأنظار إلى يوري حتى حدقت بهم غاضبة، فأشاحوا بأنظارهم جانباً.

لقد كان مشهداً لا يخطر على بال أحد في الأيام القديمة.

لفت يوري إحدى رجليها فوق الأخرى، وأشعلت سيجارة وراحت تائهة بأفكارها. كان إيوسوكي منشغلا مثلها عندما تذكر لقاءه بكينجي وزوجته. لقد ذكرته زوجة كينجي بسيدة بيت الدعارة، وهو صنف لا يهتم به كثيراً، إلا أنه تعاطف مع رغبتهما في إتمام حبهما في منزلهما القديم فيما تبقى من عمريهما من سنين. لقد فقدت الحياة تحت الجسر ألفتها

بالنسبة له، فلم يعارض مغادرته الكوخ. إلا أنه كي يستأجر غرفة أو سقيفة فوق متجر كان بحاجة إلى النقود، والمبلغ البسيط الذي كان بجيبه لم يكن كافياً.

فجأة توقفت يوري عن تفكيرها، ونهضت.

«أنا ذاهبة كي أجري مكالمة هاتفية». صرحت بذلك ثم اختفت في الطابق السفلي.

عادت بعد برهة من الزمن وهي سعيدة، «دعنا نذهب إلى هاماريكيو. لقد تحدثت إلى تكابومي، وهو سيلقانا هناك».

بعد شيمباشي يقع جسر يدعى هوراي باشي، وبعد هذا الجسر قليلاً نحو اليمين، تقع حديقة هاماريكيو جاردن، لم يسمع بها إيوسوكي، ولكن يبدو أن يوري تعرفها جيداً. في محاذاة حديقة شونجوكو كيون بارك تقع إحدى الحديقتين السابقتين للأسرة الإمبراطورية التي فتحت للعامة في طوكيو. كما هو الحال في حديقة الهايد بارك في لندن، أصبحت مكاناً معروفاً بلقاءات العشاق منذ انتهاء الحرب. دفعا عشرين ينا رسم الدخول، ثم سارا في ممر مرصوف بالحصى ليجتازا بوابة مخربة وممراً يكسوه عشب طويل جداً كان دليلاً على الإهمال الشديد الذي أصاب الحديقة منذ الحرب. لقد كانت البحيرة المصطنعة والجسور الأنيقة والهضاب المصطنعة بالإضافة إلى أشجار الصنوبر دليلاً واضحاً على حالة الثراء والتنظيم الأدق من ذلك التي حظيت به حديقة هيبيا بارك، التي صممها مهندسون تدربوا في الغرب في أثناء مرحلة التحول نحو الحداثة في خلال الحقبة الميجية.

اجتازا البحيرة ليسيرا بين الأشجار المطلة على ضفة البحيرة. كان الوقت مازال مبكراً لذلك كانت الفتيات والفتية منشغلين بأخذ الصور ويتصرفون بشكل عام على نحو مقبول. نادت يوري تكابومي الذي كان ينتظر تحت شجرة بلوط، واضعاً إحدى يديه في جيبه والأخرى تمسك سيجارة متدلية من شفتيه مقلداً بذلك أحد أبطال الأفلام الأمريكية. لقد كان من السهل على الاثنين إيجاد بعضهما مما يدل على أنهما التقيا هناك مرات كثيرة من قبل.

«يا سيد ميناميمورا، كم هو رائع أن أراك، لقد مر وقت طويل منذ التقينا». حيا تكابومي إيوسوكي بحرارة رافعاً قبعته ليظهر تصفيفة شعره الحديثة الطراز والخاصة بجينزا. كان أمراً حتى لا يخطر في بال أحد قبل الحرب أن يحيي شاب رجلاً، كان الأول يغازل زوجة الثاني

والآخر يخرج مع خطيبة الأول في لقاءات تتسم بالبذخ دون أية ممانعة ولا عداء يصدر عن الأول.

«يا للعجب! لقد كبرت!» عامل إيوسوكي الشاب معاملة جرو لعوب، ولم يظهر أن الاثنين كانا متزاحمين في علاقة غرامية.

جلس الثلاثة على العشب ينظرون إلى الماء على الرغم من رداءة المنظر المتضمن مدفع أوديبا ومكان رمي القمامة على الطرف الآخر من البحيرة.

«لدي أخبار سيئة يا تكابومي. إيوسوكي بحاجة إلى نقود». قالت يوري مستخدمة كلمة إنجليزية.

«هذا سيئ جداً. ولكنك تتمتع بمهارة شديدة لكسب المال. أليس كذلك؟»

«الأمر ليس هكذا، ولا شأن لكما في هذا. إن يوري تضايقني كثيراً هذه الأيام. هل أنتما حقاً تنويان الزواج؟»

«الأمر ليس أننا لا ننوي». قال تكابومي مقلداً إيوسوكي، «ولكن لو تزوجنا كما يتمنى آباؤنا، لبدونا وكأننا لا نملك استقلاليتنا. أليس كذلك؟»

«هذا صحيح». قالت يوري مؤيدة.

«ربما كان ذلك، ولكن ماذا عن قليل من الاحترام لاستقلالي الشخصي؟»

انتقل عندها إيوسوكي إلى موضوع هام جداً، «أيها الشاب هل صحيح أنك على علاقة مع زوجتي؟».

«نحن الشبان لا نؤمن بأن الحب أمر مطلق. في حدود هذا أستطيع القول نعم، إني أحبها».

«هذا صحيح». تدخلت يوري ثانية.

«ولكني سمعت أن كوماكو لم تقع بحبك».

«هذا صحيح. ولكن هذا لا يهم. دونما قصد، اخترتها أستاذة لي كي تعلمني طريقة الحب».

«وهل تعلمت أي شيء؟»

«نعم. ما يتعلق بالتقنيات. إلا أن ذلك كان محبطاً جداً لأنها كانت تخشى أن تصبح

سعيدة وكانت كثيرة الشك. ما كانت لتغامر في أي شيء».

«إنها طريقة تصرف الكبار. إذن، ماذا تفعل كوماكو في هذه الأيام، هل حقق السيد هنمي أكثر مما حققت أنت؟»

«آه، كلا. ذلك الشأن قد انتهى منذ زمن، والسيد هنمي يلاحق في هذه الأيام روائية ذات دم أزرق. لقد جاء بعده رجل ذو قدرات خارقة، وقد انتهى أمره كذلك، والآن هي مختفية عن الأنظار تماماً، إنها لا تعيش في منزلها».

«هل تعني أن كوماكو قد غادرت المنزل؟ إن هذا غير مفهوم».

«لقد غادرت منذ أكثر من شهر». قال تكابومي، «ليس لأنها تحتاج إلى أن تخاف من ذلك الرجل، فقد ترك مكتب المؤونة والتحق باحتياطي الشرطة».

«إذن، أين كوماكو؟ هل لديك أية فكرة؟ إن أهلها يعيشون بعيداً في المكان الذي نقلوا إليه في أثناء الحرب».

«هل أنت قلق جداً؟» سألت يوري، «في هذه الحالة أظن أني أعرف أين ذهبت».

«أخبريني، وسأدفع لكما ثمن العشاء في سكرينشا».

«من أين لك؟ إنك لا تملك أية نقود!»

«آه، لقد نسيت ذلك». قال إيوسوكي، وقد أصيب بخيبة أمل، «إذاً، لا أستطيع أن أسأل».

«يا للمسكين! إنني آسف لحالك. لقد سمعت والدي يقول إنها في أويسو».

«هل أنت متأكدة يا يوري؟» سأل تكابومي، وقد بدا عليه القلق، «إذاً كان هذا صحيحاً، فلابد أن يكون هناك مشكلة».

«لماذا؟»

«لأن أمي ذاهبة اليوم لتناقش أمراً مع البروفيسور هنيدا».

«هذا أمر مثير! أمك والسيدة ميناميمورا والبرفسور جميعاً في مكان واحد؟ كم هذا مثير!» استعجبت يوري.

«ولكن هناك ماهو أكبر لقد أخبرت أمي أن إيوسوكي يعيش تحت جسر أوكنناميزو، وكل شيء».

«كيف لك أن تكون غبيا هكذا؟ كم مرة طلبت منك أن تمتنع عن قول أي شيء؟ إذن، أمك قد قررت إخبار البروفيسور، ليجعل الاثنين يعودان لبعضهما. إنها تعتقد بهذه الطريقة أنها تستطيع إجبارنا على الزواج. أقسم أنها هذه هي خطتها. إن الكبار لايتراجعون!»

«ما هذه المهزلة! إنها ستكون مأساة!»

بعد سماعه للاثنين يتحدثان بانفعال مثير ودون ترابط في معظم الأوقات، استلقى إيوسوكي على العشب.

«فليحدث ما يحدث. أيها الطفلان ستكونان في مأمن إذا التزمتما بشأنكما. لماذا لا تذهبان لقضاء وقت ممتع في جينزا؟»

«إنها ليست فكرة سيئة». قالت يوري مبتهجة، «لم يكن لديك نقود لذلك طلبت من تكابومي أن يأتي».

«ولكن ألا تريدين يا يوري أن تواسي إيوسوكي أكثر قليلا؟» سأل تكابومي.

«لا تأبها لشأني». قال إيوسوكي، «اذهبا ومتعا نفسيكما. هاك نصيبي».

أخرج إيوسوكي قطعة نقود ذات ألف ين.

«لا تدع نفسك دون نقود». قالت يوري، «لم يبق لديك سوى مئتي ين!»

«لا تكترثا بالأمر، هناك شيء واعد الليلة». تحدث بثقة شديدة حتى إن الاثنين قبلا النقود بسعادة.

«لقد غيرت رأيي بك!» قال تكابومي.

«دون إطراء من فضلك».

«إنني حقاً معجبة بك». قالت يوري، «على أية حال، إننا ذاهبان. وداعاً! وتعال إلى جينزا في وقت لاحق. هل أنت موافق؟»

في مثل هذه الأوقات يمكن لجيل مرحلة ما بعد الحرب أن يكون موضع حب. انطلقا كطفلين في رحلة. عندما ترك وحده، أصبح بمقدور إيوسوكي أن يرتاح.

لماذا قررت كوماكو الذهاب إلى أويسو؟

إنه يبدو غريباً وحتى مدهشاً، كيف لامرأة ذات إرادة قوية وذات حساسية عالية تجاه ما يمكن أن يقوله الآخرون عنها، ولاتزال تقبل البقاء في منزل خال زوجها مدة شهر بأكمله.

لابد أن شيئاً مروعاً قد حدث لها جعلها تهجر بيتها في موساشي هازاما.

اعتقد إيوسوكي أنه ربما جميع هذه التطورات قد كسرت غطرستها. في هذه الحال، ربما تتصرف تجاهه بطريقة أقل اضطهاداً. ربما كان الوقت مناسباً للعودة إلى المنزل. علاوة على هذا، ربما كان الذهاب إلى هناك وهي في أويسو أفضل. بحضور الخال و زوجته، ربما كانت أقل رغبة في غمره بتوبيخات لا نهاية لها.

ربما أذهب إلى أويسو غداً.

بدت له فكرة جيدة حتى تذكر وضعه المادي. ماذا يتعين عليه فعله كي يحصل على نقود؟ ليس لأنه كان بحاجة إلى العودة إلى كوماكو متظاهراً بأنه قد أصبح غنياً، ولكنه إذا أعطى انطباعاً بأنه قد عاد بسبب انكساره، فيسبب ذلك متاعب مستقبلية أكبر. كان الشجار بسبب النقود يتكرر كثيراً طوال حياتهما الزوجية، فتذكره تلك الأيام جعله يتردد كثيراً لئلا يعود إلى ذات الوضع. إنه يحتاج، كي يعود إلى كوماكو، إلى مبلغ يكفي لشراء طقم جديد هدية لها على الأقل.

أحتاج إلى خمسين أو ستين ألف ين. لذلك قرر تنفيذ خطة كان يفكر بها طوال النهار. على أية حال، لقد كان الوقت لايزال مبكراً. يوجد عدد أكبر من الأزواج في الحديقة الآن، إلا أن قطع الغيوم المنعكسة في الخليج لم يلونها ضوء المساء. وقضى وقته بأحلام اليقظة وهو يحدق في مبنى تكيوند القشطي اللون والزوارق العائمة فوق ماء الخليج. راح ضجيج زورق آلي يجر عدداً من الزوارق الصغيرة يدوي عبر الماء. وبينما كان إيوسوكي يصغي إلى ترددات صدى الصوت، غرق في النوم.

عندما استيقظ من نومه، كان المشهد قد غلفه ضوء شفق المساء، وكانت النسمات باردة، وموجات المد ترتطم بالسد الصخري محدثة صخباً متواتراً.

لقد نام إيوسوكي جيداً. تمطى متكاسلاً، ثم وقف. اختفت أفكاره الحزينة وسيطر يقينه في الربح في تلك الليلة عليه.

النقود! كل شيء يعتمد على النقود. سواء أراد أن يستأجر غرفة في مكان ما أو يعود إلى كوماكو، فإنه بحاجة إلى النقود. ودون النقود لا يمكن الحصول على الحرية في زماننا هذا. حتى تلك اللحظة، لم يكن إيوسوكي مدركاً قدرة النقود الهائلة، وهكذا، بعده عن منزله قد

لقنه درساً. لم يخطر له أن الحصول على النقود أمر شاق. كان لا يحبذ شراء بطاقات اليانصيب وما يماثلها لأنها تقوم على مبدأ عشوائي، مبدأ إما الربح أوالخسارة، ولأنك لا تحتاج إلا إلى قوة الإرادة كي تستحضر المال– «يمكن أن يكون في ذلك نقود!»– عندها تظهر النقود. منذ أن غادر منزله كان عنده دليل قوي على أن الحظ قد حالفه مرات عديدة في كسب النقود.

لأول مرة منذ زمن طويل سيستدعي تلك القوة في هذه الليلة، لذلك كانت خطاه واثقة ومسرعة. مهما كان شأن الأزواج الشباب تحت شجرة الصنوبر وقرب الهضاب الاصطناعية لم يأبه لهم إيوسوكي البتة. لم ينظر إليهم أكثر مما ينظر إلى القطط والكلاب وهي تسعى وراء شهوتها في شوارع المدينة.

خرج إيوسوكي من الحديقة مسرعاً، ثم عبر الجسر ليلتحق بالازدحام عند تقاطع شيمباشي حيث تجتذب لافتات الحانات والمطاعم الضوئية أعداداً كبيرة من الزبائن. لقد شعر بالجوع، ولكن بما أنه كان لا يملك ثمن الطعام قرر أن ينغمس في شرب ثلاث كؤوس خمر من أحد المتاجر، ثمن الواحدة أربعون يناً.

قضى بعض الوقت وهو يشرب الخمر، وعندما خرج إلى الشارع، كان الظلام قد خيم تماماً. ربما مازال الوقت مبكراً، ولكنني سأذهب لأرى.

بدد الخمر إحساسه بالجوع وغمره بتفاؤل عذب. بعد اجتيازه جسر دوباشي، سار في الشارع المؤدي إلى سوكي ياباشي. وهكذا وصل إلى الزاوية التي أوصلت كجيكي وشركاءه إليها سيارة الأجرة في تلك الليلة.

استطاع إيوسوكي أن يصل إلى ذات المبنى متبعاً المسار الذي قادتهم فيه خطاهم في تلك الليلة. كان المدخل مغلقاً، ولكن على عكس المرة الماضية كانت الأبواب الجانبية مفتوحة. عندما دخل حدقت فيه المرأة التي كانت تقف عند الباب، ولكنها لم تقل شيئاً. حالما أصبح داخل المبنى عادت له ذكريات الزيارة الماضية، وسرعان ما عرف الباب الصحيح، فقرعه.

كان ذات النادل يعمل هناك، فتذكر إيوسوكي فحياه. عرف إيوسوكي أن موجي الذي جاء كي يراه لم يحضر إلى ذلك المكان منذ عدة أيام.

«ربما هو مسافر إلى مكان ما. إذا ما أردت معلومات أكثر يمكنك الانتظار. لابد لأحد أن يعرف. اجلس عند البار إذا رغبت. هل ترغب في شراب الهايبولز؟»

بعد الساعة العاشرة بقليل من تلك الليلة، كان قد ألقي بإيوسوكي خارج النادي.

«لا تجرؤ على المجيء هنا ثانية!» بهذه الكلمات قذف النادل الكيس سابقاً، بإيوسوكي نحو الممر. كان الرجل متوسط الحجم، وزائداً قليلاً في الوزن، لذلك لم يكن لديه قوة خفية احتياطية كما كان لدى هيجي– موظف المؤن. على الرغم من وضعه هذا، استطاع أن يلتقط إيوسوكي كما لو كان قطة صغيرة ويرميه خارج البوابة لأن إيوسوكي كان عديم المقاومة ورخواً كسمك القنديل. تشبه هذه الحادثة حادثة التقاط كوماكو إياه من ياقة قميصه.

بدأت الأحداث تتوالى حتى وصلت إلى هذا الحال. بعد أن بدأ إيوسوكي تناول الخمر في البار، جاء أحد أصدقاء موجي الذي كان قد لعب معه البوكر في تلك الليلة إلى النادي، فسأله إيوسوكي عن موجي.

«لقد ذهب ليستمتع في هاواي. ما رأيك بلعبة أخرى؟ أريد فرصة كي أربح ما خسرته».

هذا ما كان إيوسوكي ينتظره. لقد كان موجي مبرراً للعب البوكر، وفرصة لربح خمسين أو ستين ألف ين. أراد لعب القمار ولكن ليس بالضرورة مع موجي.

بعد تشكيلهم مجموعة من أربعة، دخلوا الغرفة الجانبية وفتحوا علبة جديدة من الورق. كان الثلاثة الآخرون من الذين يتناولون الخمر بكثرة شديدة، فراحوا يشربون الكأس تلو الآخر من الويسكي. كانت اللعبة في أوجها. في البداية، كان إيوسوكي يربح، ولكن سرعان ما فارقه الحظ. في المرة السابقة حظ إيوسوكي السيئ مع النساء كان قد جلب له الحظ، ولكنه في هذه المرة كان يستمتع بانتباه السيدة تكاسوغي و يوري لذلك لم يحالفه الحظ. انتهى به الأمر بالخسارة البالغة والسريعة.

عندما حان وقت الدفع، اصفر وجه إيوسوكي، وطأطأ رأسه. لم يكن لديه عذر لأنه كان يعلم أنه من الخزي أن يأتي رجل نبيل–إذا كان هذا حاله– إلى مكان مثل هذا دون نقود.

تغير مزاج اللاعبين تماماً. وقفوا وقد أطفأوا سجائرهم، لم يدعوا إيوسوكي يذهب بسهولة. حضر النادل، وقدم لهم الاعتذار قائلاً «لقد كانت غلطتي أن تركته يدخل»، لدى استدعائه لإيوسوكي، انتهز فرصته كي يظهر كم هي ضرباته قوية ومؤلمة.

ركب إيوسوكي القطار بالقرب من يوراكوجو، ونزل منه في محطة أوكنناميز وكانت مشيته تشبه مشية فيل مريض، كما كان مزاجه أسود كما لو كان قطعة قماش غمست بحبر هندي.

في اليوم الذي تلا مغادرته المنزل، عندما سرقت محفظته وساعة يده في حديقة معبد ميجي شراين، اعتصر قلبه ألماً، ولكن ذلك لم يكن بشيء إذا قورن بتعاسته بهذا اليوم. الحادثة السابقة كانت قد أرته ماذا يعني أن يكون الرجل مفلساً تماماً، ولكنه لم يشعر بالذل. في هذه المرة تلقى صفعة نفسية قاسية. على الرغم من بطئه، إلا أن تربيته كانت قد أحسنت، لذلك صعب عليه احتمال العار.

يا ليتك كنت هنا يا أمي، هكذا فكر.

لو كانت على قيد الحياة، لأصابها الغضب، ولذرفت الدموع بحسرات عميقة. كانت ستقول له إن ما فعله لا يمكن مغفرته. لقد ملأته هذه الفكرة بكآبة شديدة. لم يشعر بمثل هذا الحزن والأسى عندما التقط أول عقب سجائر. حقاً، لقد كان في تلك المرة مثل شاب يركب بحراً هائجاً لأول مرة. وقف حزيناً عند جسر أوكنناميزو. لقد جعلت السماء المغطاة بالغيوم الكثيفة الماء يبدو أكثر عتمة تحت الجسر. بدأت قطرات المطر تنهمر لترتطم بأنفه الضخم، ولكن وجهه كان قد بللته قطرات دموع عينيه. لقد مرت سنون كثيرة منذ أن بكى إيوسوكي آخر مرة.

يا أمي إنني تعيس!

لقد عاد الرجل إلى طفولته. أضعف الخمر الذي شربه من قبل قدرته على سيطرته على نفسه، وراحت مشاعر الطفولة وذكرياتها تفيض في نفسه. يتصرف الرجل بقسوة وثقة بالنفس عندما يكون بصحبة امرأة أو أمامها، ولكن عندما تصعب الأشياء أمامه فإنه يتخلى عن جميع أشكال التظاهر، ويصبح ثانية كطفل ذي قلب ضعيف وكثير البكاء. في مثل هذه الحالات، يلجأ معظم الناس إلى الله، ولكن الشخص الذي لجأ إليه إيوسوكي هو أمه.

لن أفعل ذلك يا أمي. لقد تعلمت درسي... من فضلك سامحيني!!

انتابه ذات الشعور الذي انتابه عندما حبس في غرفة مخزن معتمة بسبب سوء تصرف صبياني على الرغم من عدم تذكره ذلك السبب. وعلى الرغم من مناداته المتكررة لأمه الميتة، إلا أنها لم تظهر له. من دواعي الغرابة أن وجه كوماكو قد ظهر له من خلال الظلام المخيم تحت الجسر.

كوماكو، إنني أريد العودة، ولكنني لا أملك قرشاً واحداً. هل ستسمحين لي بالدخول؟

لقد توسل لها صوته الداخلي، ولكن يبدو أن كوماكو التي كانت تنظر من خلال سواد الليل راحت تهز له رأسها. ترك إيوسوكي سور الجسر واليأس يغمره. بدأ المطر ينهمر بشدة وعلى الجانب الآخر من الجسر فاجأته ريح قوية تنتظره هناك. كان لديه الكثير كي يفكر به، ولكن في هذا الجو السيئ، ما كان أمامه إلا أن يعود إلى الكوخ. بينما كان يتحسس طريقه وهو ينزل السلم، تذكر أنه كان عليه أن يزور كجيكي في ذلك المساء. كان سينفذ وعده على الرغم من شعوره السيئ. كان يجتاز العشب المبلل، عندما قطع عليه الطريق جسد غامض.

«إلى أين أنت ذاهب؟» صدر صوت سلطوي.

بمساعدة الضوء القادم من محطة أوكنناميزو الواقعة على الضفة الثانية من النهر، استطاع إيوسوكي أن يميز شكل رجل، ولكنه لم يستطع تحديد هويته. تراجع خطوة إلى الوراء، وبينما كان يفعل ذلك ثار غضبه. عادت تعاسته لتثور.

«إنني عائد إلى منزلي. لا تحاول إيقافي وإلا وقعت مشكلة». كانت هذه كلمات قوية تصدر عن رجل في وضع إيوسوكي.

«هل تعيش تحت الجسر؟»

«نعم، من أنت؟»

«من فضلك انتظر هنا قليلاً، إنني أعمل في الشرطة».

حدق إيوسوكي في وجه الرجل، ولكن كل ما استطاع رؤيته كان قبعة تشبه قبعة الصيد.

«أنت تكذب! لا يوجد رجل شرطة يوقف رجلاً ذاهباً إلى منزله. إنك أنت من يشك به. إذا بقيت هنا، فسيطلق الذين يعيشون هنا كلبهم عليك».

بدأ إيوسوكي يسير إلى الأمام، ولكنه جر من كم قميصه.

«لا تستطيع الذهاب إلى هناك. لا تتحرك!»

«ولكن المطر ينهمر. إنني لا أريد البقاء هنا».

وقع بينهما شجار، وحاول إيوسوكي الهروب إلا أن الرجل، صاحب قبعة الصيد، أمسك به بقوة.

«إذن، لن تطيع الأوامر؟»

عندما أدرك الرجل أن إيوسوكي قوي، قفز الرجل إلى الوراء قليلاً، مظهراً براعة بأساليب

القتال، قبل أن يقفز نحو إيوسوكي ثانية. عندها تماماً صدر صوت إطلاق ناري من تحت الجسر، ثم تبعه صوت طلقات أخرى من مكان أبعد. بدا صوت الإطلاق وكأن عملية صيد كانت تجري في الجبال.

راح إيوسوكي ينظر نحو الجسر ناسياً أن الرجل كان يمسك به، فرأى شبحاً يتسلق العوارض الحديدية بسرعة تشبه سرعة القرد. فقط أولئك الذين يعملون في السيرك، والذين تعودوا تسلق حبال السفن يستطيعون القيام بذلك.

اختفى الرجل خلف القضبان الحديدية التي كان يعرف إيوسوكي أنها تمتد إلى الضفة الأخرى من النهر، كما لو كان قد غرق في الظلام.

كان عدد من الرجال يهيمون تحت الجسر، كما صدر صوت صافرات إنذار عدة. ظهر الشبح الذي توارى خلف القضبان ثانية وهو ينزلق فوق أحد دعائم الجسر بسرعة شديدة حتى بدا أنه يقع. لقد وضح شكله تحت ضوء المحطة فأطلقت الصافرة ثانية.

هل كان كجيكي؟

كانت ردة فعل إيوسوكي المفاجئة هي أن يركض، ولكنه شعر بألم حاد في معصمه الأيمن. لم يلاحظ أنه تم تقييده. حاول بغضب أن يطرح الشبح الغامض الذي كان يمسك به.

الفصل السابع عشر
في السجن وخارجه

«يا لها من دهشة! لم أعهدها هكذا امرأة». قال هنيدا سوتومو لزوجته وكوماكو وهو يفرغ في كأسه آخر قطرات الساكي من آنية الفخار غير الملمعة. أخيراً خبا غضبه من كوماكو. بالتأكيد، كان باستطاعتها التحدث. «لم أعرف أن لديها الكثير لتقوله». قالت جينكو عندما كانت تملأ طبق زوجها بالأرز. لقد عرفت ذلك منذ مدة من الزمن، وما لم أتوقعه هو مكر المرأة وتحيزها وسوقيتها. إنها تشبه مانو».

«ماذا يعني هذا؟» سألت كوماكو.

«تعرفين تلك الشخصية في مسرحية كابوكي. تظهر فيها امرأة على خشبة المسرح، وتنادي اسم مومسة الشارع».

«آه، لقد اعتقدت أنها ربما تكون إحدى شخصيات الأدب الفرنسي».

«في المسرحية، هي شخصية النادلة الحقودة في بيت دعارة، وإنها تجسد النساء في أسوأ حالاتهن. إلا أنني لم أتوقع أن يكون لدى ضيفتنا جميع هذه الصفات. كيف استطاع هوري أن يتزوج مثل هذه المرأة، حتى وإن كانت زوجته الثانية؟»

«ولكن ألم أسمعك تمتدحها وتمتدح إنجازاتها الفنية، تلك الشبيهة بإنجازات الغيشا؟» قالت جينكو مغتنمة الفرصة لتظهر سخطها على مديحه السابق.

«حسناً، كانت تتمتع ببعض الصفات، ولكنها أظهرت لونها الحقيقي البارحة. كنت أعرفها لئيمة وماكرة، ولكنني لم أعرف أنها تشبه الهر المتوحش».

كانوا يتحدثون حول هوران. في المساء السابق، كانت هوران قد حضرت إلى المنزل في أويسو، وأحدثت فيه عاصفة، في بداية الأمر وجهت هجوماً قاسياً نحو هنيدا لأنه فشل في رعاية زوجة ابن أخته على النحو الصحيح، ثم طلبت منه أن يعيد إيوسوكي إلى زوجته في أسرع وقت كي تتوقف كوماكو عن إغواء ابنها تكابومي. لقد كان السبب الأول وراء غضب هنيدا، ولكن ما جعل دمه يغلي حقاً هو ما قالته بعد ذلك.

«ما عيبكم أنتم أيها الرجال الوقورون جميعاً وموسيقاكم تلك؟ لقد احتملتها بسبب علاقتي بأسرة فوجيمورا التي تحتاج مني إلى كل الرعاية والاهتمام. كما ظننت أنني بحاجة إلى البرفسور وبعض الآخرين ليساعدوا ابني في تسيير أمور حياتي. هذا ما جعلني أحتمل العزف على آلة الفلوت مع مجموعة من الرجال المسنين. لقد كان كل ذلك في سبيل ابني العزيز. لأجله أنا مستعدة لأن أتضور جوعاً، وبكل سرور. فهذه هي أهميته بالنسبة لي! لا أستطيع النوم في الليل حتى أراه متزوجاً من امرأة جيدة، حتى أعيش بطمأنينة عندما أصبح طاعنة في السن. ليس لدي الوقت لعزف تلك الموسيقى التافهة. أنا لا أمزح. إنني أختلف عنكم جميعاً. لم يعد المجتمع بحاجة إليكم، لذلك تضيعون أوقاتكم في عزف تلك الآلات».

إن اتهامها لفرقة غوشوكاي وإهاناتها الموجهة إلى أعضائها، قد قذفت بهنيدا في غمرة غضب أعمى. لم تحضر هوران إلى أويسو راغبة في التخلي عن جمعية غوشوكاي فحسب، بل عن صداقتها مع أسرة هنيدا التي استمرت بها بعد وفاة زوجها. لقد كانت غريزتها الأمومية مثل الشرارة التي أحدثت الانفجار الضخم.

لو كان هنيدا أكثر تفهماً، لكانت الفوضى أقل خطراً. ولكن لم يكن له أطفال وكان عنيداً، بالإضافة إلى كونه أستاذاً في القانون أثاره بشدة نقدها الأناني اللاذع والصاخب. وعندما أدركت كوماكو أن المشكلة تتعلق بها، دخلت في الشجار وراحت تبدي رأيها في القصة. نتج عن هذا الشجار تراشق قبيح بالإهانات بين المرأتين حتى وصل صداه إلى الجيران. لم يحدث مثله منذ بني هذا المنزل. لو لم تتدخل جينكو، لانتهى الأمر بسهولة بصراخ شديد وبتبادل اللكمات.

بعد أن غادرت هوران، وهي غاضبة جداً، ظل الإحساس بارتداد هزات زيارتها يتردد بقية ذلك اليوم، كما امتد إلى اليوم الذي تلاه. لقد استحوذ على حديثهم تماماً.

«إنني مصمم على عزل تلك المرأة من الغوشوكاي. كوماكو، لقد كنت مشاجرة جيدة. لا يمكن للغضب أن يسكتك مثلي. لقد أعجبتني طريقة نقاشك الهادئة وأنت توضحين أخطاء منطقها. إنني أدرك الآن أن إيوسوكي لم يستطع التفوق عليك». قرر أن لا يتمم فكرته.

«ما دمنا نتحدث عن إيوسوكي، هل تعتقد أن ما قالته السيدة هوري عنه حقيقي؟» سألت

جينكو حانية رأسها جانباً، «لا أستطيع تصوره يعيش تحت جسر أوكنناميزو».

«كيف لك أن تصدقي أي شيء تقوله تلك المرأة! ربما كان إيوسوكي ضعيفاً وغير حازم، ولكنه صاحب ذوق مرهف. لا يستطيع احتمال تلك الحياة. أليس كذلك يا كوماكو؟» قال هنيدا وهو يخرج إلى الشرفة بعد انتهائه من تناول وجبته.

لم توافقه كوماكو الرأي. عندما قالت هوران ذلك، عرفت كوماكو بغريزتها أن ذلك صحيح.

لابد أن يكون في ذلك المكان!

إن ذلك يفسر عدم قدرتها على العثور عليه. إنه مكان مثالي يمكن أن يختفي فيه شخص دون مهارات أو قدرات. إذن، لابد أن يكون المكان المناسب لإيوسوكي. كانت قد لاحظت الأكواخ التي تحت جسر أوكنناميزو، عندما كانت تركب القطار، وهي تعرف جيداً كيف هي الحياة هناك. إذا كان يعيش هناك، فالشيء الوحيد الذي لا تستطيع تفسيره هو الإشاعة بأن مظهره كان جيداً. ربما كانت تلك خطأ. على أية حال، لقد أيقنت أنه يعيش هناك، فكانت تفكر بالذهاب إليه كي تلقي نظرة في ذلك اليوم. لكنها ترددت، لأنها كانت تعلم بصعوبة إقناع أسرة هنيدا بموافقتها الرأي.

سأذهب لألقي نظرة غداً دون أن أخبرهم.

بعد قرارها هذا، خرجت كوماكو لتحضر صحيفة المساء من صندوق البريد عند بوابة المنزل قبل أن تنظف الأطباق.

كان الضوء مازال منتشراً في الخارج، والغيوم الذهبية اللون تشق طريقها نحو جبل إيزو. كعادتها، توقفت كوماكو عند البوابة كي تستعرض الأخبار قبل أن تأخذ الجريدة للخال. كانت الأخبار الرئيسية تشير إلى محاولة اعتقال عصابة تهريب تتألف من جنود سابقين في القوات البحرية. كان اهتمام كوماكو بهذه الأنباء أضعف بكثير من اهتمامها بالتطورات الأخيرة المتعلقة بإجراءات المحكمة القائمة حول منع نشر ترجمة رواية شهيرة. ثم لاحظت عنواناً رئيسياً، «مطاردة تحت جسر أوكنناميزو» واسم «ميناميمورا إيوسوكي خمسة وثلاثين!» فجذب نظرها نحو المقال. ركضت عبر الحديقة تاركة أحد حذائيها منغمساً في الطين لتقفز مسرعة إلى الشرفة مقدمة الصحيفة لهنيدا.

«انظر! انظر إلى هذا!»

«ما الأمر؟ هل فجر أحد كايشو؟»

كان هنيدا يجلس في الشرفة مستنداً إلى عمود ورافعاً إحدى ركبتيه. أخذ الصحيفة ولكنه كان بحاجة إلى نظارتيه، لذلك تأخرت ردة فعله.

«آه. إنهم أولئك المهربون ثانية». قال بهدوء، ولكن بعد أن انتهى من القراءة، رفع نظره مندهشاً؛ كانت شفتاه تتحركان، ولكنهما عاجزتان عن الكلام.

وكي يستعيد قواه مسد شاربيه، ثم نزع نظارتيه، ولكن صوته غير طبيعي تماماً.

«كم هو أحمق!»

«ماذا سأفعل؟» توسلت كوماكو.

«ماذا ستفعلين؟ حسناً»..

«ساعده من فضلك!»

كان صوت كوماكو قوياً جداً. كان غضبها أقوى من غضب خالها بعشرة أضعاف. شعرت بأنها قد قفزت من على جرف مرتفع جداً دون علم.

«إيوسوكي في الصحف؟» خرجت جينكو من المطبخ.

«لا يوجد في المقال أية تفاصيل، ولكن يبدو أن إيوسوكي هو الوحيد الذي ألقي القبض عليه، أما الآخرون جميعاً، فقط هربوا. لقد كان دائماً بطيئاً جداً. يصعب الاعتقاد أن يكون لأحد مثله علاقة بالتهريب».

«بالضبط! فقط لو كان إيوسوكي أكثر ذكاء». قالت جينكو، ولكن لم يلاحظ أحد ملاحظتها الغريبة.

«أين هو الآن؟» أصرت كوماكو.

«بموجب هذا المقال، ربما كان في إدارة الشرطة».

«إنني ذاهبة الآن لأستوضح الأمر».

«هذه فكرة جيدة، ولكن أنت لا تعرفين أحداً لتسأليه». غرق هنيدا في أفكاره، فتذكر طالبه السابق، الذي يعمل الآن في الشرطة. كان بنية هنيدا أن يتصل به كي يساعده في البحث عن إيوسوكي.

«سأذهب معك. انظري في جدول الأوقات لتري متى ينطلق أول قطار إلى طوكيو».

عندما صعد هنيدا وكوماكو خط شونام لاين في الساعة الخامسة وثلاث وعشرين دقيقة، جلسا في مواجهة بعضهما، ولكنهما غرقا في تفكيرهما ولم يتبادلا إلا كلمات قليلة.

هل يوجد رجل يسبب كل هذه المتاعب؟ هل يوجد أزواج يسببون القلق؟

لقد تحولت الصدمة وخيبة الأمل التي شعرت بهما قبل قليل، إلى مصدر قلق. لم يحدث لها مرة في خلال التسع سنوات التي قضتها معه، أن أستطاعت وضع رأسها على كتف زوجها، أو الاعتماد عليه في الأوقات الصعبة. لقد كانت هي من تقدم له الدعم. عندما تذكرت كلمات أم زوجها التي طلبت منها أن تعنى به وتعامله على أنه أكبر أبنائها، أدركت أنها كانت تقوم دائماً بذلك الدور. حقاً، لم تكن مشاكلها مع إيوسوكي تشبه مشاكل الزوجة بل كانت كمشاكل الأمهات. وكم يكون الطفل متعباً! والآن الصدمة الأخيرة. ورد اسمه في الصحف على أنه معتقل!

لقد كانت غاضبة جداً، حتى إنها أحست بارتياح يكمن وراء غضبها. على الأقل، إنني أعرف أين هو! في حقيقة الأمر، معرفتها تلك قد منحتها الحرية كي تغضب منه. لقد انتاب الأمهات التي سجن أبناؤهن في سيبيريا، ثم أعيدوا إلى مايزورو بعد سنوات من انتهاء الحرب، الشعور نفسه. كثير من أولئك الرجال قد كونوا مجموعات مشتركة، ولكن أمهاتهن قد شعرن بالارتياح فقط عند معرفتهن أنهم مازالوا على قيد الحياة.

بدأت ترى كوماكو زوجها المتعب، وكذلك هي نفسها برؤية جديدة. فعلى الرغم من جميع متاعبها، التي مرت بها في السنوات التسع، لم تفكر مرة بالهروب من الزواج. ألا ينبغي لي أن أقضي ما تبقى من حياتي معه كما فعلت حتى هذه اللحظة؟ سألت نفسها. كانت تفكر بالأمر، ليس بوصفه قدرها، ولكن بموجب طبيعة شخصيتها. تذكرت الرجال الثلاثة الذين دخلوا حياتها في أثناء غياب زوجها، ولم يقترب حتى واحد منهم من تفكيرها.

أهو أسهل من أستطيع تحمله؟ كيف لهذا أن يحدث؟ لقد تجاوز سلفاً حدود صبرها. لم يكن طلبها منه، «اخرج» مجرد وليد اللحظة.

إذن، لماذا اندفع نحو إدارة الشرطة؟ لم يكن لدى كوماكو أية إجابات. كانت أفكارها مشتتة، وتفكيرها في دوامة.

إنك رجل جبان وغير ذي جدوى!

لو كان إيوسوكي معها هناك، لأمسكت به من شعره، وخلبت وجهه، وركلته.

في الوقت الذي أفاقت من ثورة غضبها العارم، كان القطار قد تجاوز يوكوهاما. فتح الرجل الذي يجلس بجانبها صحيفته تاركاً نصفها يتدلى إلى الأسفل، استطاعت أن ترى قصة عصابة المهربين قد حررت بتفصيل أوسع مما رأته في صحيفة طوكيو إيفنينغ، التي قرأتها في أويسو حتى هنيدا قد تجاوز كبرياءه، وانحنى إلى الأمام لينظر في المقال.

استقلا سيارة أجرة في محطة شيمباشي، ليذهبا إلى إدارة الشرطة في ساكورادومون. كان المبنى الحكومي قد أعيد بناؤه كلياً، فكانت أضواؤه تسطع في حلكة ظلمة المساء. وهما يصعدان الدرج المقوس الأمامي، سأل هنيدا رجل الشرطة المناوب، «أين أستطيع أن أجد المحقق فوجيتا؟»

«إن مكتب نائب المحقق فوجيتا على الجهة اليمنى من الطابق العلوي. إنه رئيس قسم الشؤون العامة للمجرمين».

«إذن، لقد ترقى. هل مازال هنا؟»

«لست متأكداً».

بينما يحث كوماكو على الإسراع، سار هنيدا ليدخل المبنى الضخم. بعد وصولهما إلى المكتب المطلوب، دخل هنيدا وحده.

لم يسبق لكوماكو أن دخلت مثل هذا المبنى، وعلى الرغم من ثقتها الشخصية، وجدت المناخ العام يثير الإرباك. في الممر الإسمنتي، حيث كانت تنتظر، مر أناس بوجوه كئيبة بالقرب منها، ومعهم رجال شرطة يقتادون خمسة أو ستة رجال مقيدين. لما تذكرت زوجها انتابها انفعال شديد، إذ خشيت أن يكون بينهم.

ظهر هنيدا عند باب المكتب الذي دخله، وأشار إليها. على الرغم من تأخر الوقت، كان الضابط فوجيتا لايزال هناك.

كانت الغرفة ذات السقف المرتفع مثيرة للإعجاب. اقتاد كوماكو سكرتير أو مساعد، يرتدي بزة أنيقة جداً إلى مكتب فوجيتا الخاص، «هذه زوجة ابن أختي كوماكو». قال هنيدا مقدماً إياها لرجل أنيق حالق الذقن في الأربعين من عمره، ويرتدي بزة رمادية اللون وربطة

عنق زرقاء داكنة عقدت بعناية فائقة. كان شعره مطلياً بالمعجون المطري. انحنى لها انحناءة مهذبة وهو يقول: «أنا فوجيتا. في أيام دراستي استفدت كثيراً جداً من إرشادات البرفسور هنيدا». لم يختلف مظهره عن مظهر أي موظف شركة. تخيلت كوماكو أنها ستتعامل مع رجل ذي صوت أجش، يرتدي بزة رسمية ذات أزرار معدنية، لذلك شعرت بالراحة.

«آسفة لأنني سببت لك مثل هذه المتاعب الكثيرة». شعرت بأن عليها تقديم هذا الاعتذار الرسمي. إنها عبارات تصدر تلقائياً عن زوجات المجرمين.

جلست كوماكو وهنيدا بجانب بعضهما على أريكة طويلة، أما فوجيتا فقد جلب كرسياً ليجلس عليه أمامهما.

«يدهشني يا برفسور أن أعرف أن ذلك الرجل هو ابن أختك! لماذا كان يعيش في مكان مثل ذلك المكان؟» سأل مقدماً سيجارة لهنيدا.

«حسناً، لقد كانت هناك ظروف عديدة». قال هنيدا رامقاً كوماكو بنظرة سريعة قبل أن يتابع، «لقد قرأنا المقال في الصحيفة، ولكننا لا نستطيع جمع تفاصيل القصة. هل لك أن تخبرني ما هي علاقة ابن أختي بالقضية، وما سبب اعتقاله؟ إننا لا نعرف حتى ذلك، ولهذا قد أتينا إلى هنا».

قرب هنيدا السيجارة من شفتيه دون أن يدرك أنها قد انطفأت. نادى فوجيتا الضابط المكلف بالقضية الذي بدوره شرح كل شيء لهنيدا وكوماكو. كان اتهام إيوسوكي غير متوقع: اعتراض ضابط وهو يؤدي واجبه. لم يكن إيوسوكي من بين الرجال المطلوبين من الشرطة.

«ماذا فعل؟» سأل هنيدا.

«لقد اعتدى على محقق يرتدي ثياباً مدنية عندما كان في مهمة رسمية هناك. وعلى الرغم مما قاله المحقق له إنه من سلك الشرطة، تابع المتهم هجومه عليه محدثاً فيه إصابات تحتاج إلى أسبوع كي يتعافى. كان المتهم رجلاً ضخماً كما كان تحت تأثير شراب كحولي، لذلك كان من الصعب السيطرة عليه».

قوس الضابط كتفيه وراح يتحدث دون تردد. لم يكن يعلم بالعلاقة بين هنيدا وإيوسوكي.

«نعم. إنني حقيقة أرى أن هذه تعيق عمل محقق في أثناء أدائه مهمته. هل حاول من خلال

تصرفه المذكور مساعدة المجرمين في الهروب، أو نجم عنه أي شيء من هذا القبيل تلقائياً؟» سأل هنيدا مستخدماً لغة الشرطة الرسمية.

«ما توصلنا إليه من خلال تحقيقاتنا أنه لا يوجد أي دليل يثبت أن الفعل الذي قام به كان له أي تأثير في هروب المجرمين. لقد وقعت الحادثة مع المحقق على بعد مئة ياردة عن المكان الذي تبادل فيه رجال الشرطة النار مع المجرمين».

«شكراً لك أيها الضابط. لقد فهمت».

بدأ هنيدا مرتاحاً أكثر. بموجب ظلام الليل والكحول التي تناولها، ربما لم يصدق إيوسوكي أن الرجل كان شرطياً، علاوة على ذلك، لا يوجد دليل على أنه كان ينوي مساعدة المهربين. هذا يعني أن إيوسوكي ربما لن يواجه أية اتهامات خطيرة.

«على الرغم من محاولتنا اعتقال المهربين في مكانين آخرين، إلا أنهم كانوا قد علموا بالحملة فهربوا. لقد سمعنا أن السيد ميناميمورا كان له علاقة مع كجيكي، قائد العصابة، لذلك قمنا باستجوابه، ولكنه لم يقل لنا شيئاً».

«هذه طريقته» علقت كوماكو. «لا يتحدث كثيراً، وعلاوة على ذلك، يمكن إثارته بسهولة. إن مكاناً مثل هذا يمكن أن يجعله متوتراً».

«مهما كانت درجة كراهيته التحدث، ينبغي له أن يقدم لنا أية معلومات يملكها».

«لو اقتصر الأمر على التهريب المعتاد، لما كان شديد الأهمية. ولكننا نعتقد أن هناك مخدرات في الأمر، لذلك فإن الأمر أكثر تعقيداً». تابع فوجيتا بهدوء.

بناء على ما قاله، فإن الثلاثة الذين هربوا كانوا جميعاً ضباطاً سابقين في القوات البحرية، وأنهم لم يرموا من وراء عملية التهريب نفعاً شخصياً، ولكنهم أرادوا تأمين مبالغ كي يكونوا جماعة وطنية. هذا ما أثار حفيظة الشرطة. لم يلقوا القبض على كجيكي ولا على أي من رفاقه، وحتى لو لم يكن إيوسوكي عضواً في العصابة، فطالما هو مشكوك به على أن له علاقة معهم، فيعتبر مساعداً في ارتكاب الجريمة، ولذلك يمكن أن ينتهي به الأمر في مكتب النائب العام.

«في آخر الأمر، هو متهم في عرقلة تنفيذ مهمة ضابط». أضاف فوجيتا.

«إنه في وضع سيئ». قال هنيدا بصوت خافت، وهما يغادران المكتب.

وهو يودعهما، حاول فوجيتا أن يقدم لهما بعض التشجيع.

«برفسور. ليس من المؤكد أنه سيتهم، لذلك لا تقلق كثيراً».

«هل لك أن تخبرني أين توجد غرف الاحتجاز؟» سألت كوماكو.

«يؤسفني أن أقول لك إنك لا تستطيعين الذهاب هناك، ولكن تستطيعين أن تري من خلال هذه النافذة المساحة التي يسمح للمساجين بالسير فيها والتدخين مرة في اليوم».

«هل التدخين مسموح لهم؟ هل نستطيع إرسال الطعام لهم أيضاً؟»

«نعم ولكن سيصار إلى تفتيشه».

من خلال النافذة نظرت كوماكو نحو تلك المساحة. كان سورها من الشبك مثل قفص حمام. تخيلت إيوسوكي في غرفة ليست بعيدة تحت الأرض محاطاً بجدران إسمنتية وعوارض حديدية، فأحست بألم حاد يحز قلبها.

بعد مغادرتهما فوجيتا، ذهبا إلى الخارج.

«ماذا يجب علينا فعله؟» سأل هنيدا كوماكو، «مازلت قلقاً، لذلك لا أعتقد أنني سأعود إلى أويسو هذه الليلة. سأطلب من أسرة فوجيمورا كي يسمحوا لي بقضاء هذه الليلة عندهم. وهكذا أستطيع التفكير بما سأفعل».

«سأظل في طوكيو كذلك. سأعود إلى بيتنا. لن أذهب هناك لوقت طويل».

كانت كوماكو خائفة من العودة إلى منزلها. ما كانت تعرف أن هيجي قد ترك العمل في مكتب المؤن، ولكن قد أصبح لمشكلة إيوسوكي الأولوية. تستطيع البقاء في طوكيو يومين لتعرف ماذا سيحدث لإيوسوكي.

«سآتي إلى منزل فوجيمورا غداً صباحاً لأناقش الأمر معك». قالت.

افترقا عند ساكورادامون، ولكن كوماكو لم تذهب مباشرة إلى منزلها. ركبت الباص إلى جينزا حيث أشترت سجائر وفطائر حلوى وبعض الشوكولا وأشياء أخرى قبل أن تعود إلى إدارة الشرطة.

كان فوجيتا قد غادر لذلك واجهت صعوبة في رؤية الضابط المسؤول عن غرف الاحتجاز.

«انتظري هناك». قال الضابط مشيراً إلى مقعد عند الجدار. بالقرب منه، يوجد علب

كيروسين، ولكن رائحتها تدل على أنها تحتوي على مادة د.د.ت.القاتلة للحشرات. ربما كانت تستخدم في تعقيم السجناء. لقد مثل ذلك لكوماكو عالماً غريباً تماماً. رأت سجيناً يقوده ضابط في الممر. قال له بعنف: ادخل. ثم تبع ذلك صمت مطبق. لم تسمع أصواتاً أخرى. لابد لذلك الممر أن يقود إلى جحيم معتم.

«آه.. يا إيوسوكي ».. كان عليها أن تستخدم جل طاقتها الداخلية كي تمنع نفسها من الصراخ باسمه.

في ذلك الوقت، كان إيوسوكي قد نام في فراشه، وقد غطى نفسه ببطانيتين. كان المحتجزون يذهبون إلى فراشهم باكراً، ويستيقظون باكراً أيضاً، فهم يتبعون نظاماً يناسب المسنين، مما يجعل ذلك صعباً على إيوسوكي ورفاقه. علاوة على ذلك، فإن الأضواء تظل منارة طوال الليل محولة كل غرفة إلى ما يشبه صالة استقبال في فندق ذي درجة أولى، تشع بضياء قوي، لذلك صعب عليه النوم. بدلاً من ادخار الكهرباء، كانت الأولوية في مقرات الشرطة لأجل التأكد من أن الحراس يستطيعون رؤية ما يحدث داخل الغرف طوال الوقت. كانت أرض الغرف من الخشب، لكن الحصائر السميكة وفوقها الفرشات الجديدة قد حولتها إلى مكان مريح. انبعثت هناك رائحة قوية لمبيد الحشرات د.د.ت، ولكن إيوسوكي كان مرتاحاً، لأنه لم يكن هناك براغيث على عكس الحال في الأكواخ.

لم تخترق الريح الجدران الإسمنتية. أما في الكوخ الذي اشترك به مع كينجي، فتفصل بينهما مسافة ستة ياردات مربعة. أما هنا، فيفصل بين كل معتقلين ياردتان مربعتان. كان في غرفة رقم 17 ثمانية رجال، وضع فراشهم في نسق يشبه نسق الشطائر في علبة الطعام. على يمين إيوسوكي لص، وعلى يساره تاجر مخدرات، وعند رأسه لص دراجات. أما البقية؛ أحدهم سارق جيوب كان قد اضطهد ضحيته، وآخر مبتز، ورجل كان قد اغتصب فتاة. أما الأخير، فكان عامل مصنع تهجم على مديره في أثناء الإضراب.

مرت نحو أربع وعشرون ساعة منذ أن دخل إيوسوكي غرفة الاحتجاز. في الليلة السابقة، أجري له فحص جسدي في غرفة تشبه غرف المحكمة قرب مدخل مركز الاعتقال، ثم أخذ منه كثير من ممتلكاته الشخصية بما فيها ربطة عنقه وحزامه الجلدي. وضع على كل منها لاصق، ثم حفظت في خزانة لا تحمل اسمه، بل رقمه. عند دخول المركز يسلم كل محتجز

بطاقة سوداء تحمل رقماً كتب باللون الأبيض، فهي تشبه بطاقات المشافي، التي تحدد رقمك التسلسلي في طابور الانتظار. بهذا اكتملت إجراءات إدخاله إلى مركز الاعتقال.

فقط عندما يعطى أمر بدخولك، يسمح لك بالدخول. وهكذا لم يكن الدخول سهلاً. لحظة دخول إيوسوكي، اختفى اسمه ليحل محله رقمه.

«زنزانة 17– رقم 136!» من هذه اللحظة فصاعداً سينادى عليه بهذا. الأرقام أكثر عملية وأسهل على التذكر. إن هدف هذا النظام يشبه التحديد الأخير لعدد أحرف الأبجدية الصينية والنظم الجديدة لتلك الأبجدية. على أية حال، لم يعن ذلك كثيراً بالنسبة للمحتجزين.

استدعي رقمه في ذلك الصباح مرتين إلى غرف التحقيق؛ تلك المختصة بالأمن الاقتصادي والأخرى المختصة بالمخدرات. عندما سئل لأول مرة إذا كان اسمه إيوسوكي ميناميمورا، شعر وكأنه يقابل نفسه منذ وقت بعيد.

«كان الظلام مخيماً». أجاب، «لم يكن باستطاعتي أن أتبين أنه رجل شرطة». وقال أيضاً إنه كان قد شرب الخمر، وإنه كان مهدداً. اكتفى بأجوبة مختصرة كي يوضح أنه لم يكن لديه نية إجرامية، كما نصحه سارق الجيوب في زنزانته.

إلا أن الضابط كان مهتماً أكثر بعلاقته بكجيكي وعصابته.

«حسناً، إنه كان يعيش في ذات المكان. كان يعطيني حليب العنزة، وهكذا أصبح صديقاً».

عندما لم يقتنع الضابط بجواب إيوسوكي، وانتابه جراء ذلك غضب شديد، حاول ضرب إيوسوكي، ولكن كان ذلك يشبه عراكاً مع ستائر النوافذ. كان الضابط مقتنعاً بأن المتهمين الذين يتصرفون على هذا النحو مجرمون محترفون، فراح يحدق بثبات بإيوسوكي، ولكن ردة الفعل الوحيدة قد تمثلت بتبلد ارتسم على تعابير إيوسوكي ونظراته وصوته. هكذا بدا المتهم ينقصه كل ما هو ذو قيمة.

لأجل سلامة إيوسوكي، تقصد كجيكي عدم إخباره بتفاصيل خططهم، لذلك لم يملك إيوسوكي معلومات يقدمها رداً على أسئلة الضابط الغزيرة. راحت عينا إيوسوكي تنظر بثبات في منظر مياكزاكا، الذي كان يرى من خلال النافذة ذات العوارض، فملأه حزن شديد. كم هو رائع أن يكون حراً ليسير هناك!

الآن وهو مستلق على فراشه وعيناه مفتوحتان غير قادر على النوم بسبب الضوء، قد سيطر عليه نفس الحزن.

على أية حال، لم يكن غير راض تماماً عن ظروف المعيشة في المركز. لم تكن الحياة سيئة جداً هناك. كان قد أعيد بناء زنزانات الشرطة بعد الحرب، كما أن الأرز المقلي وحساء التوفو، اللذين قدما له في تلك الليلة كانا جيدين. كانت مخصصات كل محتجز من الأرز توازي في كميتها مخصصات كل منهم خارج السجن. وكان باستطاعتهم الاستحمام في كل مساء، كما أن الحمامات ربما كانت حالتها أفضل من حمام منزل مدير الشرطة العام. وما ثمنه إيوسوكي بشكل خاص هو المرحاض الإفرنجي الدفاش. كان هناك واحد مثله في منزله في أكساكا، ولكن في موساشي هزاما، وكذلك تحت الجسر كان هناك مرحاض دون دفاش، مما جعل إيوسوكي يكره ذلك دائماً. على وجه العموم كان مرتاحاً.

عدم السماح بالتدخين كان أمراً مضايقاً، ولكنهم كانوا يدخنون السجائر التي يحتفظون بها معهم، في أثناء تمشيهم خلال الخمس عشرة دقيقة في فسحة التنزه كل يوم. كان بعض المحتجزين يدخنون سيجارتين في آن واحد، كما كان المحتجزون لمدة طويلة يهربون بعض السجائر إلى داخل زنزاناتهم ليدخنوها سراً. أمر مضايق آخر تمثل في عدم امتلاكه حزاماً، إذ كان يخشى دائماً سقوط بنطاله، ولكن كبر بطنه جعل ذلك أقل خطورة مما هو عليه لدى المحتجزين الآخرين.

مع وجود وسائل الراحة هذه، يصبح مستوى المعيشة موازيا لمستوى معيشة رجل متوسط الحال خارج المحتجز. تكلف الإقامة في مكان ما مع ثلاث وجبات أربعمئة أو خمسمئة ين. لو كان المكان مزودا بجهاز الرائي أو الأفلام، لما حظي أي فرع حكومي بمديح أكثر من الذي يحظى به سلك الشرطة الذي طبقت فيه الديموقراطية. لقد كانت الحياة الاجتماعية أيضا محببة لدى إيوسوكي، فمنذ البداية عامله المحتجزون باحترام ليس بسبب ضخامة جسده ومظهره غير الاعتيادي بل لأنه أيضاً كان على علاقة بعصابة تهريب كبيرة عندها رغبات أيديولوجية. كانت المثاليات تحترم حتى في مثل هذا المكان. حتى النشال الذي تبين أنه قائد الزنزانة، قد عامل إيوسوكي باحترام.

«هاك تعويذة تبعث لك حسن الحظ». مقدماً لإيوسوكي صندلاً صغيراً صنع من مناديل

المرحاض. كي يقضوا وقتهم، كان المحتجزون يصنعون صنادل أو كلاباً صغيرة تجلب الحظ. كما كانوا يصنعون حجر لعبة الطاولة من الخبز اليابس، ويستخدمونها في لعب القمار. لقد كان المجرمون المعتادون على ارتكاب المخالفات ماهرين في صناعة مثل هذه التعويذات التي يمكن لها أن تربح جوائز. داخل الزنزانات وكذلك في العالم الخارجي، يثمن المقامرون الليليون مثل هذه التعويذات.

في نهاية الأمر، لقد عامل المحتجزون إيوسوكي بطريقة جيدة. كانوا يقدمون له السجائر في باحة الفسحة وفي بعض الأوقات يقدمون له كمية أكبر من الأرز. لقد عومل بمثل المعاملة الحسنة التي كان يتلقاها تحت الجسر، فقد شعر بأنه في جنة خضراء مرة ثانية. كان هناك شيء واحد يجعله لا يرغب في إطالة إقامته؛ العوارض الحديدية. يكون عادة لزنزانات الشرطة جدران من ثلاث جهات ونافذة في بعض الأوقات، وقضبان من الجهة الرابعة لتصبح شبه غرفة عادية. في هذا البناء، على أية حال، توجد اثنتا عشرة زنزانة ضمن ردهة ضخمة جداً تحت الأرض، وتتألف جميع جدران كل زنزانة من قضبان حديدية، مما يجعلها تشبه الأقفاص في حديقة الحيوانات، كما أن القضبان تمتد أفقياً وشاقولياً ومثبت بينها شبك. لقد كره إيوسوكي هذا النظام بشدة.

في بعض الأوقات، كادت الرغبة في نزع تلك العوارض والهروب تسيطر عليه، ولكن كان ذلك من مبعث الغباء، إذ كانت الردهة محاطة بالجدران من جميع جوانبها، وليس لها سوى مدخل واحد يقف عليه حراس طوال الوقت، فحتى إذا استطاع الهروب من ذلك الباب، فسيكون بانتظاره حراس آخرون ورجال شرطة. وحتى لو افترض أنه من الممكن إيقاعهم جميعاً، لانطلق صوت صافرة إنذار تجلب ثلاثة آلاف شرطي آخرين مسلحين ببنادق وغاز مسيل للدموع.

الهروب حلم كان عليه الابتعاد عنه، ولكن الحياة دون أحلام أكثر الأشياء حزناً. كان إيوسوكي مدركاً لحقيقة المكان الذي كان فيه ولما حل به. لقد تذكر ما اعترف به لزوجته يوم مغادرته المنزل. «إنني أريد الحرية».

وانظري إلى أين انتهى بي الأمر! راح يفكر.

سقطت دمعة من عينه فوق بطانيته. لا عجب أنه لم يستطع النوم.

في صباح اليوم التالي، بعد إجراءات تسجيل الحضور، وتناول الإفطار جلس المحتجزون، وقد ثنوا أرجلهم فوق بعضها، وأسندوا ظهورهم إلى القضبان مودعين بعضهم كما يفعل المسافرون.

«كانوا متيقنين من أنهم سيرسلونني إلى السجن، لذلك ربما ينادونني هذا الصباح، ربما لن أراك ثانية. أتمنى أن يمر كل شيء على ما يرام. اجمع كثيراً من النقود!»

«وأنا كذلك. سيكون لي ثمان وأربعون ساعة هنا عند الساعة الثانية من بعد ظهيرة هذا اليوم لذلك لن أقضي الليلة هنا. إذا خرجت، فإنني سأرسل لك شيئاً. لا تأبه كثيراً».

لم يقض المحتجزون وقتاً طويلاً في زنزانات الاحتجاز، فقد كانوا يرسلون في خلال يومين إلى مكتب المدعي العام حيث يقرر توجيه التهمة أو عدمها. إذا احتاج الأمر إلى استجواب أطول، يمكن احتجازهم مدة أقصاها عشرة أيام. فالأوفر حظاً هو من يستجوب في الإدارة العامة، ثم يطلق سراحه.

«ربما يطلق سراحك اليوم. في آخر الأمر، إنهم لا يملكون دليلاً». قال رجل لإيوسوكي.

«ولكن كان أمراً جللاً، لذلك من يعلم». قال آخر.

«حتى وإن أرسلوك إلى سجن، فإن سياسياً مثلك سيجد الأمر هناك سهلاً عليه». ساداً أذنيه أمام كلمات العزاء هذه، جلس إيوسوكي حابكاً يديه أمام صدره دون أن يقول شيئاً. عند حلول المساء سيكون قد مر عليه أيضا ثمان وأربعون ساعة، لذلك سيقرر مصيره في ذلك اليوم. كان يعتقد أنه لم يفعل شيئاً أكثر من عراك مع شرطي، لذلك سيطلق سراحه. لم تكن لديه معرفة باستجوابات الشرطة. إذا أرسل إلى مكتب النائب العام، فهو يعلم أن الوضع سيكون أكثر جدية. مع العلم أنه لم يعترف، إلا أنه كان عضواً في عصابة التهريب، وكان حاضراً عندما بيعت المخدرات، على الرغم من عدم قيامه بدور فعال. ما يزيد الأمر سوءاً هو أنه كان يعرف مخبأ العصابة، لذلك لم يكن التكهن بما سيحدث ممكناً.

لم يمض عليه يومان بأكملهما، إلا أن ما مر عليه كان كافياً كي يجعله يتمنى الهروب بأية طريقة وبأي ثمن. كاد ينطق باسم أمه ثانية لتنقذه، عندما نادى الحارس عليه برقمه.

«زنزانة 17 رقم 36».

«نعم!»

أخيراً قد وصل حامل قدره. «يوجد كيس لك. تعال لتأخذه». تحطمت آماله، ولكنه كان سعيدا لأنه سيخرج من وراء القضبان حتى ولو لدقيقة واحدة.

بالقرب من الباب المؤدي إلى باحة الفسحة كانت توجد طاولة خشبية ومقعد طويل، حيث سلم له كيس من الحلوى والشوكولا.

«إنها من زوجتك. يوجد سجائر أيضاً، ولكننا سنحتفظ بها حتى يأتي وقت التنزه».

أصيب إيوسوكي بصدمة، فهو لم يتوقع أن تعلم كوماكو بحالته، كما كان إرسالها له كيساً أمراً غير متوقع البتة. لقد تأثر جداً حتى كاد لايقوى على الوصول إلى الكيس.

ظهر حارس آخر وقال، «بعد أن تستلم هذا، ستؤخذ إلى مكتب النائب العام».

كانت الساعة التاسعة والنصف صباحا. وضع إيوسوكي في حافلة نقل مع خمسة عشر متهماً آخرين لينقلوا بعدها إلى منطقة مكتب النائب العام. كانت الحافلة نظيفة، وبدت كأية حافلة سياحية أخرى باستثناء نوافذها ذات القضبان. على أية حال، كان يشوب الحافلة بالركاب المقيدين والحارسين ببندقيتيهما جو من التشائم.

أخذ السجناء إلى غرفة كبيرة كتب عليها غرفة احتجاز رقم واحد. بعد فحص جسدي بسيط، طلب منهم الجلوس على مقعد قاس والانتظار. كان التحدث ممنوعاً منعاً باتاً، كما ساد الغرفة توتر شديد. عندما حرك إيوسوكي ذراعه قليلاً نتيجة إيذاء القيود يديه، وبخه بشدة حارس كان يجلس على منصة عالية. انتظر إيوسوكي وانتظر كي ينادوا عليه. حتى بعد تناوله وجبة الطعام التي قدموها له، وتأمله ضوء الشمس الذي بدأ يدخل من خلال النوافذ الغربية للغرفة، لم يناد عليه. كان جدول نواب الادعاء مليئاً تماماً. في كل أربع وعشرين ساعة، تعين على كل منهم أن يطلق أحكاماً بحق سبعة أو ثمانية متهمين، ولا يستطيع كل نائب أن يتعامل إلا مع متهم واحد في كل مرة. لقد كان وقت اتخاذ الإجراءات.

أخيراً نادى الحارس اسمه بعد الرابعة بقليل. أخذ إيوسوكي إلى الطابق العلوي، ومازالت يداه مقيدتين. على جانبي الممر الكئيب كانت غرف الاستجواب، وبدا الجالسون على المقاعد الطويلة كأنهم مواطنون عاديون. ظل إيوسوكي مطأطئاً رأسه خجلاً. اعتقد أنه قد لمح من بعيد أحداً يشبه كوماكو.

«كم هي تعيسة الحال التي أنت بها! ألست خجلاً؟» تخيلها تقول ذلك له بصوت كأنه

سوط يضرب ظهره. لم يستطع أن يقول شيئاً رداً على ذلك. لحسن الحظ، فاجأه حارس بفتح الباب الذي كان أمامه.

«ادخل!» أمر دافعاً إيوسوكي داخل الغرفة.

الغرفة رقم «X» مخصصة لاستجواب المجرمين، كانت طويلة وضيقة، وكان مكتب النائب العام تحت النافذة. كان يجلس وراءه رجل نظيف حليق الذقن ومرتدياً قميصاً، وبالقرب منه طاولة كتابة. كما وقف حارس على أهبة الاستعداد عند الجدار، الذي ثبتت عليه عوارض زجاجية صغيرة الحجم، وعلق عليها ورود اصطناعية غطاها الغبار. طلب من إيوسوكي الجلوس على كرسي في مواجهة النائب العام.

«لقد أرسلت هنا لاتهامك بإساءة قد قمت بها. هل هذا صحيح؟» كان عمر النائب العام يقارب عمر إيوسوكي، وكما بدا عليه أنه على درجة رفيعة من العلم وهو ينظر من خلال نظارتيه إلى الوثائق التي كانت أمامه. وظهر في حديثه لهجة أهالي توهوكو.

«نعم».

«لدي أسئلة أوجهها لك؟ أجب بأقصى دقة ممكنة. على أية حال، لا ينبغي لك أن تجيب عن أي سؤال لا تود الإجابة عنه. هذا حقك». كانت نسمات الدستور الجديد العليلة تنبعث في الغرفة.

استغرق الاستجواب حوالى ساعة من الزمن. لم يسأل إيوسوكي كثيراً عما فعله بحق رجل الأمن الذي كان يرتدي ثياباً مدنية، بل تركزت معظم الأسئلة على علاقته بكجيكي وعصابته، كما كان الاستجواب ألطف من ذاك الذي تعرض له في إدارة الشرطة. على أية حال، كان إيوسوكي مدركاً لنظرات النائب العام الثاقبة. لقد بذل قصارى جهده، مرتجفاً، كي يجيب كما طلب منه، «بأقصى دقة ممكنة».

قيد الكاتب كل ما قاله هو والنائب العام على ورق ملفوف، ومن المؤكد أن تلك الوثيقة ستلحق بالاتهامات التي قدمت بحقه. استسلم إيوسوكي لقدره.

«أعتقد أنني قد فهمت».

نظر النائب العام ثانية في وجه إيوسوكي، الذي خلا من جميع أنواع التعبير وبرد تماماً حتى تحول إلى صخرة مبللة.

لقد حان وقت الحكم عليه، فكر إيوسوكي ناظراً إلى الأسفل.

«بالمناسبة ما هي صلتك بالبرفسور هنيدا؟» جاء السؤال مفاجئاً تماماً.

«إنه خالي».

«والسيدة ميناميمورا التي عمرها واحد وثلاثون عاما؟»

«إنها زوجتي». أجاب إيوسوكي بضعف.

«من الآن فصاعداً، هل ستتبع نصائح خالك، فتعيش في بيت واحد مع زوجتك؟ بعبارات أخرى، هل ستقلع عن العيش تحت جسر أوكنناميزو وتعود إلى حياتك الطبيعية؟ بالطبع ما تقرره ليس من ضمن إملاءات المحكمة، وهذا ليس بأمر يتحتم عليك تنفيذه. إنني أسأل فقط لأجل المعرفة».

«نعم، إنني أنوي فعل ذلك».

جاء تجاوب إيوسوكي دون تفكير، إنه لم يعبر في حياته مرة عن تصميمه بهذا الوضوح. لقد تغير شعوره نحو كوماكو جذرياً لحظة استلامه الكيس الذي أرسلته إليه. لقد كان تجاوباً نابعاً عن دافع غريزي وأمنية بالوصول إلى أمل نزل عليه من السماء كي ينقذه. من خلال كلمات النائب العام، استطاع سماع أصوات تناديه من وراء قضبان السجن.

«من فضلك، أجلب الشخصين اللذين جاءا من قبل». أمر النائب العام الكاتب.

فتح الباب مباشرة، فدخل كل من هنيدا وكوماكو. لما كان جالساً موجهاً ظهره نحوهما، لم يعرف إيوسوكي أن كوماكو كانت تضغط بمنديلها على عينيها وهي تحدق برأس زوجها.

«أجلس من فضلك يا برفسور». قدم النائب كرسياً لهنيدا.

بدا هنيدا رسمياً جداً ومختلفاً تماماً عما كان عليه وهو بصحبة أفراد جمعية غوشوكاي، إذ انحنى انحناءة رسمية. أدرك عندها إيوسوكي أن خاله موجود وكذلك كوماكو، فغرق مباشرة رأسه بين كتفيه الضخمتين، وبدت ذراعاه الغليظتان تضمحلان وتذوبان. لقد كان التغير أسرع من تغير البالون الذي أحدث فيه ثقب.

«لقد اقتربنا من استكمال الاستجواب. أيها البرفسور هنيدا وأيتها السيدة ميناميمورا، أريد أن أستشيركما». قال النائب وهو ينظر إليهما.

أخبرهما النائب أن إساءة إيوسوكي لرجل الأمن في أثناء أداء مهامه لم تكن عن قصد، وأنه

لم تتم إدانته. على أية حال، فيما يتعلق بعلاقته بعصابة تهريب المخدرات، فربما من الصعب إثبات أنه قد ارتكب جريمة، ولكن لا يمكن إثبات براءته تماماً. لن تتضح التفاصيل حتى يلقى القبض على كجيكي، فعندها ستكون ادعاءات المتهم ذات قيمة، ولكن في الوقت الحاضر لا يوجد سبب يستدعي الاحتفاظ به. على أية حال، إذا استمر المتهم عاطلاً من العمل دون أن يحصل على وظيفة ثابتة، فربما يقيم دليلاً أو تهمة ثابتة على نفسه، فيصبح اتخاذ بعض الإجراءات ضرورياً. لحسن الحظ، أن خال المتهم كان باحثاً في القانون وعضواً محترماً في المجتمع، ولدى زوجته عنوان ثابت، وهي تعيش حياة طبيعية. إذا كفل الاثنان المتهم، فسيأمر النائب بإطلاق سراحه فوراً.

«هذا ما نود فعله». قال النائب بأقل رسمية، وبعد نطقه بحكمه، راح يحدق بهنيدا وكوماكو.

«على أية حال، كما تعرفان، فإن قبول المسؤولية تجاه المتهم ليس ملزماً قانونياً. إنه أمر شكلي، ولكنه بحاجة إلى بعض الوثائق. إذا صدقت على وثيقة موقعة تنص على قبولك رعاية المتهم، يمكن إعادته إليك».

«إنني أقبل». أجاب هنيدا بجدية بالغة.

«وأنا كذلك». قالت كوماكو رافعة رأسها.

همت كوماكو بالبحث عن الاستمارة المطلوبة، ولكن قال النائب إنه ليس من داع للوثيقة الرسمية، وإن رسالة تكتب بلغة صريحة وواضحة ستكون كافية. أمر بأن تجلب لها ورقة لتكتب الرسالة بنفسها.

«بما يتعلق بالمتهم مينامِيمورا إيوسوكي، بعد إطلاق صراحه، إننا نقبل بتحمل مسؤولية رعايته، ونعد بإحضاره عندما يطلب».

تساءلت كوماكو عن سبب أهمية كتابتها للرسالة باللغة المقطعية «الكتكنا»، ولكنها فعلت ذلك مستخدمة فرشاة كما طلب منها الكاتب، ثم أعطتها لهنيدا، الذي وضع عليها توقيعاً أنيقاً، ثم ختمها بختمه. لم يكن لدى كوماكو ختم، لذلك سمح لها بدلاً من ذلك بوضع بصمة إبهامها.

قرأ النائب الرسالة، وهز رأسه، ثم وضعها على مكتبه، فاستدار نحو إيوسوكي.

«الآن أنت حر كي تذهب. عندما تأخذ حاجاتك من إدارة الشرطة، فسيكون من اللائق لو اعتذرت لهم عما سببت من متاعب. من الآن فصاعداً، تجنب صحبة الشخصيات المشبوهة. يجب عليك أن تدرك أن المجرمين يمكن لهم أن يستغلوا شخصاً متساهلاً مثلك. لا تستطيع التكهن كم يمكن أن ينجم عن ذلك من إدانات خطيرة. أتمنى أن يعود الوفاق بينك وبين زوجتك، وأن تعيشا حياة طبيعية وسليمة».

على الرغم من تقديم النائب نصائح قيمة، إلا أن إيوسوكي أصغى إلى نصف الحديث. كان قلبه يتوق إلى السماء الرحبة والعالم الفسيح خارج جدران السجن.

كانت الشمس قد غربت. عند المدخل الرئيسي لمحطة طوكيو، اشتروا بطاقات تغطي وجهاتهم؛ بطاقة هنيدا إلى أويسو، وبطاقة كل من كوماكو وإيوسوكي إلى موساشي هزاما.

«أتمنى يا إيوسوكي أن تستقر الآن». فقط عندها تكلم هنيدا. فهو لم يقل كلمة واحدة طوال الطريق إلى مقر الشرطة، ومن هناك إلى محطة طوكيو.

«نعم. إنني أنوي ذلك». تلعثم إيوسوكي بكلماته، وانحنى بطريقة محرجة غريبة تشبه طريقة انحناء طالب مدرسة إعدادية.

«من الصعب إيجاد زواج جيد». قال هنيدا ناظراً إلى وجهي الاثنين، «إنه يشبه العلاقة بين الفرد والمجتمع بأسره. لا أحد يرضى بحظه، ولكن هناك طرق للغضب وعدم الرضا. أقترح أن تفكرا بذلك». تاركاً إياهما بهذه الكلمات، سار مسرعاً نحو نافذة التذاكر. عند الدرج الذي يقود إلى رصيف خط جورلاين حول كل من إيوسوكي وكوماكو توديعه بطرقة رسمية، ولكنه لمس قبعته فقط ليختفي بعدها بين المزدحمين.

لقد كانت ساعة انصراف العاملين، لذلك كان الرصيف ممتلئاً بالناس. عندما وصل القطار، كان هناك تدافع كي يصعد الناس إلى القطار؛ تماماً كما يحدث في القطارات بعد الحرب. لامست صدور الناس وأذرعتهم وأكتافهم جسد إيوسوكي الضخم، إلا أنه كان سعيداً، إذ ما لامسه كان أجسادا طرية وليست عوارض معدنية وجدراناً إسمنتية.

لقد جرحته تجربته التي مر بها في خلال اليومين الماضيين، نفسياً وجسدياً. صمم ألا يدخل ذلك العالم ثانية. عندما خرجوا من مبنى مكتب النائب العام، رفع تلقائياً ذراعيه فوق رأسه ليلامس سماء المساء. حتى القطار المزدحم بدا له جنة. وبالقرب منه كانت

زوجته. لم تكن طويلة، لذلك كان ينظر إليها نحو الأسفل. لم تكن ترتدي قبعة، لذلك كانت تفوح من شعرها الأسود المجعد ذي اللمعة البنية رائحة البلسم الذي لم يشمه منذ ستة أشهر.

لابد أن يكون لدى كوماكو بعض الأسف، هكذا راح يفكر. ربما هي أيضاً قد تغيرت.

لاحظ أنها تمسك بكم سترته بقوة. لم يسبق لها أن لمسته أمام الناس، لذلك ماذا يمكن لهذا أن يعني؟ وعن أي شيء دل الكيس الذي أرسلته إلى مركز الاحتجاز؟ ماذا يمكن سوى أنها قد تغيرت؟.

عندها تماماً أدرك إيوسوكي أن القطار قد تجاوز للتو محطة أوكنناميزو. محدقاً من بين رؤوس الركاب استطاع أن يرمق بنظره المكان الذي كان يعيش فيه. شعر بالحنين إلى الكوخ والأكواخ المجاورة، وكذلك الفسحة الرحبة هناك. الآن وقد غادر ذلك المكان، لابد أن يكون كينجي وزوجته معاً.

شعر بكمه يشد، «إياك أن تنظر إلى هناك!»

كان صوت كوماكو منخفضاً، ولكن صارماً.

بهذه الكلمات تحدثت إليه كوماكو مباشرة. عندما كان هنيدا معهما، خاطبته مرات قليلة إذ كان صوتها هادئاً ودون مشاعر، ولكن هذه الكلمات كانت مختلفة، إذ خرجت بحزم أشد من ذلك الذي تستخدمه كوماكو. كانا محاطين بأناس آخرين، لذلك لم يتوقع أن تكون تلك الكلمات أول كلمات توجهها له. لو كانت نادمة، لما كانت أقل قسوة؟

عندما مر القطار بمحطة يوتسويا ومحطة شينانو ماتشي، كان الليل قد حل. الحديقة الخارجية لمعبد ميجي ذكرته باليوم الذي ترك فيه منزله، والوقوف عند محطة شونجوكو ذكره بالعرض الذي شاهده في اليوم ذاته.

بعد محطة نكانو، أصبحت العربة أقل ازدحاماً، فاستند إيوسوكي إلى الباب الجانبي للقطار الذي لا يفتح. وقفت كوماكو إلى جانبه، وظلت تمسك بشدة بكم سترته. ربما عنى ذلك للآخرين أنهما زوجان سعيدان، ولكن إيوسوكي شعر بالخوف.

إنها تتصرف كالشرطي الحارس في تلك الحافلة. أخيراً، وصل القطار محطة موساشي

هزاما. بينما كانت كوماكو تشتري خبزاً وشطائر من لحم الخنزير وما إلى ذلك ليتناولاها على العشاء، راح إيوسوكي يستمتع بمشاهدة الشوراع المألوفة له ثانية. لما كان بحاجة إلى بعض السجائر، ذهب إيوسوكي إلى حانوت يعرفه، ولكن كوماكو تبعته.

«وأين تعتقد أنك ذاهب؟» سألته.

حتى في طريق عودتهما إلى المنزل، أبقت كوماكو على ذات الدرجة من تيقظها، وظلت ملاصقة له طوال الوقت. لقد شعر بها وكأنها قيد يقيده. في الشارع المظلم، بدأت تتحدث إليه.

«لقد اتخذت قراراً، كما تعلم».

«حول ماذا؟»

«لن أتركك ولن أدعك تتركني».

لقد جاءت كلماتها مثل الضربة على صدر إيوسوكي، إذ تجاوزت حدود التعبير المباشر وعبرت عن تصميم عاطفي حنون مطلق. إنها لم تتحدث بمثل هذه الطريقة من قبل.

لم يفهمها إيوسوكي. كانت مختلفة؛ هل تغيرت في أثناء غيابه، وهل كان التغير في صالحه أم لا؟

على الرغم من الظلام، لم يجدا صعوبة في السير في طريقهما. كانت الحقول على طرفي الطريق قطعا سوداء، وما كان هناك أضواء سوى تلك التي تظهر بين الفينة والأخرى من بعيد. امتدت فوقهما السماء الرحبة بقمرها ونجومها، وأمامهما امتد صف من شجر الصنوبر.

لم تقل كوماكو أي شيء آخر، ولم يكن إيوسوكي تواقاً إلى طرح أسئلة عليها. الصوت الوحيد في الشارع كان صوت أقدامهما.

عندما وصلا المنزل، فتحت كوماكو الباب بالمفتاح، ثم خطت إلى الوراء خطوة تماماً كما فعل الحارس في مركز الاحتجاز.

«أنت تدخل أولاً».

كان الوقت متأخراً، لذلك جلسا لتناول الطعام دون أن يغيرا ثيابهما. لما شعرا بجوع مفاجئ وضع إيوسوكي الزبدة على الخبز وراح يأكله مع اللحم البارد.

وهي تصنع الشاي في المطبخ، نادت كوماكو قائلة، «لم يبق هناك سوى زجاجة واحدة

من الجعة».

أجال إيوسوكي نظره في المنزل الذي لم يره لأشهر. كانت أبواب للوقاية من المطر والعوازل الزلاجة مغلقة، ولكنها بدت تماماً كما تركها. كان ينبعث من المصباح المعطل ضوء خافت، فهو تماماً كما كان يعود من عمله. لم يبد أن شيئاً قد تغير. هربت أنشد الحرية، هكذا فكر إيوسوكي.

أحضرت كوماكو زجاجة الجعة، وكأسين. إنها ستشرب أيضاً.

«على أية حال، مبارك لك». دونما أي أثر لابتسامة رفعت كأسها.

«آسف لكل القلق الذي سببته». بحث عن الكلمات المناسبة، ولكنه أتبعها بصمت طويل. سرعان ما فرغت زجاجة الجعة. بدت كوماكو ثملة قليلاً.

«كما تبين لن تستطيع الذهاب إلى أي مكان. أليس كذلك؟ لقد وضعك النائب تحت رعايتي. أليس كذلك؟» أراحت جلستها وارتسمت على شفتيها ابتسامة ماكرة. نظر إيوسوكي مندهشاً في وجه كوماكو. إنها لا تبدو كما كانت. أهي ثملة أم أنها بدأت تظهر الجانب الأنثوي الأشد قسوة؟

«لو لم نكفلك أنا والخال، لانتهيت في السجن. الآن أنت تحت سيطرتي، ويجب عليك طاعتي». كانت تضحك، ولكن عينيها كانتا باردتين. شعر إيوسوكي ببرد يجتاح جسده عندما تخيل الحياة ممتدة أمامه. تحول حاجز الغرفة فجأة إلى عوارض حديدية.

وقف.

«إلى أين أنت ذاهب!»

«شكراً لمتاعبك، ولكن أعتقد أنني لا أنتمي إلى هذا المكان. ربما مكان مثل جسر أوكنناميزو هو المناسب لي».

«كيف تستطيع أن تقول ذلك؟ لقد منحت حق رعايتك بشرط ألا تعود لتعيش مثل تلك الحياة».

«ولكن النائب قال: لا أنت ولا خالي تقع عليكما مسؤولية قانونية، لذلك لا ينبغي لكما أن تقلقا علي».

أخذ إيوسوكي قبعته من على المسمار المثبت قرب الباب، كما فعل قبل ستة أشهر. عندما

رأت ذلك اندفعت كوماكو نحوه وراحت تحدق في وجهه. علاوة على ذلك، رفعت يدها اليمنى، وصفعته بقوة حتى إن الصوت راح يدوي في أرجاء الغرفة.

«لماذا فعلت ذلك؟»

«إنني آسفة. لقد استسلمت. من فضلك، لا تذهب!» توسلت، «من فضلك، لا تذهب ثانية!»

وقعت كوماكو باكية عند قدمي إيوسوكي، وراحت تنحب كطفلة وهي تلف ساقيه بذراعيها.

الفصل الثامن عشر
الجميع بخير

كانت السنة تقترب من نهايتها، وفي أقل من عشرة أيام ستحل ليلة رأس السنة. في غرفة استقبال منزل هنيدا، كان هيشكاري وفوجيمورا يتصببان عرقاً وهما يجاهدان في شد حبال طبولهما الحمراء مع مضيفهما. إنه يوم شتوي هادئ ودافئ في أويسو.

وهو ينظر عبر سور حديقة الجيران، بدا على هيشكاري دهشة تعجب، إذ رأى على غصن كثير العقد يتفرع عن شجرة البرقوق البري، برعمين أو ثلاثة قد أبيضا تحت أشعة الشمس.

«برعمت قبل موعدها المعتاد بأربعة أو خمسة أيام هذه السنة!» قال هنيدا الذي تعود أن يرى تفتح شجر البرقوق في وقت مبكر في هذه المنطقة.

«لست متيقنا إذا كان هذا الشتاء بارداً أو دافئاً. في صباح البارحة، كان الطقس بارداً جداً في طوكيو، وقد كان الصقيع في كل مكان». أبدى فوجيمورا ملاحظته وهو يجلس ليرتاح.

إنه لقاء جمعية غوشوكاي الأول بعد مرور أشهر عديدة والأخير في بداية السنة. لقد حدث الكثير الذي حرم المجموعة الاجتماع. هنمي وهوران ليسا موجودين هذه المرة، ولم يعثر على أعضاء مناسبين، ولكن الثلاثة الباقين قد قرروا بعزم المواصلة حتى دون عازف على قرص الغونغ. سيعزف هيشكاري على آلة الفلوت، وفوجيمورا على الطبل الضخم، وهنيدا على الطبلين الصغيرين، وهكذا قد شكلوا فرقتهم في آخر المطاف. كانوا يفضلون وجود عازف الغونغ، ولكن حالهم هذه أفضل من أن يدخلوا عضواً غير مناسب. لقد جعلت تجربة الرجال الثلاثة المسنين مع هوران وهنمي، يدركون أنه ربما لا يمكن إيجاد أعضاء يعتمد عليهم. لذا قرروا تحديد المجموعة بالأعضاء الثلاثة الأصليين حتى لو كلفهم ذلك تغيير الاسم ليصبح سانشوكاي «مجموعة الضحكات الثلاث».

«نحن جميعا هنا. هل نبدأ؟» اقترح هنيدا بابتهاج، آخذاً مكانه أمام الطبول، مدركاً تماماً أن مجموعة موسيقية تتألف من ثلاثة أعضاء تنشر الحزن. قبل شروعهم بالعزف، ظهرت

جينكو تحمل الشاي وبعض قطع الحلوى.

«شكراً جزيلاً. نأسف لما نسببه لك دائماً من متاعب». قال فوجيمورا بتهذب.

«لا أبداً! هل لي أن أقدم أحر التهاني؟ إننا سعيدون جداً لأجلكم. إنني متيقنة أن زوجتك مرتاحة وأن الأمور مستقرة الآن». قالت جينكو مستخدمة العبارات المهذبة المعتادة.

كان تكابومي ويوري قد تزوجا قبل عشرة أيام. كان العرس مفاجئاً نتيجة جهود هوران، وكذلك نتيجة قلق أسرة فوجيمورا لمعرفتهم بمغامرات يوري، إذ يمكنها أن تقوم بفعل مشين مالم تتزوج بسرعة. من دواعي الاستغراب أن الشابين انصاعا لرغبات آبائهما وشرعا بتشكيل أسرة كسائر الأسر الأخرى على الرغم من رفضهما عادات الزواج التقليدية.

«لقد حدث ذلك بسرعة كبيرة». قال فوجيمورا بابتسامة خجولة.

«هل تعلمون أن هنمي الشاب قد عاد إلى زوجته؟» قال هيشكاري وهو يرشف شايه ويتبسم برقة.

«كلا. إنني أسمع ذلك للمرة الأولى».

سرعان ما أثير فضولهم. بعد كوماكو، بدأ هنمي علاقة مع روائية أرستقراطية في طريق شهرتها، ولكن في عدد لإحدى المجلات في رأس السنة، ظهرت لها قصة قصيرة استمدت حبكتها من علاقتها بهنمي. أثار هذا غضبه، فقطع جميع علاقاته معها، وحتى إنه قد استدعى زوجته من المركز الصحي في فوجيمي هايلاند. بعدها التقى به هيشكاري، فشجعه على العودة إلى الالتحاق بجمعية غوشوكاي. ولكنه قال إنه قد قرر الإقلاع عن جميع أنواع المتعة داخل الجدران ليتسنى له التركيز على لعبة الغولف.

«بالنسبة لشاب كهذا، كل ما يمكنك أن تتوقعه منه هو لعب الغولف. إنه مازال في عمر لا يؤهله للالتحاق بهذه الجمعية اللامعة». قال هنيدا بغرور.

«بالمناسبة، ماذا حدث لإيوسوكي؟» سأل فوجيمورا متذكراً الأحداث التي وقعت قبل شهرين. «إنني آسف لجميع المتاعب التي تسبب بها، ولكن يبدو أن أمره قد استقر. فمنذ أيام، جاء بصحبة زوجته كي يشكرانا».

«لقد اتخذا لنفسيهما نظاما غريبا!» أضافت جينكو، «تذهب كوماكو للعمل، في حين يعمل إيوسوكي في المنزل».

«هذا تحول أحداث غير عادي. إنه ليس نموذجاً أمريكياً تماماً. أليس كذلك؟» سأل هيشكاري.

«إنه لا يمثل أي نموذج محدد. كوماكو تعرف كيف تعمل. لقد حصلت على عمل في شركة تجارية تقوم بأعمال تتطلب مهاراتها بمرتب استفتاحي قدره عشرون ألف ين شهرياً. لا نفع في إيوسوكي، ولا أعلم بماذا يفكر، ولكنه فقد الرغبة في العمل– على الأقل حتى توقع معاهدة السلام، وينتهي الاحتلال كما يقول! عوضاً عن ذلك، فإن الرجل الكسول يقوم بأعمال المنزل كأنه رجل عاد إلى الحياة ثانية».

«بما أن عمله محصور بالطهي والتنظيف، فإن لديه وقت فراغ. لذلك يقول إنه ربما يتعلم العمل على آلة الخياطة». قالت جينكو مقهقهة جاعلة الجميع ينفجرون ضاحكين.

«هل تستطيعون تخيل إيوسوكي يعمل على آلة الخياطة، إنه سيكسر جميع الآلات التي يضع عليها قدمه!» قال هيشكاري.

«بعبارة أخرى لقد تبادلا الأدوار. حسناً، هذا أحد الحلول. كيف تسير أمورهما». سأل فوجيمورا.

«يبدو أنهما منسجمان. تقول كوماكو إنها أكثر سعادة. لا أستطيع التكهن بالمدة التي ستستمر عليها هذه الحال. ولكن عندما يجرب الإنسان أشياء متعددة، يواصل الزمن مضيه. وتدريجياً، يتوقف الإنسان عن تقديم الشكوى كما نعلم جميعاً من خلال تجربتنا». قال هنيدا.

«نعم». قال هيشكاري مكملاً الرأي، «ثم نجد تسلية في آلتي الفلوت والطبل».

«نعم، حقاً! لقد نسينا عملنا». قال هنيدا بحماس متجدد. بدأ يكشف عن عصي طبلته. ببهجة وسرور، التقط هيشكاري آلة الفلوت وفوجيمورا عصي طبلته.

«حسناً، نبدأ!»

تن تنيا، تن تنيا. تن تنيا، تن تنيا. حتى دون آلة الغونغ مازالت هذه الموسيقى حقاً الموسيقى الاحتفالية القديمة المبهجة.

–انتهت الرواية–

مدرسة الحرية

كانت (مدرسة الحرية)، الرواية الأكثر مبيعاً في الخمسينيات من القرن الماضي. وقد اختيرت ضمن البرنامج الياباني للنشر والدعاية الأدبية، لأنها تمثل أحد نماذج الهزل الراقي في الأدب الياباني الحديث.

لقد عمد الكاتب إلى تقديم جميع الطبقات في روايته هذه. علاوة على ما يجري في شوارع طوكيو سراً وعلانية، لاسيما بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية واستسلامها. إذ بنى الكاتب روايته حول فكرة رئيسة ألا وهي الحرية. فكما أرادت قوات الاحتلال تحقيق الحرية والمساواة لجميع اليابانيين من خلال دستور جديد صدر 1947، أراد بطل الرواية، من خلال تركه منزله، أن يحرر نفسه من قيود تسلط الزوجة والعمل والنقود ساعياً وراء الحرية. وكذلك فعلت زوجته كوماكو أثناء غيابه عن المنزل.

علي مولا

ISBN 978-9933-407-05-6
9 789933 407056

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

كلمة
KALIMA

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة